المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

صورة البطل في شعر أبي تمام

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالب
قابل رشيد نافع المرامحي
الرقم الجامعي:
٤٣٢٨٨١٣٨

إشراف الأستاذ الدكتور
حميـد سمير

١٤٣٤ ـ ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة باللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء المرسلين وسيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

سعت هذه الرِّسالة إلى دراسة موضوع (صورة البطل في شعر أبي تمام) بغية الوقوف على الصورة المثالية للبطل العربي المسلم، كما رسمها القُرآن الكريم والسُّنة النبوية، والأدب العربي، وإحياء هذه الصورة المثالية للبطل والبطولة من جديد، بعدَ أن حُرِّف في وقتنا الحاضر هذا المفهوم عن مساره الذي رسمه لنا ترثنا العربي والإسلامي، وقد جاءت دراستي هذه عن البطولة في شعر أبي تمام في خمسة فصول يسبقها تمهيد ويعقبها خاتمة أما التمهيد وعنوانه: (مفهوم البطولة بين المعاجم اللغوية والدراسات الأدبية) وقد جاء الفصل الأول بعنوان (البطولة في الأدب العربي حتى عصر أبي تمام) وتناولت فيه مبحثين وهي: أولاً: البطل عند العرب في العصر الجاهلي. ثانياً: المفهوم الإسلامي للبطل (في عصر صدر الإسلام – في العصر الأموي – في العصر العباسي (عصر أبي تمام) أما الفصل الثاني فجاء بعنوان (البطولة وفكرة النموذج) وتناولت فيه مبحثين وهي: أولاً: الغلو والمبالغة (ظل الحقيقة) عند النُّقاد. ثانياً: البطولة (مُحاكاةً)، ويأتي الفصل الثالث بعنوان (البطولة الذاتية في شعر أبي تمام) وفيه تناولت مبحثين وهما: أولاً: الشاعر بطلاً (معتداً بنفسه – حكيماً – مغترباً)، ثانياً: قرين الذات بطلاً (صديقاً – كاتباً) ثم يأتي الفصل الرابع بعنوان (البطولة الموضوعية في شعر أبي تمام) وجاء في مبحثين وهما أولاً: البطل الكلى (خليفةً)، ثانياً: البطل الجزئي في إطار الكل في صورة (وزير – الوالي – قائد – صاحب الشرطة – قاضي) ثم يأتي الفصل الخامس وهو الأخير بعنوان (التشكيل الفني لقصيدة البطل) وذلك في مبحثٍ واحد وهو: أولاً: (البطل بين الخيال والواقع في شعر أبي تمام) وبيان قدرة الشاعر في رسم صورة بطله من خلال استحضار ما يلي: (الشخصيات التاريخية – الشخصيات المقتبسة من عالم الحيوان – نماذج من الطبيعة – شخصيات ما ورائية – الأسطورة والخرافة – استحضار اللون).

انتهى ملخص الرسالة، وأرجو من الله العلي العظيم أن يتقبل عملي هذا وأن ينفع به كل من اطَّلَع عليه.

الباحث

Abstract

The title of this study is "the Picture of Hero in the Poetry of Abi Tamam". It aims to examine the ideal picture of the Arabic Muslim Hero as depicted by the Holy Quran, the Prophetic Traditions and Arabic Literature. Also, it aims to revive this ideal image of the hero and heroism after this concept has been distorted during our age. This study consists of a preface, five chapters and conclusion.

As for the preface, it is entitled "The concept of Heroism in Dictionaries and Literary Studies". As for the **first chapter**, it is entitled "Heroism in the Arabic Literature until the poetry of Abi Tamam". This chapter has two searches; the first is about Hero with Arab during the pre-Islamic era, and the second is about the Islamic concept of the Hero (in the age of early years of Islam- in the Umayyad era- in the Abbasside era [Abi Tamam era]). **The second chapter** is entitled "the Heroism and the Idea of Model". It has three searches; Excess and exaggeration with critics, the second is about the heroism (Fact) and the third is about the heroism (Simulation). **The third chapter** is entitled " Self heroism in Abi Tamam Poetry". It has two searches; The first is about the poet as a hero (Smug-wise- Expatriate), and the second is about peer as a hero (friend- author). As for **the fourth chapter**, it is entitled (Objective Heroism in the Poetry of Abi Tamam". It has two searches; the first one is about Total hero (Caliph), and the second is about the partial hero in the form of (Minister-Alderman- leader- judge).

Finally, **the fifth chapter** is entitled (Artistic Composition of the Hero Poem). It has one search about the hero between imagination and reality in the poetry of Abi Tamam. It identifies the ability of the poet to depict the image of his hero via calling (The Historical personalities-Figures taken from the animal world- Models from nature- Overseas personalities- Legend and myth- Color calling).

Researcher	Supervisor	Dean of the College
Qabil Rasheed Al-Maramhi	Prof. Hameed Sameer	Prof. Hamed Saleh Al-Rubaie

إهـــــداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ونبينا محمد، وبعد.

أهدي هذا العمل إلى:

والدي ووالدتي الكريمين اللذين ما برح يرافقانني بدعواتهما في غدواتي وروحاتي، وتلك الدعوات استلهمت منها القوة والعون بعد عون الله وتوفيقه.

إلى أسرتي الفاضلة التي ما كنت لأكمل هذه الدراسة لولا صبرهم وتحملهم حتى إتمام هذه الدراسة.

إلى ابني العزيز باسم الذي تحمل المسئولية في أثناء غيابي، وأتمنى من الله أن ييسر أمره وأن يكون نموذجاً لإخوته.

إلى روح أخي الطاهرة فهد – رحمه الله – الذي كان يتمنى ويرغب أن أنال أعلى الدرجات.

إلى منسوبي الدراسات العليا الفضلاء الذين قاموا ويقومون بتوجيه وإعطاء خلاصة تجاربهم وعلمهم إلى أبنائهم الطلاب.

إلى كل طموح يرغب بأن يكون مثالاً ونموذجاً يقتدي به كل مسلم ومسلمة.

المقـــدمـــة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء المرسلين وسيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد ارتبط الشعر العربي منذ الجاهلية بالبطولة والأبطال وشكلت صراعات العرب وأيامهم مادة أدبية أبدع الشعراء من خلالها أروع قصائدهم الحماسية التي كانت مثار اهتمام العربي وخلدت هذه الأشعار أحداثا وأبطالا تعلق الناس بهم وهتفوا بذكرهم في كل موطن كما كانت هذه الأحداث وهؤلاء الأبطال أيضا وراء هذه الإبداعات الخالدة.

كذلك جسد صراع الإنسان العربي مع بيئته صراعا من نوع آخر فمع فقر الطبيعة وجدبها وشيوع القحط وكثرة الحل والترحال تبرز لنا بطولات أخرى تجسد من خلالها المفهوم الخلقي والنفسي للبطولة فالكرم والعفة والنجدة والشهامة والإباء والشمم والإيثار وغيرها من صفات النفس شكلت في مجموعها ملامح صورة البطل في مخيلة العربي الذي يجمع إلي صفات الجسد والقوة صفات النفس ومكارم الأخلاق، فكيف يجود بنفسه من ليس يجود بماله، وكيف يتغلب علي عدوه من ليس يتغلب علي نوازع نفسه.

ومع تطور حياة العربي في ظل الإسلام وسمو روحه اكتسبت البطولة معاني أعمق فيها من الفداء والبسالة والتضحية والسمو والتفاني والإخلاص والإقبال علي الموت بوصفه حياة وابتغاء مرضاة الله وغير ذلك وكان الجهاد ميدانا فسيحا يتهافت إليه الأبطال ليسطروا من خلاله أروع الملاحم وأبرعها، وكان الشعر العربي يهزج بهذه البطولات ويسطرها بحروف من نور تشكلت من خلالها سمات البطولة ومقوماتها وملامحها في تاريخنا الإسلامي عبر عصوره المختلفة.

ولقد كان العصر العباسي أحد هذه العصور التي كان الصراع فيها ملتهبا بأشكاله المختلفة فهناك الصراع مع العدو الخارجي من فرس وروم وغيرهما وهناك الصراع الداخلي مع الزنادقة والخارجين على نظام الدولة ومثيري الشغب بها، كذلك كان هناك صراع القيم والأخلاق في أمة تنوعت أجناسها وثقافاتها فكانت البطولة في شتي هذه الميادين تعطينا صورة متكاملة ولوحة كبري للبطل والبطولة في هذا العصر.

ولقد كان شاعرنا أبو تمام أحد هؤلاء الشعراء الذين يمثلون العروبة بأخلاقها ومكارمها وكرم عنصرها كما يمثل الإسلام بسماحته وبسالته وسموه الروحي وفدائيته كما مثل الذات الشاعرة بسمو نفسها وعلو همتها ونقاء مشاعرها ،فشكل لنا من خلال رؤيته الشعرية صورة متكاملة ونموذجية للبطل والبطولة وأعطانا الكثير والكثير من هذه الأشعار التي تبرز لنا هذه القيمة البطولية في أدبنا العربي

وقد دفعني إلي اختيار هذا البحث ما وجدته في نفسي من ميل وتعلق بهذا النموذج الشعري للبطولة التي يكاد يتعلق به كل عربي مسلم، كذلك لمست حاجة المجتمع العربي المسلم الماسة إلي إبراز هذا اللون من الشعر الذي يقدم النموذج والأسوة والقدوة في مجال البطولية بمعانيها ومقوماتها الجسدية والنفسية والخلقية والدينية ليعود المجتمع العربي المسلم إلي ما كان عليه من مجد وفخر ونكون بحق خير أمة أخرجت للناس.

وقد حرصت على اتباع طريقة استقراء النصوص ورصدها في شعر أبي تمام، ثمّ اتباع الذي هو أقرب من هذه المناهج لكونه معينا للباحث علي التعرف علي مقاصد النصوص ومعانيها والوقوف علي أبعادها المختلفة.

وقد جاءت دراستي هذه عن البطولة في شعر أبي تمام في خمسة فصول يسبقها تمهيد ويعقبها خاتمة.

أما التمهيد وعنوانه: (مفهوم البطولة بين المعاجم اللغوية والدراسات الأدبية) فقد تناولت فيه مفهوم البطولة في المعاجم اللغوية على تنوعها كذلك مفهومها في الدراسات الأدبية التي حاولت أن تضع لها حدا اصطلاحيا تعرف به في المجال الأدبي

وقد جاء الفصل الأول بعنوان (البطولة في الأدب العربي حتى عصر أبي تمام) وفيه وضحت صورة البطل والبطولة ومقوماتها في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي وكذلك في العصر العباسي عصر أبي تمام وذلك من خلال الكشف عن ملامح البطولة ومقوماتها في كل عصر من هذه العصور ومدى التغيير والتطور الذي طرأ علي صورة البطولة في هذه العصور.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان (البطولة وفكرة النموذج) وفيه بينت كيف يكون البطل (ظلا لذلك النموذج) وذلك حين يصور لنا الشاعر أبطاله في صورة نموذجية

كاملة يجعلها ظلا للبطولة التي يحاول أن يجسد ملامحها في أبطاله، كذلك كشفت عن البطولة المحاكاة حين يقدم لنا الشاعر نموذجا فريدا يجعل منه صورة الأسوة والقدوة في مجال البطولة.

ويأتي الفصل الثالث بعنوان (البطولة الذاتية في شعر أبي تمام) وفيه تحدثت عن الشاعر بطلا حين يصور لنا الشاعر من نفسه بطلا معتدا بنفسه أو حكيما من الحكماء أو بطلا مغتربا لا يرضى بواقعه ويدفعه طموحه إلى الاغتراب.

كذلك تحدثت في هذا الفصل عن قرين ذات الشاعر بطلا شاعرا أو كاتبا ثم يأتي الفصل الرابع بعنوان (البطولة الموضوعية في شعر أبي تمام) وجاء ذلك في محورين المحور الأول (البطل الكلي) وتمثل ذلك في صورة الخليفة إمام المسلمين وقائدهم وقدوتهم في ميدان البطولة وشتى الميادين والذي يتشكل من خلاله حلقات البطولة المتصلة في صورها الجزئية لتقدم لنا الشكل البطولي للمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية وتحدثت فيه عن رؤية أبي تمام إلى مقومات البطولة في شخص هذا البطل الكلي.

ثم جاء الحديث عن البطل الجزئي بشتى صوره وأشكاله أميرا ووزيرا وقائدا وصاحب شرطة وقاضيا، ورؤية أبي تمام إلى صورة البطولة الموضوعية ومقوماتها وسماتها لدى كل هؤلاء وما ينبغي أن تكون عليه صورة البطل العربي المسلم في شتى هذه الصور والميادين.

ثم يأتي الفصل الخامس بعنوان (التشكيل الفني لقصيدة البطل) وفيه وقفت على صورة البطل بين الواقع والخيال في شعر أبي تمام من خلال استحضار الشاعر وتوظيفه للشخصيات التاريخية والأحداث والقصص التاريخية والشخصيات المقتبسة من عالم الحيوان ونماذج الطبيعة والشخصيات الماورائية والأسطورة والخرافة وكذلك استحضار الألوان ودلالتها في شعر البطولة.

وأخيرا تأتي الخاتمة لتؤكد على مجموعة من النتائج التي وقفتُ عليها في رسالتي هذه.

وفي الختام أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من مد لي يد العون وأحسن إلي التوجيه وكان سببا في إنجاز هذا البحث على هذا النحو.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص التقدير والشكر والعرفان إلى سعادة الأستاذ الدكتور/ حميد سمير المشرف على هذه الرسالة بما له من العناية والتوجيه بآرائه السديدة ولمحاته الصائبة.

ولله الحمد في الأولى والأخرة

الباحث

التمهيد

تمهيـد

مفهوم البطولة بين المعاجم اللُّغوية و الدِّراسات الأدبية

أولاً: البطولة في المُعاجم اللُّغوية :

إنّ أول ما يتبادر إلى الذهن عند الكتابة عن البطولة من جانب مدلولها اللُّغوي أنّ البطولة هي الشّجاعة : شجاعة القلب و الجسد في القتال ، وهذا ما تتفقُ عليه المعاجم العربية القديمة و الحديثة وغيرها فالبطولة هي الشّجاعة الفائقة التي لا يتصف بها إلا القليل من الناس ، و لعل التعريف اللغوي لمعنى البطل و البطولة يدعم ما نقول ، فقد جاء في لسان العرب " البطل : الشُّجاع .وفي حديث: شاكي السلاح بطل مُجَرَّب . و رجُلٌ بَطَلٌ بَيْنُ البَطالةِ. والبطولة: شُجَاعٌ تَبْطُلُ جِرَاحَتُهُ فلا يكترثُ لها و لا تَبْطُلُ نَجَادَتُهُ ، و قِيْل : إنما سُمِّي بَطلاً لأنّهُ يُبْطِلُ العظائم بسيفهِ فَيُبَهْرِجُها ؛و قيل سُمَي بَطَلاً لأنَّ الأشداء يبْطُلون عنده ،و قيل هو الذي تبطل عنده دماء الأقران ،فلا يدْرك له ثأر من قومٍ أبطال ، و بَطَّالٌ بَيِّنُ البَطَلَةِ و البِطالَة. وقد ورد بَطُلَ ، بالضَّمِّ ، يَبْطُلُ بُطُولَةً و بَطَالَةً أي صار شُجاعاً و تَبَطَّل . قال أبو كبير الهذلي:

ذهب الشَّبابُ و فات منه ما مضى و نضا زُهيرُ كريهتي و تَبَطّـــلا [١]

وهو كذلك عند الجوهري بطل : الباطل : ضد الحق ، والجمع أباطيل ، ويقال: ذهب دمه بطلاً ، أي هدراً، و البطل : الشجاع ، والمرأة بطلة ، وقد بطُل الرجل بالضمِّ ، أي صار شُجاعاً، وبطَل الأجير بالفتح بطالةً أي تعطل فهو بَطال. [٢]

وعند أحمد بن فارس "البطل : الشجاع . قال صاحب هذا القياس وسُمِّي بذلك لأنه يُعرِّض نفسه للمتالف .وهو صحيح ، يُقال : بطلٌ بَيِّنُ البطولة و البطالة، و قد قالوا:

---

[١] / لسان العرب ،لابن منظور ، دار المعارف . القاهرة ، باب ، الباء ، مادة بطل ، ص٣٠٢.

[٢] /انظر : تاج اللغة و صحاح العربية الجوهري٤/ ١٦٣٥، مادة بطل.

امرأة بطلة " [١] فالمعاجم اللغوية تكاد تدور في محيط واحدٍ حول مفهوم البطل و البطولة ،ولكنها في الوقت نفسه تختلف دلاليا في بيان سبب التسمية ؛ فالشجاع سمي بطلاً لأنه يبطل جراحته ولا يكترث لها و في معجم العين البطل : الشُّجاع الذي يُبطل جراحته و لا يكترث لها ، و لا تكفه عن نجدته و إنه لَبَطَلٌ بَيْنُ البطولة. و بَطَّلني فلانٌ : منعني عملي .ج / أبطال . [٢]

و في المعاجم اللغوية العربية الحديثة يكاد يكون معنى البطل و البطولة هو نفس المعنى الذي ورد في المعاجم القديمة ، بل يكاد يكون منقولاً عنها في عمومه ، ففي كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ، فيقال للشجاع المتعرَّض للموت بطل تصوّراً لبطلان دمه ، فيكون فَعَل بمعنى مفعول ، أو لأنه يبطل دم من يعترض له[٣] و عليه فـ"أنّ الشجاعة من القلب ، وهي ثباته و استقراره عند المخاوف ، و هو خلق يتولد من الصبر و حسن الظن ، فإنه متى ظنَّ الظفر و ساعده الصبر ثَبَتَ ، كما أنّ الجُبنَ يتولد من سوء الظن و عدم الصبر ، فلا يظُنُّ الظفر و لا يُساعده الصبر. [٤]

وفي معجم محيط المحيط " تبطَّل الرجل : تشجَّع و صار بطلاً ... البطل الشُّجاع يُقال رجلٌ بطلٌ بيْنُ البطالة ، و البطولة شُجاعٌ تبطل جراحتُهُ فلا يكترث لها أو تبطل عنده دماء الأقران .ج/ أبطال ، و المرأة بطلة ، ج/ بطلات. [٥] وعليه فيشترك في هذه البطولة الذكور و الإناث على نطاق قليل في البطولة التي تحتاج إلى قوة جسدية مثل المعارك و الحروب و على نطاق واسع في البطولة المعنوية ، وفي المعاجم اللغوية الغربية لا يكاد يبعد معنى البطل و البطولة عن معناه في المعاجم اللغوية العربية ففي معجم أكسفورد ورد أن البطل:" هو المحارب العظيم والمجاهد الشجاع "ويكاد معجم

---

[١] انظر: مقاييس اللغة ابن فارس: ١/ ٢٨٥، مادة بطل.

[٢]/ انظر: معجم العين للفراهيدي .ج/٧، ص٤٣١

[٣] /انظر: التوقيف على مهمات التعاريف. محمد المنياوي :ص ١١١.

[٤] / انظر : الروح ، لابن القيم ، ص٢٣٧.

[٥]/ انظر: معجم محيط المحيط، بطرس البستاني ، المكتبة الوقفية للكتب، ص٤٤، باب / الباء.

لاروس يتفق معه في هذا الوصف .وفي معجم " وبستر" خمسة تفسيرات لهذه لكلمة البطل: ومنها :

١) هو الرجل المعروف بشجاعته ونبله و روعته٠

٢) وهو الرجل المنظور إليه مثالاً أو نموذجاً٠[١]

ويبدو من خلال المعاجم الأجنبية أن البطل هو المثال لما يتصف به من الشُّجاعة الخارقة للعادة و الأخلاق الفاضلة و أن البطولة تفوق في الشجاعة عن المألوف ، وأن البطل مزود بقوه نفسية نادرة المثال ، وقدرة عقلية مرتبطة بشجاعة نادرة .

فإذا كان البطل من أهم مقوماته الشّجاعة فإنّ القوة تأتي في المرتبة الثانية و هي مُصاحبة للشّجاعة و الشُّجاع هو القوي ، يقول ابن سيدة :" القوة نقيض الضعف و الجمع قُوَىً و قِوَىً . و قوله عزَّ و جَلَّ " يا يحيى خُذ الكتابَ بِقُوَّةٍ " أي بِجِدٍ و عونٍ من الله ، وقال سبحانه و تعالى" شديد القُوى" قيل هو جبريل عليه السلام و القُوى : جمع القُوَّة ، و قال عزَّ و جَلَّ لموسى حينَ كتبَ له الألواح " فخُذها بِقوةٍ "قال الزجاج : أي خُذها بقوةٍ في دينك و حُجَّتك ، يقولُ ابن سيدة: قوَّى الله ضعفك ، أي أبْدَلك مكان الضعف قوة"[٢] ، ومعنى ذلك أنَّ الشجاعة قوة داخلية لها أثرٌ قوي على هيئة الإنسان ، فكل شُجاعٍ قوي وليس كل قويٍ شُجاعاً. يقول الشاعر:

ترى الرجلَ النحيلَ فتزدريه وفـي أثـوابـه أسدٌ نسـورُ[٣]

وكذلك من مقومات البطولة الجُرأة ، و الشُّجاع هو الجَرِيء المقدام في الحرب ضعيفاً كان أو قويّاً ، و الجُرأة قوةٌ القلب الداعي إلى الإقدام على المكاره ، " و الجُرأة

---

[١]/ انظر: البطولة والأبطال، أحمد محمد الحوفي ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، ص١٠.

[٢] انظر: لسان العرب ، لابن منظور ، باب القاف ،ج/٤٢، ص٣٧٨٧.٣٧٨٨

[٣] / يُنسب هذا البيت لكثير عزَّة.

: الشَّجاعة ، و رجلٌ جَرِيء : مقدام من قومٍ أَجْرِئاءَ بهمزتين عن اللحياني ، ويجوز حذف إحدى الهمزتين و بابدالها ياءً فنقول : أجرياء ، و الجريء : المقدام " [1]

أما الجُرأة : فهي الإقدام و سببه قلة المبالاة ، وعدم النظر في العاقبة ، بل تُقدم النفس في غير موضع الإقدام مُعْرِضةً عن مُلاحظة العارض ، فإما عليها ، و إما لها . [2] و معنى ذلك كما يبدو لي أنّ الجُرأة هي الجانب الفعلي أو العملي للشجاعة أما الشجاعة فهي مرتبطة بثبات القلب و استقراره ، فإذا استقر القلب و ثبت تفجرت طاقات كل الجوارح ، فبرزت بطولة هذا الإنسان ، و يُلاحظ من خلال تتبع معاني البطولة في المعاجم اللغوية أنّ تركيزها على الجانب الحربي.

أيضاً من مقومات البطولة البسالة والشُّجاع هو الباسل ، و الباسِلُ : الأسد لِكَراهةِ مَنْظَرِهِ و قُبْحِهِ . والبسالة: الشَّجاعة و الباسِل : الشَّديد ، و الجمع: بُسَلاء و بُسْلٌ ، وقد بَسُلَ ، بالضَّمِّ بَسالَةً و بَسَالاً ، فهو باسِلٌ ، أي بطل" [3] . وأصل" البسل: الحرام ، فكأنّ الباسل يتعذَّر على أحد أو يحرم عليه ، أن يُصيبَهُ في الحرب بمكروه ؛ لشدَّتِهِ فيها و قوته ، وعليه إذن : فشجاعة – جُرأة – بسالة – قوة تعني بطولة .

و معنى ذلك أنَّ البسالة و القوة و الجرأة جميعها تدخل في ثوب الشجاعة الفضفاض ، و عليه فإنَّ كُلَّ باسلٍ قويٍ جريءٍ هو شُجَاعٌ، ولعل تسمية البطل بالشُجاع من باب التغليب لأنّ من اتَّصفَ بالشّجاعة فإنه على الأغلب تتساق الصفات الحميدة خلفها فهي القائدة و غالباً ما يقترن معها الكرم ، فهو ذروة الخلال الحميدة عند العرب.

ومعنى ذلك أنّ البطولة صفة إيجابية تلصق بالذات لإثبات الذات و الهُوِيّةِ و الدّلالة على شجاعة القلب في مواجهة الأهوال و المصاعب مدعومة بقوة جسدية تعينُه على تحمُّل هذه المشاق و المصاعب و الأهوال.

---

[1] / انظر: لسان العرب ، لابن منظور ، ج٨ص٥٨١.

[2] / انظر : الروح ، لابن القيم ، ص٢٣٧.

[3] انظر: لسان العرب ، لابن منظور ، باب الباء ، مادة بسل ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٢٨٤

البطولة في الدِّراسات الأدبية:

أمّا عن مفهوم البطولة في الدِّراسات الأدبية فقد تنوعت و تعدّدت ، فهُناك من عَرّف البطل على أنّه " الإنسان الأنموذج الذي يتحرك ضمن إطار الواقع ،بخصائص فكرية و نفسية متميزة ، يتمخض عنها سلوك متميز " و يُعرفه آخر على أنه " فرد يمتاز عن غيره من أفراد مجتمعه ، بمواهب عقلية أو خلقية أو جسدية ، يظهر بها بينهم "[١] وفي المعجم الأدبي ورد معنى البطولة على أنّه " بسالة خاصة بكبارالشجعان " ، وفي معجم المصطلحات العربية ورد أن" البطل محارب شهير ، أو إنسان يعجب به الناس لما له من مآثر و مكرمات ، و ذلك مثل عنترة عند العرب ، و رولاند الذي كان أحب فرسان الإمبراطور شار لمان إليه"[٢] أمّا البطولة ، فهي الأعمال التي يُمارسها الأبطال ، و يعزُّ على غيرهم الإتيان بمثلها ضمن الظروف و الأحوال نفسها ، فهي "سموٌّ و تشوُّفٌ للكمال ، و رياضة للروح و الجسد معاً و تعبير مكتمل عن طاقة قوية مُتَفَرِّدة ، و الشّجاعة جوهر البطولة"[٣] وفي تعريف آخر لمعنى البطولة ، ورد أنها " مجموعة من الممارسات أو الأفعال الإنسانية العظيمة ، التي يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد ، توصلهم إلى منزلة رفيعة في نفوس الناس كافة أو أقوامهم ، مما يجعل هؤلاء الناس يصفونهم بالأبطال "[٤] و يتضح مما سبق أنّ البطولة في تلك التعريفات الأدبية عُبِّر عنها تارةً بأنّها سُلوك متميز و تارةً بأنّها البروز و التفوق على الأقران ، وتارةً أخرى بأنّها الأعمال الخارقة التي يعجز الآخرون عن القيام بها و مهما تغيّر الألفاظ و العبارات المعبِّرة عن البطولة ، فليس معنى ذلك أنّ البطولة تكون بالضرورة بطولة حربية في ساحات القتال و الحرب فقط ، بل إنها تمتد لتشمل كافة مناحي الحياة حرباً و سلماً ، بل " إنّ بعض البطولات أحق بالتمجيد و الإيثار

[١] / البطل في شعر الحماسة ، جليل فالح ،آداب الرافدين ، العدد الرابع عشر ، جامعة الموصل ،١٩٨١، ص٢٤٣.

[٢] / انظر : المعجم الأدبي ، جبور عبدالنور ، دار الملايين ،بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤م، ص٥٠.

[٣] انظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مجدي وهبة ، و كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ،١٩٨٤م، ط٧٨

[٤]/ انظر: البطولة في الأدب العبي ، محمد المجذوب ، مؤتمر الأدباء العرب ، الدورة الرابعة ، الكويت ،٢٠ ـــ ٢٨ديسمبر١٩٥٨،مطبعة حكومة الكويت، ص ٩٠

من بطولة الحرب و القتال ، لأنّ بطولة الحرب قد تكون في العدوان الحاضر لا في الدفاع المشروع ، وقد تكون وليدة الظروفو الملابسات أو التكليف و الاضطرار. أمّا البطولات الأخرى فهي وليدة الاختيار أو هي استجابة للفطرة الخاصة و الأخلاق"[١] وهي أيضاً إقدام على الموت مع ثبات القلب ، كما يُبينها النويري في استعراضه لأقوال العرب عن الشّجاعة فيقول " و قالوا : حد الشَّجَاعة سعة الصدر ، بالإقدام على الأمور المتلفة ، وسُئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جِبِلَّةٌ في نفسٍ أبيَّةٍ ، قيل له: فما النَّجدة؟ قال: ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، حتى تحمد بفعلها دون خوف" [٢] و البطولة " شجاعة نادرة تتحدى الأخطار دفاعاً عن عقيدة مفدَّاة"[٣] والبطل هو الرجل الجليل كما عبر عنه كارليل . [٤] والبطولة عند المفكرين و الفلاسفة الغربيين تعني" الرفعة و العظمة و الأبطال هم رجال عظماء في حياتهم و في مواقفهم المختلفة و هم بتلك المواقف و الأعمال ينالون تقدير الناس لهم و إعجابهم ، فيكونون القدوة التي يُحتذى بها" [٥] و يبدو لي أنّ البطولة هي التفوق ، و هذا التفوق من أبرز مقوماته الشجاعة فإذا غابت الشجاعة غابت البطولة ، حتى نجد أنّ مفهوم البطولة ارتبط بمفهوم الشّجاعة و ذلك من باب التغليب ، و لكن هل كل شُجاع بطل ؟ في وجهة نظري: لا؛ لأنّه قد يكون الرّجُل شُّجاعاً بصفاته النّفسية ، و قد يتغلب بهذه الصِّفات على الرجل العظيم الضخم ، و لكن تبقى القوة الجسدية و البسطة في البنيان الجسدي ضرورة من ضرورات البطولة خاصة في الحروب قال تعالى" و قال لهم نبيُّهم إنّ الله قد بعث لكم طالوتَ مَلِكاً قالوا أنّى يكونُ لَهُ المُلْكُ عَليْنا و نحنُ أَحَقُّ بالمُلِكِ مِنْهُ و لم يُؤتَ سَعَةً مِن المالِ قال إنّ اللهَ اصطفاهُ عَليْكُم و زَادَهُ بَسْطةً في العِلْمِ و الجِسْمِ و اللهُ يُؤتي مُلْكَهُ مَنْ يشاءُ و اللهُ واسِعٌ عَلِيْم" .

---

[١] / انظر: صورة البطل في كتب الحماسة، صادق الشيخ خربوش ،رسالة دكتوراة غير منشورة ،كلية الآداب الجامعة الأردنية، عمان ،١٩٩١،ص٣٧

[٢]/ انظر: الإسلام و حركة التاريخ ، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١٩٨٠،١، ص٤٤٦.

[٣] / انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ،ج/٣ ،ص٢٠٨.

[٤] /انظر: الأبطال ،كارليل ، ص٩.

[٥] / انظر: البطولة في شعر الشهيد ، د/ محمد كلاب ،مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية ، المجلد العشرين العدد الأول ، غزة. فلسطين ص٥

الفصــل الأول

(البطولة في الأدب العربي حتى عصر أبي تمام)

أولاً: البطل عند العرب في العصر الجاهلي

ثانياً: المفهوم الإسلامي للبطل

- في عصر صدر الإسلام
- في العصر الأموي
- في العصر العباسي (عصر أبي تمام)

الفصل الأول

البطولة في الأدب العربي حتى عصر أبي تمام

تعد البطولة قيمة إنسانية تحتفي بها سائر الأمم على مختلف عصورها وأحوالها، ولكن الأمم باختلاف العصور والأحوال قد تختلف رؤيتها لهذه القيمة، ومن هنا فقد تضاف أو تستثنى بعض مقومات البطولة على إثر تعاقب الأزمنة وتغيُّر الثقافات لذا كان من الضروري أن أتعقّبَ الظاهرة في سائر عصور الأدب السابقة على عصر الدِّراسة المكلف بها، ولذلك فقد آثرت الحديث في هذا الفصل عن تطور مفهوم البطولة في الأدب العربي حتى عصر أبي تمام لتصبح الرؤية متكاملة في دراسة هذه الظاهرة عند شاعرنا أبي تمام.

أولاً: البطولة عند العرب في العصر الجاهلي:

العربي هو ابن الصحراء البار افترش تُرابها والتحف سماءها فأخذ من حرِّها الشدة والصبر وأخذ من جفافها الكرم والعطاء كما أخذ القوة والشجاعة، وأخذ من التنقل وراء العشب والكلأ العفة، وحُسن الجوار، والوفاء، فالماء والعُشب هو الحياة وبدونها الهلاك فهم دائماً في ترحالٍ وتنقل، وكثيراً ما تجتمع عدة قبائل في مكان القطر وتقتسم خيراته، ورُبما حدث اقتتال بسبب فرسٍ لقبيلة فازت في سباق ولم تفز فرس القبيلة الأخرى، أو بسبب ناقة استباحت مرعى قبيلة أخرى، ولأن القبيلة في العصر الجاهلي هي الأمة التي ينتمي إليها الفرد، فقد أدرك العربي الجاهلي أن حياته في قبيلته لا غير، وأن الدّفاع عنها ما هو إلا دفاع عن نفسه، وأن عزته مرهونة بعزتها وكرامته لا تكون إلا بكرامتها فقدَّم شتّى ألوان التضحية من أجلها وتفانى في الدفاع عنها والكفاح في سبيل بقائها، ولذا اهتم الشُعراء منهم بموضوع الفخر الذي هو إبراز للصفات الحميدة ونسبتها إلى الفرد أو الجماعة ولما كانت للقبيلة العربية عادات وتقاليد موروثة وأعراف مقدسة لا تُمس بنقص، اهتمت بالحفاظ عليها وحرصت بكل ما أُوتيت من قوة على حمايتها فانتخبت لهذه المهمة "فتىً "والذي عُرِفَ عندهم بالسيد أي: الذي نال

السؤدد والشّرف بخلاله الكريمة، وأفعاله العظيمة، فقالوا: هذا فتى الحي أي سيِّدهُ والكامل الجزل من رجاله.

فهذا الفتى هو المقَدَّم على كُلِّ سيد فالرياسة مسلّمة له في كل حال، وذلك بسبب فتوته التي حوت كل الخصال الحميدة، يقول أهبان الفقعسي(١):

فتى الحي، إن تلقاه في الحي أو يُرى   سِوى الحي أو ضمَّ الرِّجال المشاهد

وهو الخطيب الذي تفَوَّقَ على كلِّ زعيم بما أُتِيَ من فصاحة القول وإبانة المعنى وسلامة النُّطق،فهو يُباسط منازعه في الأحاديث ويُطاوله، لا عي يُقْصر حديثه، ولا كبر يُنفِرُ قعيده، فهو طيب المجلس سهل الخُلق سهل الجانب:

إذا نازعَ القوم الأحاديث لم يكن   عييَّاً، ولا عِبئاً على من يُقاعِد

وهو وإن كان تام الخُلق فهو أيضاً حسن القوام تام الجسم، طويل حمائل السيف، وهو في سفره يؤثر غيرهُ الزاد، فبطنه خميص، وطالبه والمعوِّل عليه حامد له شكور:

طويل نجاد السيف يصبح بطنه   خميصاً، وجادِيه على الزَّاد حامد

وهو الفارس الذي يمثل الفتوة بمعناها الأمثل وهذه الفروسية تمثلت في سادات القبائل وأبطالها فهؤلاء الذين تزعموا القبائل لم يصل أحدهم إلى هذه المكانة إلا بما اتّصف به من صفات جعلت أقرانه يرون فيه صفاتاً لا يستطيعون أن يتصفوا بها فنظروا إليه نظرة إعجابٍ وتبجيلٍ فهو "شجاع وكريم وعزيز النفس، يدافع عن قبيلته ويجير المستجير ويعمل على رفع الظلم، وهو حليم، سمح الخلق إلا إذا ظلم فعندئذ يصبح ثورة عارمة.. وهو صادق ووفي يكره الغدر ويأبى نقض المواثيق وهو عفيف

---

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي. ص١٠٦٥.

في الحرب لا يخوضها من أجل السلب والغنائم، ومن هُنا قدَّموهم فأصبحوا هؤلاء الفرسان سادةً في قبائلهم، ويقول الأفوه الأودي في الفخر والفروسية: من الكامل[١]

وإذا الأمورُ تَعاظمتْ وتشَابهتْ ... فهُناكَ يعترفونَ أينَ المَفْزَعُ
وإذا عَجاجُ الموتِ ثارَ وهَلْهَلتْ ... فيهِ الجيادُ إلى الجيادِ تَسَرَّعُ
بالدَّارِعينَ كأنَّها عُصَبُ القَطا الـ ... أسرابِ تَمْعَجُ في العَجاجِ وتَمْزَعُ
كُنا فوارِسَها الذينَ إذا دَعا ... داعي الصَباحِ به إليهِ نَفْزَعُ

وعنترة يقول: من الكامل[٢]

ولقد أبيتُ على الطّوى وأظلُّهُ ... حتى أنالَ بِهِ كريمَ المأكلِ
وإذا الكتيبةُ أحْجَمَتْ وتَلَاحظَتْ ... أُلْفِيتُ خَيْراً مِنْ مُعَمٍّ مُخْوَلِ
والخيلُ تعلمُ والفوارِسُ أنَّني ... فرَّقْتُ جمعَهُمُ بِطَعْنَةِ فَيْصَلِ
إذْ لا أُبادِرُ في المَضيقِ فوارِسي ... أولا أُوَكَّلُ بالرَّعيلِ الأوَّلِ
ولقدْ غَدَوْتُ أمامَ رايةِ غالبٍ ... يومَ الهِياجِ وما غَدَوْتُ بِأعْزَلِ

ويقول عامر بن الطُّفيل وهو من أشهر فُرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسماً: من الكامل[٣]

فَلأَنْعَيَنَّكُمُ المَلا وعَوَارِضاً ... ولأُهْبِطَنَّ الخَيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ
والخيلُ تَرْدي بالكُماةِ كأنّها ... حِدَأٌ[٤] تَتَابَعُ في الطَّرِيقِ الأقْصَدِ

(١) انظر: ديوان الأفوه، قافية العين، دار صادر، بيروت ص٩١.
(٢) انظر: شرح ديوان عنترة، المطبعة العربية مصر، قافية اللام، ص١٠١.
(٣) انظر: ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، ص٥٦.
(٤) جماعة الحِدَأة، وزعم بعض الناس أنها كانت تصيدُ لسليمان بن داود.

من هذه النصوص نستطيع أن ندرك المفهوم المتداول لمعنى الفروسية في العصر الجاهلي كما صورته لنا تلك النصوص، فهي البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم وإطعام الضيف وحماية القبيلة والذود عن المرأة وتلبية دعوة المستغيث واستجابة صرخة المنادي، إلى غير ذلك مما تستوجبه النخوة ويتطلبه الشعور الإنساني ويبدو لي "أنه ليس كل من ركب الفرس فتىً أو شجاعاً بل يمكن أن يمتطيه جباناً، ويقول الشريف الرضي(١):

والخيل عالمةٌ ما فوق أظهُرِها　　　من الرجال جبانٌ كان أم بطل

ويمكن أن يمتطيه سارق فاتك فالصعاليك تميزوا بالشجاعة وبالمغامرة ولكن لا يمكن أن نعدهم أبطالاً لأنهم خرجوا عن عرف قبائلهم فطردوا منها ومن هنا خرجوا عن مفهوم البطولة بمعناها العام، ومن هنا كان كل فتى فارساً وليس كل فارس فتىً.

ومن خلال النظر في بعض أغراض الشعر الجاهلي كالفخر والمدح والرثاء يظهر البطل في هذا العصر بمظهرين: البطل الفردي، والبطل الجمعي وتتجلّى بطولتهما في الجانب الحربي والجانب الخُلُقي.

أما البطل الفردي فهو الذي ينسب البطولة إلى النفس، ونجدُهُ يظهر في شعر عنترة بن شدّاد، وطرفة بن العبد، وفي شعر زُهير بن أبي سُلمى في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف.

ويظهر هذا النمط من البطولة غالباً في مجال الفتوة وهي تعني في ديوان العرب اتصاف المرء بما يوصف به الفتى من النجدة والنشاط وتوقد الذكاء، قال طرفة(٢):

إذا القوم قالوا من فتىً؟ خلت أنني　　　عُنيت، فلم أكسل ولم أتبلَّدِ

---

(١) انظر: ديوان الشريف الرضي، ص١٨٠.

(٢) انظر: ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، المعلقة ص٢٤.

وكذلك تعني الشّجاعة والقوة، يقول عمرو بن كلثوم[(١)]:

نصـبنا مثـل رهـوة ذات حـدٍّ   محافظـةً وكُنَّـا السـابقينا
بفتيـان يـرون القتـل مجـدا   وَشِـيبٍ فـي الحـروبِ مجربينـا

وقد رسم لنا الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد الفتوة الأنموذج في جانبها الفردي بأنّها (العزّة برفض الذُّل والشّجاعة المصحوبة بالقوة الهائلة والكرم والصبر على النائبات، والثبات في القتال، وأنّها ليست بالغنى وجمع المال بل ببذله، فيقول: من الوافر[(٢)]

إذا قنـعَ الفتـى بـذميمِ عـيشٍ   وكـانَ وراءَ سَـجْفٍ كالبنـاتِ
ولـمْ يَهْجِـمْ علـى أسَـدِ المنايـا   ولـم يطعـن صُـدُورَ الصَّـافِناتِ
ولـمْ يَقْـرِ الضُّـيوفَ إذا أتَـوْهُ   ولـم يُـرْوِ السُّـيوفَ مِـنْ الكُمـاةِ
ولـم يَبْلُـغ بِضـربِ الهـامِ مَجْـداً   ولـم يَـكُ صَـابِراً فـي النائبـاتِ
فقـلْ للنَّاعيـاتِ إذا نَعَتْـهُ   ألا فاقصِـرْنَ نَـدْبَ النَّادِبَـاتِ
ولا تَنْـدُبْنَ إلا ليْـثَ غَـابٍ   شُـجاعاً فـي الحـروب الثّـائراتِ
دَعُـوني فـي القِتـالِ أمُـتْ عَزِيْـزاً   فَمَـوتُ العِـزِّ خَيْـرُ مِـنْ حَيَـاةِ

ويقول الحصين بن الحُمام المرّي مادحاً نفسه وقبيلته بالشجاعة والإقدام[(٣)]:

تـأخرتُ أسـتبقي الحيـاةَ فلـم أجِـدْ   لنفسـي حيـاةً مثـل أن أتَقَـدّ مـا
فلسْنا على الأعقاب تُدمى كُلومُنـا   ولكـن علـى أقـدامنا يقطـرُ الـدّما

(١) انظر: ديوان، عمرو بن كلثوم ندار الكتاب العربي، بيروت، ط ١،ص٧٦.
(٢) انظر: شرح ديوان عنترة، للخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت ط١، قافية التاء.
(٣) انظر: التذكرة السعدية في الأشعار العربية، لمحمد العبيدي، مطابع النعمان بغداد، ص٨٥.

البطل الجمعي هو الذي ينسب الأعمال الجليلة من بطولةٍ حربية أو نفسيةٍ إلى القبيلة ويتغنى ببطولاتها، وكثرة حروبها وقوتها وبأسها وحزمها وكثرة عددها وإثارة الفزع في نفوس أعدائها، والمباهاة بالأصل والنسب والآباء والأجداد كما هو في مُعلقة عمرو بن كلثوم.

يقول عمرو بن كلثوم مفتخراً بشجاعة قبيلته: من الوافر[١]

بأنَّا نُوردُ الراياتِ بِيضاً ... ونُصْدِرهنَّ حُمْراً قد روينا

وأيَّامٍ لنا غُرٍّ طوالٍ ... عَصينا المُلكَ فيها أنْ ندينا

وسيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ توَّجُوهُ ... بِتاجِ المُلكِ يَحمي المحْجَرينا

ترَكْنا الخيلَ عاكفَةً عليهِ ... مُقلدةً أعِنتها صُفُونا

وهم دائماً في استعدادٍ للمواجهة والانتقام ممن يقترب من حماهم: من الوافر[٢]

ألا لا يعلمُ الأقوَامُ أنّا ... تَضَعْضعْنا وَأنا قَد ونِيْنَا

ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا ... فنجْهَلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

وهم أصحاب نسبٍ عظيم فشجاعتهم ومكارمهم متأصلة فيهم، وكذلك هم أصحاب سيادة وعزّة فالأمرُ والنهي بيديهم: من الوافر[٣]

ورثنا مَجْدَ علْقَمةَ بن سَيفٍ ... أباح لنا حُصونَ المجْدِ دِينا

ورثتُ مُهَلْهِلاً والخيْرَ مِنهُ ... زُهَيْراً نِعْمَ ذُخرُ الذاخِرينا

ونحن الحاكمُونَ إذا أطِعنا ... ونحنُ العازمُونَ إذا عُصينا

---

(١) انظر: ديوان عمرو بن كلثوم، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ص٦٤.

(٢) انظر: ديوان عمرو بن كلثوم، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ص٦٤.

(٣) انظر: ديوان عمرو بن كلثوم، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ص٦٤.

ونحـــن التـــاركُونَ لِمـــا سَـــخِطْنا ونْحـــن الآخِـــذُونَ لِمـــا رضـــينا
وكُنَّـــا الأيمنـــينَ إذا التقيْنـــا وكـــانَ الأَيْســـرين بَنُـــو أبِينـــا

واللافت للانتباه في قراءة الشعر الجاهلي الذي له علاقة بالفخر أو الحرب عامة، أن جُل الخصائص الحربية تتكرر سواءً على مستوى المعاني أو الصورة الشعرية وذلك من شاعرٍ لآخر، كأن تقرأ مثلاً أبياتاً منسوبة إلى عنترة بن شداد، وهي قريبة مبنى ومعنى من النص السابق، فالشاعران ينسجان على نفس المنوال وهُنا لابُدّ من الإشارة إلى أنّ مبدأ التأثُر والتأثير واضح جلي في الشعر الجاهلي عامة [1].

يقولُ عنترة مُفتخراً بنفسه وبقومه وبما حققه من نصر [2]: من الوافر

ســـلي عَنّـــا الفـــزاريين لمـــا شـــفينا مـــن فوارســـها الكبـــودا
وخلينـــا نساءَهُـــمُ حيـــارى قُبيـل الصُّـبحِ يَلْطِمْـنَ الخـدودا
ملأنـــا ســـائر الأقطـــار خوفـــاً فأضـــحى العـــالمون لنـــا عبيـــدا
وجاوزنـــا الثُّريـــا فـــي عُلاهـــا ولـــم نتـــرك لقاصِـــدنا وفـــودا

ولعل لفظ الفتوة كان الأشيع في ميدان البطولة في العصر الجاهلي وهي لفظةٌ جامعة لكثير من الخلال والمعاني المتباينة، فقد استعملت في معنى الشجاعة والوفاء بالوعد والبر بالعهد والصبر على الشدائد ودفع الملمات وتحمل الأعباء وكثير من الصفات المحمودة.

والفتى عند العرب هو السيد الذي نال السؤدد والشرف بخلاله الكريمة،و أفعاله العظيمة، ويُقال: هذا فتى الحي أي سيده والكامل الجزل من رجاله.

(١) انظر: جدلية القيم في الشعر الجاهلي رُؤية نقدية مُعاصرة، ص٦٢، من منشورات اتحاد الكُتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م.

(٢) انظر: شرح ديوان عنترة، للخطيب، دار الكتاب العربي/ بيروت ط١، ص٥٠.

ويظْهرُ من قِراءة شعر المدح والرثاء والفخر في العصر الجاهلي استقرار ملامح شَخصية البطل العربي ضمن صفات مثالية شَكّلَت "النموذج" الخاص أو الخارق الذي عكفَ الشُّعراء على صُنعِهِ من خلال رصيد ضخم من معاني المروءة: كالكرم والشّجاعة خاصةً، ثُمَّ عراقة النَّسب، والحلم والنجدة والأنفة إلى أقصى ما يُمكن أن يُضاف إلى الصورة المثال من معانٍ وصفاتٍ ضمن دائرة الفضيلة والأخلاق السامية[١]، وقد أسست هذه القيم لأساليب البناء التصويري لها فالشجاعة مثلاً ارتبطت بالأسد، والكرم ارتبط بالبحر، وصورة السُّحب والرِّياح التي تحمل السُّحب المُمطرة إلى الأرض القاحلة، وقد خَلَعَ الشُّعراء هذهِ الصفات على ممدوحيهم من غير حساب فكأنّهم نحتوا صورة هؤلاء الرجال نحتاً، مما أدى إلى جمود المضمون ونمطيّتِه، فما يُقال في هذا الممدوح يُقال في الآخرين.

وهذه البطولة بهذا المفهوم الشمولي تبرز وتتَّضح في المفهوم الإسلامي للبطل والبطولة بأكمل وأضفى صورة، وذلك من خلال تعبير القُرآن عن البطولة بألفاظ مُرادفةٍ لها وهي الرجولة حيناً والفتوة حيناً آخر.

المفهوم الإسلامي للبطولة في عصر صدر الإسلام:

لا يمكن لأي مجتمعٍ إنساني أن يتطور إلا إذا تطورت نظرتُه إلى النموذجِ الذي يُمثله البطل الذي يقوده إلى ذلك التطور والرقي إلاّ أن تطور نظرة المجتمع إليه تحتاجُ إلى ما يُسمّى بالثورة الاجتماعية التي تمسُّ بشكلٍ مباشر أو غير مُباشر شيئاً من ثوابت المجتمع ومرتكزاته، ورسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عارضت بعض الثوابت والمرتكزات المتوارثة، وأقرّت بعض القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، وأتت بصورٍ مماثلة للفتى الجاهلي، وذلك في بداية عصر صدر الإسلام عندما كان شُعراء مشركي قريش يهجون الرسول الكريم

(١) انظر: مجلة جامعة دمشق، مجلد٢٤، العدد ٣. ٤، عام ٢٠٠٨م، فاطمة تجور، ص١٥٧.

فـانبرى لهـم شُـعراء المسـلمين يهجـون قريشـاً ويمـدحون الرسـول والمهـاجرين والأنصار، ويُلاحظ في مدح حسان وغيرُه من الشُّعراء للنبي أنه لا يختلف عن مدح الشُعراء الجاهليين لملوكهم وساداتهم فمدحوا الرسول الكريم بالشجاعة والسعة في الكرم والبطش بالأعداء والوفاء بالعهود ، و قد كان" شغل حسان الإسلامي المدح والفخر، فمدح الرسول صلى الله عليه وسلم يقتضي الفخر بالإسلام، وقد حلّت فيها المعاني الإسلامية محل المعاني الجاهلية وإن لم يخل الفخر من بعض المعاني القديمة، ولكن هذه المعاني كانت تتصل بالقيم التي يحترمها العرب ويجلونها كما يحترمها الإسلام ويجلها مثل الدفاع عن الحمى والكرم والشجاعة ونجدة الضعيف"(١).

يقول حسان بن ثابت في مدح الرسول بجملة من الصفات المثالية كالتقوى والجود والشَّجاعة(٢):

أعنـــي الرســـول فـــإنّ الله فضّـــلَهُ	علـــى الخليقــةِ بــالتقوى وبــالجودِ
ماضٍ على الهول بركانٌ لما قطعوا	إذا الكُمـاةُ تحـاموا فـي الصـناديدِ
وافٍ ومـاضٍ شـهابٌ يُسْتضـاءُ بـه	بـدرٌ أنـار علـى كُـلِّ الأمـا جيـد
مُبــاركٌ كضــياءِ البــدرِ صــورتُهُ	مـا قـال كـان قضـاءً غيـر مـرْدودِ

يقول كعب بن زُهير في مدح الرسول الكريم بالرحمة والعفو(٣):

أُنبئـــتُ أنّ رســـول الله أوعـــدني	والعفــو عنــد رســول الله مــأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ	قــرآن فيهــا مــواعيظٌ وتفصــيلُ
إنّ الرســول لنــورٌ يُستضـــاءُ بـــه	مُهنّــدٌ مــن ســيوف الله مســلول

(١) انظر: الأدب العربي، (عصوره وفنونه وقضاياه)، محمد صالح الشنطي، ص٢٨٠.

(٢) انظر: ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية / بيروت، ط٣، ص٥٠.

(٣) انظر: ديوان كعب بن زهير ، الناشر دار الشوّاف للطباعة والنشر، الرياض، ط١ ، ص١١٤-١١٥.

نجد في أقوال السلف الصالح معنى البطولة متمثلاً في الإقدام وعدم الخور والجبن كمثل قول أبي بكرٍ لخالد بن الوليد، وقول عمرَ بن الخطاب.

قال أبو بكر لخالد بن الوليد: احرص على الموت توهب لك الحياة(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبن والشجاعة غرائز في النَّاس، تلقى الرجل يُقاتل عمن لا يعرف، وتلقى الآخر يفر عن أبيه"(٢)

وأيضاً يقول ابن تيمية: "ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشَّجَاعَة والكرم، بيَّن الله سبحانه أنَّه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه، أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولَّى عنه بإنفاق ماله، أبدل الله به من يقوم بذلك"(٣)

وكذلك البطولة عند الفلاسفة والمفكرين لا تبعد عمّا قاله السلف الصالح، فيقول ابن حزم: "حَدُّ الشَّجاعة بذل النَّفس للموت عن الدِّين والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستَجِير المظلوم، وعن الهضِيمةِ ظُلْماً في المالِ والعِرْض، وسائر سُبل الحقِّ... وبذلها في عرض دُنْيا تَهَوُّرٌ وحُمْق"(٤)

ولكن عندما وقف الهجاء بين مكةَ والمدينة ودخل الناس في دين الله أفواجاً بدأت تظهر مثالية الإسلام في البطل المسلم بصورة جلية في صفتين عظيمتين هما الرُّجولة والفتوة كما رسمها القرآن الكريم، وقبل أن نذكر بعضاً من صور الرجولة والفتوة في هذا العصر، لابُدَّ أن نبين شيئاً من معنى هذين المصطلحين:

---

(١) انظر: العقد الفريد لابن عبدربه ص٩٢،ج١.

(٢) انظر: مكارم الأخلاق لابن أبي الدُّنيا ص٧٠.

(٣) انظر: الاستقامة، لابن القيم، ج/٢، ص٢٦٩.

(٤) انظر: الأخلاق و السير، لابن حزم، دار ابن حزم، ص١٠٥.

معنى الرجولة[١]:

يقول ابن سيدة: وقد يكون الرَّجُل صفة نعني بذلك الشِّدَّة والكمال؛ قال: وعلى ذلك أجاز سيبويه الجر في قولهم مررت برَجُلٍ رَجُلٍ أبوهُ، والأكثر الرفع؛ وقال في موضع آخر: إذا قُلتَ هذا الرَّجُل فقد يجوز أنْ تعني كمالَهُ[٢].

والرُّجولة في أظهر معانيها تعْني اتِّصافَ الإنسان بِما يُوصَفُ بِهِ الرِّجال عادةً من نحو تَحَمُّل الأعباء الثِّقال ومن أبرز ذلك تَحَمُّلُ الرُّسُل الكرام لأعباء الرِّسالة، فقد وصف القرآن الكريم الأنبياء والرسل بأنّهم رجالٌ اجتمعت فيهم كل صفات البطولة الحربية والخلُقية والنفسية، فهم المثال في الشّجاعة والقوة والكرم والصبر والحلم والعدل والنقاء والصفاء والإخلاص وغيرها.. وفي قصص الأنبياء المتعددة في القرآن الكريم رسم هؤلاءِ الرِّجال صوراً بطولية في المقاومة، فهُم لا يستسلمون أمام الظلم، ولا يحنون رؤوسَهم للعدوان ولا يخافون، بل يقفون دائماً موقف الصمود من أجل الرسالة التي آمنوا بها وأُمروا بتبليغها قال تعالى: "وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً"[٣].

وهي أيضاً تدُّل على القوّة والبسالة، يقول ابن سيده: وحَرَّةُ رَجْلاء، لا يُستطاع المشي فيها لخشونتها وصُعُوبتها حتى يُترجَّل فيها. ويُقال: تَرَجَّل القومُ إذا نزلوا من دوابِهِم في الحرب للقتال[٤]. ومن ذلك صدق الرّجُل[٥] فيما عاهد عَلَيْهِ الله من الصدق في مواجهة العدو وذلك بالشِّدَّة عليهم والبسالة في مواجهتهم، قال تعالى: "مِن المُؤمِنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عاهدوا الله عليه[٦]"

(١) أقصدُ بالرُّجولة و الفتوة الوصف و ليس النوع.

(٢) انظر لسان العرب، مادة: رجل.

(٣) انظر: سورة يوسف، آية ١٠٩.

(٤) انظر: لسان العرب، مادة رجل.

(٥) نزلت في أنس بن النضر و أصحابه. انظر تفسير هذه الآية في تفسير ابن كثير.

(٦) انظر: سورة الأحزاب، آية ٣٢

ومنها حُبُّ التَّطَهُر، قال تعالى" فِيْهِ رِجالٌ يُحِبُّون أنْ يَتَطَهَّرُوا"[١]، فالرَّجُولَة الحق تعني تَحَمُّلُ الأعباء والنُّهوض بِها والصِّدق في مواجهة العدو وذلك بالشَّجاعة والقوة والبسالة والطهُارة والنقاء في المخبر والمظهر والبعد عن سفاسف الأمور والتَّطلُّع إلى معاليها.

وقد تكون الرُّجولة صفة اختيارية يتساوى فيها الذكر والأنثى، وقد حكى ابن الأعرابي: أنّ أبا زياد الكلابي قال في حديث له مع امرأته: فتهايج الرَّجُلان يعني نفسه وامرأته، كأنّه أراد فَتَهايجَ الرَّجُل والرَّجُلة فغَلَّبَ المُذَكَّر، وفي الحديث: كانت عائشة، رضي الله عنها رَجُلة الرأي[٢]. ويُقال: امرأة رَجُلَة إذا تشَبَّهت بالرِّجال في الرأي والمعرفة[٣]. قال تعالى: "رِجالٌ لا تُلْهِيْهِم تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ"[٤] ويقول الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسير هذه الآية: هل تعني كلمة رجال في القُرآن أنّه ذكر؟! لا فكلمة رجل أكبر من أن تعني ذَكَراً، بل البطل[٥].

---

(١) انظر: سورة التوبة ١٠٨

(٢) انظر: لسان العرب، مادة رجل.

(٣) نفسه.

(٤) انظر: سورة النُّور، آية رقم ٣٧.

(٥) انظر: موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، رابط: www.nabu.com/brown/ar/brint.bhb?art=4437
www.nabu.com/brown/ar/brint.bhb?art=4437

أمّا الفتوة:

ففي اللغة: الفتاء: الشباب، والفتى والفَتِيَّة: الشاب والشَّابة، والفعل فَتُوَ يَفْتُو فَتاء. فالفتوة هي القوة؛ لأنّ الشباب مصدرها عادة، وقد سَمَّوا الليل والنّهار فَتَيان لقوّتهما، ومن أقوى من الليل والنهار في إذلال كل عزيز، وإضعاف كُل قوي؟ ومن ذلك قول الشّاعر:

ما لبثَ الفتيَان أن عَصَفا به ولكُلِّ قُفْل يسَّرا مِفْتاحا[(١)]

واشتقاق الفتوة من الفتاء بمعنى الشباب تَدلُ على أن الفتى لا بُدَّ أن يكون قوياً شُجاعاً، فيه عزم ومضاء، وهذه صفات الشّباب، ويقول الشيخ المُسن: تَفَتَّيتُ، إذا تَخَلّق بأخلاق الفتيان من قوة جسمية، واحتمال المشاق، والمهارة في الطعن بالرمح، والضرب بالسيف[(٢)].

وقد صوّر القرآن الكريم قوة وشجاعة إبراهيم وجرأته وحكمته في الوقوف أمام الطّغاة وضلالاتهم بالفتوة، قال تعالى: "سَمِعْنا فتىً يذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبراهيم"[(٣)]

وكذلك وصف القرآن الكريم كُلّ من استدلّ على الحق وآمن به وصَبَرَ وثبت على كل أنواع الأذى الذي يلحق به بالفتوة قال تعالى: "إنّهُم فتيةٌ آمنوا بربهم وزدناهم هُدى"[(٤)]

ولكن الفتوة تطورت إلى معانٍ أخرى غير القوة الجسمية فاستُعملت بمعنى السخاء والكرم، قال صاحب المعجم المحيط: الفتوة هي السخاء والكرم وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة[(٥)].

---

(١) انظر: الفتوة عند العرب، عمر الدسوقي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط٣، ص١٢.

(٢) انظر: نفسه، ص١٢.

(٣) انظر: سورة الأنبياء ٦٠

(٤) انظر: سورة الكهف ١٣

(٥) انظر: مُعجم التعريفات للعلامة محمد السيد الجرجاني، دار الفيصلية، القاهرة،ص١٣٨

وجاء في المحيط: الفتى، الشاب والسخي الكريم وهما فتيان وفتوان... والفتوة الكرم وقد تفتى وتفاتى، وفتوتهم غلبتهم فيها.

قال ابن بري: الفتى الكريم، هو في الأصل مصدر فَتِيَ فَتىً وُصِف به، فقيل رجُل فَتىً؛ قال: ويدلُّك على صحة ذلك قول ليلى الأخيلية:

فـإن تكُـنِ القتلـى بَـواءً فـإنَّكُم فتىً ما قتلتُم آلَ عَوفِ بنِ عامرِ[١]

والفتوة في أقوال العلماء هي "استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق" ومعنى هذه العبارة أنّ الفتوة هي التّطبيق العملي والتَّنفيذ الفعلي لما تقتضيه الأخلاق الحميدة التي لا بُدَّ أن يتَحَلّى بها من اتّصف بالفتوة[٢].

وقد لخّص ابن القيم – رحمه الله – أقوال العلماء حول الفتوة عندما ذكر " أنّ أصل الفتوة عندهم هي أن يكون العبدُ أبَدَاً في أمر خدمةِ غيره[٣].

وهكذا استعملت الفتوة في القوة المعنوية قياساً على القوة الجسمية في الحُريّة والكرم والسّعي في أمور الناس، وقضاء حوائجهم، وإظهار النِّعمة وإسرار المحنة، وأن يُنصف المرء غيره ويُنكر نفسه، كل هذه صفات الرُّجولة الكاملة ولذلك قال القتيبي[٤]: ليس الفتى بمعنى الشَّاب والحدث إنما بمعنى الكامل الجزل من الرِّجال، ويدل على ذلك قول الشاعر:

إنّ الفتـى حَمّـالُ كُـلِّ مُلِمّـةٍ لـيس الفتـى بِمُـنَعَّمِ الصـبيانِ

---

(١) انظر: القاموس المُحيط، مادة " الفتاء" الجزء الرابع، ص ٣٧٣

(٢) انظر: مدارج السّالكين، ج/ ٢، ص ٣٥٣.

(٣) نفسه، ج/ ٢، ص ٣٥٣.

(٤) انظر: الفتوة، عمر الدسوقي،ص١٢.

ويبدو لي من خلال ما سلف أنّ المعاني التي تتصف بها الفتوة قريبة من المعاني التي تتصف بها الرُّجولة، ولعل الفتوة رجولة متقدمة تتسم بالقوة والشَّجاعة، والفضائل الأخرى من كرم وحلم وصبر وغيرها.

أمّا الرجولة فيبدو لي أنّها بطولة تبرز غالباً في الجانب المعنوي كالثبات على الحق، والدعوة إليه، والجهر بالحق في وجه سلطان جائر، وكبح رغبات النفس وغيرها.

الرجولة والفتوة من الجانب الحربي في عصر صدر الإسلام:

إذا كانت الرُّجولة والفتوة من الجانب الحربي قبل الإسلام باعثها التَّخلص من عار القعود عن طلب الثأر وعن الصّريخ والاستغاثة، فإن الرجولة والفتوة من الجانب الحربي في المفهوم الإسلامي باعثها الجهاد في سبيل الله وفي حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: الرَّجل يُقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل ليُذكر، ويُقاتل ليُرى مكانه، من في سبيل الله؟ فقال: من قاتلَ، لتكون كلمة الله هي العُليا، فهو في سبيل الله"[١]. والجِهادُ: المُبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء[٢].

والجهاد عند الشافعية والحنابلة: بذل الجُهد في قتال الكفَّار[٣].

وهو عند الحنفية بذل الوسع والطاقة في سبيل الله عزّ وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك، والمبالغة في ذلك للجهاد[٤].

---

(١) انظر: البخاري (١ / ٤٣) رقم ١٢٣، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

(٢) انظر: لسان العرب،لابن منظور،ج/١، باب الجيم، ص٧١٠.

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري،٦/٣.

(٤) انظر: بدائع الصنائع للكاساني،٧٥/٦.

ومن خلال النظر في المعاجم اللُغوية وبعض آيات القرآن وأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعريفات بعض العلماء فإننا نجِد مادة (ج – هـ – د) تدل على التحمل والصبر وبذل قُصارى الجُهد. والمجاهد هو الذي يبذل جُهْدَهُ وطاقتَهُ في مواجهة أعداء الله في ساحة القتال ببذل نفسه فداءً لهذا الدِّين، وهو الذي يُجَاهدُ نفْسَهُ هواها ويَجُودُ بمالِهِ طاعةً لِرَبِّهِ وطَمَعاً فيما عنْدَه، وهو الذي يُسَخِّرُ لِسَانَهُ لكل ما يُعِزُّ هذا الدِّين.

وقد تمثلت صور الرجولة والفتوة في المفهوم الإسلامي في جانبها الحربي في هذا المجاهد الذي امتثل لأوامر الله ولبّى نداءه وأصبحت هذه الأوامر نبراساً له ومنهج حياة قال تعالى "يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثَّاقلتم إلى الأرض.." [١] والمجاهد هو الذي انفق ماله ونفسه في سبيل الله ابتغاء مرضاته وتشوّق لجنّاته وما أعَدّ الله لمن استشهد في سبيل هذه العقيدة التي أرسل بها نبي الرحمة. قال تعالى:" لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا"[٢] فغدا الفتى المسلم لا يكترثُ بالأخطار، ويبذل روحه رخيصة من أجل عقيدة مُفَدّاَة مع الثبات والبسالة في ساحات الوغى، كما في قوله تعالى: "من المؤمنين رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهدوا اللهَ عليه فَمِنْهُم مَن قَضى نحبَهُ ومِنْهُم من ينتظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلا"[٣] ومن هؤلاء الفتيان الشُّجعان الذين لبوا أمر الله ورسوله عمير بن الحمام، وذلك "عندما نهض رسول الله إلى أصحابه في غزوة بدر وأخذ يُحرّضهم ويحثهم ويستنهضهم قائلاً: والذي نفس محمد بيده لا يُقاتلهم اليوم رجل، فيُقتل صابراً مُحتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنّة، فقال عمير بن الحمام الأنصاري وفي يده تمرات يأكلُهنّ: بخٍ بخٍ! فما بيني وبين أن أدخل

(١) انظر: سورة التوبة، رقم الآية ٣٨.

(٢) انظر: سورة النساء، رقم الآية ٩٥.

(٣) انظر: سورة الأحزاب، رقم الآية ٢٣.

الجنّة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثمّ ألقى التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم فاعلاً بهم الأفاعيل حتى قُتِل وهو يقول:

ركضـــــاً إلـــــى الله بغيـــــرِ زادِ   إلا التُّقــــى وعمـــــل المعـــــادِ
والصّـــبرُ فـــي الله علـــى الجهــادِ   وكـــــلُّ زادٍ عُرْضَـــــةُ النّفــــادِ
غيرُ التُّقى والبِّرِ والرّشادِ(١)

وكذلك إذا نظرنا في معظم آيات القرآن الكريم وجدنا أنها تدعو إلى المجاهدة من أجل نشر هذا الدِّين العظيم، والدِّفاع عن عقيدة التوحيد، وكأن الله سبحانه وتعالى لا يُريدُ أن ينتسب إلى هذا الدِّين إلا الرِّجال الذين يتحملون أداء هذه الرسالة وتبليغها إلى كافة الناس. قال تعالى" يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحْفاً فلا تُوَلُّوهم الأدبار" فجملة " فلا تُولُّوهم الأدبار" دالةٌ على المواجهة والإقدام والثبات في القتال، وعدم الفرار وهذه هي الرجولة والفتوة، وأمر الله المسلمين بالثبات في الجهاد والثبات في القتال وهذه هي الرُّجولة قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ".

وأيضاً يُبْرِزُ لنا القرآن صورة أخرى من صور الرُّجولة والفتوة تتجلى في طالوت وجنوده عندما قاموا بمواجهة العمالقة قوم جالوت وهم يفوقونهم في العدد والعدة، فاستطاعوا بشجاعتهم وثباتهم وصبرهم الانتصار بعد توفيق الله، وهذه الآية أنزلها الله على رسوله ليبلِّغها إلى أمَّتِهِ لكي تتربى على الصبر والشجاعة. قال تعالى "ولمَّا بَرَزُوا لجالوتَ وجُنُودِهِ قَالوا رَبَّنا أفرغْ عليْنا صَبْراً وثَبِّتْ أقْدَامَنا وانْصُرْنا على القومِ الكافرين، فهزموهم بإذن الله" وإذا نظرنا إلى أللفظة الأولى في الآية السابقة (برزوا) التي توحي بالمواجهة والانكشاف وجدنا أنّ المواجهة في القتال هي الرُّجولة، كذلك دُعاؤهم في قوله تعالى "ربنا أفرغ علينا صبراً وثَبِّت أقدامنا وانصرنا" يدل على رجولتِهم وفتوتهم وذلك بإقدامهم وثقتهم بالنصر.

---

(١) انظر: البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص٣٨.

ويتضح لنا من خلال ما سبق أنَّ البطولة في المفهوم الإسلامي هي الشجاعة المفرطة متجلِّيةً في المواجهة والإقدام والثبات في القتال والصبروالمجاهدة.

فظهرت في هذا المجاهد أهم مقومات الفتوة وهي الشجاعة الفائقة التي تمثلت في المسلم الذي يُطيع الله ورسوله بامتثال ما أمر الله ورسوله به واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه، فأصبحت الشجاعة والإقدام واجبة على كل مسلم من أجل نشر هذا الدين بمجاهدة من لم يمتثلوا إلى كتاب الله، وسنة رسوله

ومن صور شجاعة وقوة وبسالة الفتى المجاهد في هذا العصر النابعة من حبه لهذا الدِّين ما تجلى في موقف غير واحد من هؤلاء الفتيان في قوله وفعله وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب ومن تلك المواقف ما كان منه في غزوة الخندق عندما طلب النِّزال أحد صناديد قُريش وهو عمرو بن ود، وقد ركب فرساً له، فخرج له على وقال له: يا عمرو، إنّك كنت تعاهد الله ألا يدعوك رجلٌ من قُريش إلى خَلَّتين إلا أخذت منه إحداهما قال: أجل، قال على له: فإني أدعوك إلى الله عزّ وجل وإلى رسوله والإسلام قال: لا حاجة لي بذلك قال: فإني أدعوك إلى النِّزال، قال عمرو: ولِمَ يا بن أخي فإني والله ما أحبُّ أن أقتلك؟ قال علي: ولكني والله أحِبُّ أن أقتُلَكَ: فحمَي عمرو عند ذلك ونزل عن فرسه وضرب وجهه، ثُمّ سار نحو علي، فتنازلا وتصارعا صِراعاً شديداً، وثار الغُبار بينهما حتى حال دونهما، فلما انجلى عنهما شُوهِدَ علي وهو على صدر عمرو يحتزُّ رأسَهُ، ثُمّ وقف وهو يصيحُ بعمرو وانتصاره للأوثان والأنصاب التي كانوا يُقَدِّسونها ويذبحون لها القرابين، كما يصيحُ بالأحزاب الذين تجمّعوا مع قُريش لقتال الرسول وأصحابه:

نصرَ الحجارةَ من سفاهةِ رأيه ... ونصرتُ دِيْنَ مُحمدٍ بِضِرابِ

لا تحسبُنّ الله خاذلَ دينِه ... ونبيِّه يا معشرَ الأحزابِ[(١)]

---

(١) انظر: البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص٤٠.

وكذلك من صور الرجولة والفتوة الإسلامية في هذا العصر المتمثلة في الجرأة والإقدام والثبات والشجاعة الفائقة المرتبطة بحسن التخطيط والقيادة، أنّه لم يقم جيشٌ على مرّ التاريخ قوامه ثلاثة آلاف مُقاتل بالذهاب لقتال جيش الروم الذي قوامه مائة ألف وانضم إلى جيش الروم مائة ألفٍ من عرب الشام وذلك في غزوة مؤتة، وقد تجلّت الفتوة الإسلامية في الجُرأة والإقدام والثبات الذي ظهر به القادة المسلمون وجندهم في هذه المعركة، فهذا الفتى المسلم عبد الله بن رواحة يزحفُ بجيشه إلى العدو، وقد امتلأوا حماسة وحمية، وكلٌّ منهم يود لو لقي مصرعه حتّى تُكتب له الشّهادة، وابن رواحة يُحرّضهم ويحثُّهم منشداً:

لكنّني أسأل الرّحمن مغفرةً   وضربةً ذات فَرْغٍ تَقذفُ الزَّبَدا

أو طعنةً بيديْ حَرّانَ مُجهزةً   بحربةٍ تنفَذَ الأحشاءَ والكبِدا

حتّى يقولوا إذا مرّوا على جَدثي   أرشدك الله من غازٍ وقد رشدا(١)

وهذه المواقف البطولية تتكرر مع كل فتى مسلم في ميادين الشرف والبطولات.

واستمر الشَّعراء في عصر صدر الإسلام يُبرزون الفتوة في هذا العصر في الأغراض الحماسية كالفخر والمدح والرِّثاء بنفس القيم الموروثة من التراث العربي القديم في العصر الجاهلي كالشجاعة والقوة والثبات وبرز في هذا العصر البطل الجمعي متمثلاً في بطولته الحربية والخُلُقية أكثر من البطل الفردي لأن الشُّعراء كانوا يُدركون أن البطل ببطولته إنما هو واحدٌ في أمته التي ربته على هذه البطولة، فهذاالبطل الجاهلي عمرو بن معدي كرب الذي عُرِف ببطولته في العصر الجاهلي

(١) انظر: البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص٤٣.

تتغلغل مبادئ الإسلام في قلبه ويُشيدُ بانتصار المسلمين في معركة القادسية، ويقول(١):

والقادسية حين زاحم رستم — كُنا الحُماةَ بِهنّ كالأشطان
الضاربين بكُلّ أبيض مُخدم — والطاعنين مجامع الأضغانِ

فهم دائماً مستعدون للحرب، وأخلاقُهم أخلاقٌ إسلامية في الحرب؛ لا يُبالغون في الفرح بالانتصار، ولا يحزنون إذا غُلِبوا؛ لأن ذلك مقدّر عند الله، وهم متصفون بالشجاعة المتناهية في مواجهة أعداء الله، وفي نصرة دينه الحنيف وإعلاء كلمة الحق، فلا يخافون الموت ولا يخشونه، بل إنهم يرِدُونَ حِياضه ويستقبلونه بِصُدُرِهِم:

يقول كعب بن زُهير يمدح المهاجِرين:

شُمُّ العرانين أبطالٌ لبُوسُهمُ — من نسجِ داودَ في الهيجا سرابيلُ
لا يفرحون إذا نالت رماحهم — قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
لا يقع الطعنُ إلا في نحورهم — ما إن لهم عن حياضِ الموتِ تهليلُ(٢)

وقد أقرَّ المفهوم الإسلامي للبطولة كثيراً من صور الرُّجولة والفتوة في جانبيها النفسي والخلقي والتي كانت مستقرة في طباع العرب منذ جاهليتهم فعلى الرغم من أنّ العرب كانوا قبل الإسلام قبائل متناحرة إلاّ أنّهم كانوا يتميزون ويتقَدّمون على غيرهم من الأمم الأخرى في العديد من الصفات، فقد ربّتهُم هذه الصحراء القاحلة التي مازالوا يعيشون فيها بالعديد من الصفات وفي مقدمتها الرجولة والفتوة وما يلحقها من الصفات الأخرى كالنجدة والذود عن الحمى وإباء الضيم والكرم وعندما اختار الله سبحانه وتعالى العرب إلى تبليغ الرسالة السماوية، وذلك عندما جعل آخر الرسل والأنبياء

---

(١) انظر: شعر عمرو بن معدي كرب، ص١٧٤.
(٢) شرح ديوان كعب بن زهير ص-٢٥.

منهم، قام الإسلام بعد تغيير عقائدهم إلى عقيدة التوحيد بالمحافظة على هذه القيم والصفات وتهذيب ما يحتاج من هذه الصفات والقيم إلى تهذيب حتّى يصل بمن ينتسب إليه إلى درجة الكمال، ولأن العرب أمّةٌ شجاعة بالفطرة ركّز الإسلام على ما يُحافظ عليها ويُديم وهجُها وذلك بالتربية النفسية والخلُقية.

قال تعالى" يا أيُّها النبيُّ حرّض المؤمنينَ على القتال إن يكن منكم عشرونَ صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنّهم قومٌ لا يفقهون"[(١)]

ويقول ابن السعدي[(٢)] في تفسير الآية السابقة: "يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ أي: حثهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم وينشِّط هممهم، من الترغيب في الجهاد، ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل الشَّجَاعَة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأنَّ الشَّجَاعَة بالمؤمنين أولى من غيرهم فرجلٌ واحدٌ من أبطال المسلمين يغلب عشرة من الشُّجعان غير المسلمين، يا تُرى ما الذي يجعل هؤلاء الأبطال بهذا الثبات والشجاعة؟ حتى إنَّ بطلاً واحداً يتفوق أو يتشجَّع على عشرة من الأبطال الذين رُبما يتفوقون عليه في العُدَّة والعتاد، ما أظُنُّ ذلك إلا بسبب التربية النفسية والخلُقية التي قَوَّت إيمانهم بعقيدتهم ورسالتهم، فأنتجت ذلك الفتى القوي الخارق.

وفي معظم أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أنّهُ استخدم ألفاظاً تحوي معاني الرُّجولة المختلفة، وذلك لحرصه على تربية أمته على الشجاعة الحربية في الجهاد التي تقوم على الثبات والاستبسال في القتال، وأيضاً على الشجاعة النفسية التي تقوم على احتمال الشدائد والحلم والحزم والأنفة والعزة في مواطنها، وعلى الشجاعة

(١) انظر: سورة الأنفال، رقم الآية ٦٥.

(٢) انظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي، ص ١٣٢٠.

الخلقية التي تقوم على صيانة الشرف والكرم، والوفاء بالعهود، وحماية الجار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنِّي فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان"(١)، والمراد بالقوة هنا **كما** قاله النووي أنّها عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة، والصوم، والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظةً عليها، ونحو ذلك وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان سعد يُعلِّم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول: "إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ منهن دبر الصلاة:" اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر، فحدثت به مصعبًا فصدقه"(٢).

قال المهلب: أما استعاذته صلى الله عليه وسلم من الجبن، فإنَّه يؤدي إلى عذاب الآخرة؛ لأنَّه يفر من قرنه في الزحف فيدخل تحت وعيد الله لقوله: وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ، وربما يفتن في دينه، فيرتد لجبن أدركه.

والنبي صلى الله عليه وسلم يحث في الحديث الآتي على الشجاعة الحربية في مواجهة أعداء الإسلام والثبات في ساحات العزة والمجد وعدم الجبن والفرار والانهزام أمام العدو الغازي وذلك في عدم " والتولي يوم الزحف " وعلى الشجاعة النفسية من الحلم وعدم التهور وذلك في عدم" قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق" والشجاعة

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢) رقم: ٢٦٦٤، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

(٢) انظر: الأدب المفرد،للبخاري المطبعة السلفية – القاهرة، باب ٣٤٨، رقم الحديث ٨٠١،ص٢٠٨.

المعنوية مثل الأمانة والعفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات". متفق عليه(١).

ومن خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم نجد حرصه عليه أفضل الصلاة على تهيئة الجانب النفسي للبطل المسلم، ولعل الأعمال البطولية والمواقف الرجولية التي أظهرها الأبطال المسلمون في عصر صدر الإسلام ما هي إلا بسبب تلك التربية العظيمة التي ترفض الجبن وتقرن التولي يوم الزحف مع الإشراك بالله، وفي المقابل تُمجِّدَ الشهيد حتى أنَّه لا يُغسل ولا يكفن بل يدفن بدمه الطاهر تكريماً له وماله من منزلة عظيمة يوم القيامة، وهذه التربية العظيمة تمثَّلها الرسول الكريم فأضفت على رجولتهم الفطرية بطولة حقيقية استمات أصحابها من أجل العقيدة التي آمنوا بها.

إذن قوة الأبطال المسلمين ليست موقوفة على الحياة الحربية بل هم أبطال كذلك في الحياة السلمية، ملكوا فيها الكرم، والسماحة، ولين الجانب، ورجاحة العقل، والسيادة الحقة، فحققوا بذلك صور البطل:الحربية والخلقية، يقول كعب بن زهير في مدح الأنصار: من البسيط(٢)

تزن الجِبالَ رزانةً أحلامهم ... وأكفُّهم خلفٌ من الأمطارِ
الباذلين نفوسهم لنبيهم ... يوم الهياج وسطوة الجبارِ
والمطعمين الضيف حين ينوبهم ... من لحم كوم كالهضاب عشارِ
يتطهرون كأنه نسكٌ لهم ... بدماء من علقوا من الكفارِ
ورثوا السيادةَ كابرا عن كابرِ ... إن الكرامَ هم بنو الأخيارِ

واستمر الشَّعراء في عصر صدر الإسلام يُبرزون الفتوة في هذا العصر في الأغراض الحماسية كالفخر والمدح والرِّثاء بنفس القيم الموروثة من التراث العربي

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٨/ ٢١٧) رقم ٦٨٥٧. ومسلم (١/ ٦٤) رقم ٢٧٢

(٢) انظر: ديوان كعب بن زهير، شرح،د: مفيد قميحة، دار الشّواف للطباعة و النشر،ط١ ص٥٨.

القديم أي في العصر الجاهلي كالجود والشجاعة، والكرم والوفاء والحلم، ولكن المفهوم الإسلامي للفتوة أضاف بعض القيم وتمَّمَ بعضها، فلم تَعُد الفتوة حديثاً عن الأحساب والأنساب، والفخر بالقبيلة أو إطراء عظيم لنيل هبة أو عطيّة، بل إنها صارت مُتأثرة بروح الإسلام ومبادئه، وقد أضاف الإسلام بعض معاني الفتوة الجديدة المنطلقة من قيم الدِّين الإسلام كالذي نراه في شعر حسان بن ثابت عند ما يمدح المهاجرين بحمل الرسالة وتبليغها للناس، ومدح من يتبعها بأنّ ذلك من التقوي . وغيرها من المعاني التي جدّت في عصر صدر الإسلام، يقول حسان بن ثابت يمدح المهاجرين(١):

إنّ الذّوائبَ من فِهْرٍ وإخوتِهم ... قد بينوا سُنّةً للناسِ تُتَّبَعُ

يَرْضى بها كُلَّ من كانت سريرتُهُ ... تَقْوى الإله وبالأمْرِ الذي شَرَعوا

وقد ظهر البطل الفردي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بصفاتٍ جديدة ظهرت مع ظهور الإسلام كالتقوى والورع، ونور الإيمان الذي يشعُّ من وجه النبي، وأخرى موروثة من التراث العربي القديم في العصر الجاهلي كالجود والشجاعة، والسيادة، كذلك ظهرت هذه المعاني الإسلامية في الرثاء، وأصبح المرثي في هذا العصر يؤبَّن بالتقوى والإيمان والخير والبر والرحمة والهداية والطهر والشهادة والبشرى بالجنة، في حين يُهجى المشركون بأن مصيرهم النار، يقول حسان بن ثابت في رثاء حمزة عم الرسول(٢): من الطول

فإنّ جنانَ الخُلدِ مَنْزِلُهُ بِهَا ... وَأمْرُ الَّذي يقضِي الأُمُورَ سَرِيعُ

وقتلاكُمُ في النارِ أفضلُ رزقهم ... حميمُ معاً في جوفها وضريعُ

كذلك رثوا قادتهم بالعدل في الرعية وتدبير شؤونهم يقول الشماخ في رثاء عمر بن الخطاب(٣): من الطويل

---

(١) انظر: ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص١٥٢.

(٢) انظر: ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ص ١٥٧.

(٣) انظر: ديوان الشَّماخ بن ضرار الشيباني، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، ص ٤٤٨.

جزى اللهُ خيراً من أميرٍ وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأدِيم المُمَزَّقِ
فمن يسعَ ويركبْ جناحي نَعَامة ... ليُدرك ما قدَّمتَ بالأمس يُسْبَقُ
قضَيْتَ أموراً غادرتَ بعدها ... بوَائجَ في أكمامها لم تُفَتقِ

ويُلاحظ أنّ الأغراض الحماسية في عصر صدر الإسلام أصبحت تُرسِّخ المعاني الإسلامية في نفوس النّاس والتي حثّ الله ورسوله عليها من التقوى وطاعة الله ورسوله، والالتزام بما جاء به الإسلام من البر بالفقراء والمساكين وصلة الرحم والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد وما إلى ذلك، وأيضاً الشجاعة النفسية كما رسمها القرآن الكريم، قال تعالى" يا أيُّها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم.."(١)، وكما رسمتها السنة النبوية، قال رسول الله "من كان يؤمن بالله واليوم فليقل خيراً أو ليصمت"(٢) وفي هذا العصر ارتسم النموذج الأمثل للبطل الإنسان.

ثالثا: البطل في العصر الأموي:

إذا أردنا أن نتحدث عن صورة البطل في العصر الأموي فلا بُدّ أن نرجع قليلاً إلى آخر عصر صدر الإسلام بعد مقتل عُثمان بن عفّان رضي الله عنه والفتنة التي حدثت بين المسلمين بسبب قتله والصراع الذي نشب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما حول الخلافة، وظهور الخوارج من جيش علي بعد حادثة التحكيم، وبعدما ظهر توافق الشاميين حول معاوية، وتفكك العراقيين وتخاذلهم عن مناصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثُمّ مقتله على يد الخارجي عبد الرحمن بن مُلجم – قبحه الله – ثُمَّ مُبايعة الحسن بن علي بالخلافة، وعندما رأى تخاذُل من بايعوه عن نصرته قام بالتنازل للخلافة لمعاوية بن أبي سُفيان رضي الله عنه سنة ٤٠هـ إيثاراً لوحدة المسلمين وحقن دمائهم وسُمّي ذلك العام بعام الجماعة وانتهت الفتنة بين المسلمين، وهذا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم

(١) انظر: سورة الحجرات، رقم الآية ١١.
(٢) انظر: صحيح البخاري (٨/ ١٣) رقم: ٦٠١٨

وهو يخطب في يوم الجمعة وكان الحسن بجانبه" أيها الناس، إنّ ابني هذا سيِّدٌ، وسَيُصْلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين رواه البخاري[١]. وبدأ ملك بني أمية من (٤١هـ – ١٣٢هـ) وبعد موت مُعاوية بن أبي سُفيان طلب أمير المدينة من قِبَلِ معاوية البيعة ليزيد بن أبي سُفيان من عبد الله بن الزبير والحُسين بن علي فرفضا البيعة، وخرجا من المدينة إلى مكة، فأقاما بها، وأرسلت السرايا في طلب ابن الزبير، ولكنّه انتصر عليها وعَظُمَ شأن ابن الزبير عند ذلك في بلاد الحجاز، واشْتُهِرَ أمره، وبَعُدَ صِيتَهُ وبايعهُ الناس بعد موت يزيد بن أبي سُفيان بيعةً عامة، وفي أثناء مُقام الحسين بمكة كثُرتِ الكتب الواردة عليه من العراق يدعونه إليهم لكي يُبايعوه بالخلافة بعدما علموا بموت معاوية، ويذكرون في كُتُبِهِم أنّهم لم يُبايعوا أحداً إلى الآن، وأنّهم ينتظرون قدومه حتى يُبايُعوه، سار الحسين إلى العراق وتلقاه جيش عبيد الله بن زياد ودارت معركة قوية بينهما قُتِل فيها الحسين بن علي ولم يقم أهل العراق بنصرته سنة ٦١هـ، وفي سنة ٦٣هـ اجتمع ملأٌ من الشيعة على رأس سُليمان بن صُرد ليأخذوا بثأر الحسين بن على عندما ندموا أنهم لم يُناصروه عندما قدم إليهم، وظهر في هذه الفترة الكذاب المختار الثقفي واستقر عندهم، ودعا في الباطن إلى إمامة محمد بن الحنيفة بدون علمه ولقّبهُ بالمهدي فاتّبَعَهُ كثيرٌ من الشيعة وصارت الشيعة فرقتين فرقة تُريد الثأر للحسين وفرقة يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنيفة[٢].

نشأت الدولة الأموية عام ٤١ هـ بعد معركة صفين وبعد أن تنازل الحسن بن علي عن حقه في الخلافة كما تقدم ليُجنب المسلمين ويلات الحروب على أن يكون المسلمون بعدَ وفاة معاوية أحراراً[٣]، وبعد موت معاوية وتولي ابنه يزيد الملك كثُرت الأحزاب السياسية وكل حزبٍ يرى أنه الأحق بالخلافة من هذه الأحزاب.

---

(١) انظر: البداية و النهاية،ج١١، ص١٣٤.

(٢) انظر: البداية و النهاية، ج ١١.

(٣) انظر: في الأدب العربي،د/محمد صالح الشنطي دار الأندلس، حائل،ص٤٣١.

ومن المعروف في هذا العصر أنّ معاني البطولة ارتبطت بالأحزاب السياسية فكل حزب من هذه الأحزاب يرى بأنّه الأحق بالاتباع وأخذ ينسب المعاني البطولية التي اتصف بها الفتى المسلم إلى حزبه، ومما ساعد على بروز بطولات كل حزب ذلك الشعر السياسي الذي توزع بين الأحزاب الأربعة في ظل الدولة الأموية.

أولاً/الخوارج(١): ويبرز في شعر الخوارج البطل السياسي الذي ظلّ مُكافِحاً ضدّ الفكر الذي آمن به وتبناه، وحسبه هو الطريق الحق، والذي لم يسلك طريقهم قاموا بتكفيره ومجاهدته، وظهرت بطولة هذا البطل السياسي في عدة صور منها:

١/البطل المجاهد الذي يسعى إلى تحقيق هدفه من خلال القوة الحربية:

فهذا عمران بن حطان يطلب الشهادة ويرجو أن ينالها كما نالها أصدقاؤه من الخوارج الذين استشهدوا قبله، ولا يتمنى الموت على فراشه كما يموت الجبان.

أُحاذِرُ أن أموتَ على فراشي … وأرجو الموت تحت ذُرى العوالي

ولو أني علمت بأن حتفي … كحتفِ أبي بلالٍ لم أباليَ(٢)

فالبطل عندهم هو القوي الذي يجاهد بكل شجاعة وإقدام ولا يهاب الموت فهو يريد الشهادة ولكنها لا تأتية، يقول قطري بن الفجاءة(٣):

إلى كم تُغادرني السيوفُ ولا أرى … مغازاتَها تدعو إليَّ حِمامِياَ

أُقارعُ عن دارِ الخُلودِ ولا أرى … بقاءً على حالٍ لمن ليس باقيا

ولو قرَّبَ الموتَ القراعُ لقد أنى … لموتي أن يدنوَ لطُولِ قراعيا

---

(١) فرقة تكفيرية اتسمت هذه الفرقة منذ نشأتها بالاعتراض المصاحب للقوة ، فاعترضوا على الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، كما فعل عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي ، وقاتلهم علي عندما خرجوا عليه بعد حادثة التحكيم ، وقاتلهم الزبير بقيادة المهلب بن أبي صفرة وقاتلهم عبد الملك بن مروان بقيادة الحجاج.

(٢) انظر: ديوان الخوارج، نايف معروف،ص١٢٣.

(٣) نفسه،ص١٧٦.

والبطل هو الذي يُصَبِّرُ نفسه ويشجعُها على المجاهدة وطلب الشهادة لأن لدية أجلاً إذا جاء لا يؤخر[١]:

أقــولُ لهــا وقــد طــارت شَــعَاعاً   مــن الأبطــالِ ويحــكِ لــن تُراعــي
فإنـــك لـــو ســـألتِ بقـــاء يـــومٍ   على الأجل الذي لكِ لم تطاعي
فصـبراً فـي مجـال المـوت صـبراً   فمـــا نيـــل الخلـــود بمســـتطاعِ

والبطل هو المجاهد الذي رفض هذه الدُّنيا الفانية وأعرض عنها ابتغاء مرضاة الله، يقول عمران بن حطّان[٢]:

فمـــن يـــكُ همّـــه الُّـــدُّنيا فـــإني   لهـــا والله رب البيـــت قـــالي

البطل هو المجاهد الذي يرى أن اللذة في هذه الحياة(في الجهاد)، فيقول قطري بن الفجاءة إلى سميرة بن الجعد أحد أصحابه حيث أصبح جليساً للحجاج[٣]:

فراجـع أبـا جعـدٍ ولا تـكِ مغضـياً   على ظلمة أعشت جميع النواظر
وتــب توبــةً تُهــدى إليــك شــهادةً   فإنـــك ذو ذنـــبٍ ولســـت بكـــافر
وسـر نحونـا تلـقَ الجهـاد غنيمـةً   تفـدك ابتياعـاً رابحـاً غيـر خاسـرِ

---

(١) انظر: الشعر و طوابعه الشعبية على مر العصور ن شوقي ضيف، ص٣٧.

(٢) انظر: ديوان الخوارج، نايف معروف،ص١٢٩.

(٣) نفسه، ص١٦٧.

وأيضاً نرى المرأة البطلة الخارجية المعتنقة لفكر الخوارج فهي مجاهدة طالبةٌ للموت بكل بسالة وشجاعة فهذه زوجة قطري بن الفجاءة أمُّ حكيم تعبت من هذه الحياة الفانية وتريد جنات الخلود(١):

أحمـلُ رأسـاً قـد سـئمت حَمْلَـهُ

وقـد مللـت دهنـه وغسـلهُ

ألا فتـى يحمـلُ عنـي ثِقْلـة

ويبدو لي أنه في معظم شعر الخوارج نجد البطل الخارجي محباً للموت ذاماً للحياة الفانية، وذلك لغلوهم في الدين بسبب قلة علمهم، وإشهارهم السيف في وجه عامة المسلمين مما جعل الأمة الإسلامية تجتمع على محاربتهم، ومطاردتهم في كل مكان مما اضطرهم للمواجهة بكل بسالة وشجاعة، واستعانتهم بدافعٍ معنوي يُحمسهم ويزيد من قوتهم في الجهاد والاستشهاد في سبيل بقائهم.

٢/ **البطل المجاهد** الذي يتصف بالقوة القولية في الثورة على العيوب والمفاسد الاجتماعية والسياسية التي تُخالف مُعتقدهم، فثاروا على الخلفاء والحكام والوزراء وعلى كل من خالف معتقدهم:

فهو البطل الجريء الثائر على الولاة ويصفهم بالظلمة لأنهم يظلمون أهل الحق من الخوارج،يقول أبو بلال مرداس ثائراً على الولاة(٢):

وقد أظهروا لجور الولاة وأجمعوا ... على ظلم أهل الحقِّ بالغدرِ والكفرِ

وفيـك إلهـي إن أردت مُغيـرُ ... لكـل الـذي يـأتي إلينـا بنـو صـخرِ

(١) انظر: ديوان الخوارج نايف معروف، ص ٢٧.

(٢) انظر: ديوان الخوارج نايف معروف ،١٩٣.

وكذلك يقول أحد الخوارج جامعاً بين عمرو بن العاص والإمام علي رضي الله عنه ومعاوية:

أبرا إلى الله من عمرو وشيعته ومِن علي ومن أصحاب صفينِ
ومن معاوية العاوي وشيعتهِ لا بارك الله في القوم الملاعينِ[١]

البطل الثائر بلسانه على المجتمع لأنهم تركوا الجهاد وانطلقوا لجمع المال، فهذا الطرماح بن حكيم مهاجماً الأغنياء الذين شغلهم المال عن الجهاد[٢]:

عجباً ما عجبت للجامع المال يباهي به ويرتعدهُ
وصنعُ الذي يُصيْرهُ الله إليه فليس يعتقدُهُ
يومَ لا ينفعُ المخول ذا الثـ روةِ خلانه ولا ولدُهُ

ويبدو لي أنه بسبب المذهب السياسي الذي اعتنقه البطل الخارجي قام بالثورة على الفرق السياسية الأخرى وسلّط لسانه لكشف ما في ولاة المسلمين ومجتمعهم من كفر وضلال؛ لأنهم خرجوا عن المذهب الصحيح، وعلى ذلك لابُدّ من إظهار عيوبهم وكشفهم.

(١) انظر: ديوان الخوارج. نايف معروف ص٢٤.
(٢) انظر: ديوان الخوارج ، نايف معروف ص٨٤.

٣ / البطل الخلقي:

البطل الذي يشتهر بعفافه وحلمه وجوده والمحافظة على واجبات دينه يبدو واضحاً جلياً في شعر الخوارج، تقول مليكة الشيبانية ترثي عمها(١):

أيـن الـذين إذا ذكـرتُ فِعـالَهم ... عُرِفـوا بِحُسـنِ عفافـةٍ ووقـارِ
أيـن الـذين إذا أتـاهم سـائل ... بـذلوا لـه أمـوالهم بيسـارِ
أيـن الـذين إذا ذكرنـا ديـنهم ... قالـت عشـائرهم: هـمُ الأخيـار

ويرثي عمرو بن الحصين أبا حمزة من الشراة ويمدحه بالتقوى والصلاح(٢):

تـرّاك مـا تهـوى النفـوس إذا ... رغـبُ النفـوس دعـت إلـى النَّـذرِ
ومُبَّـراً مـن كُـلِّ سـيئةٍ ... عَـفَّ الهـوى ذي جـرَّةٍ شـزرِ

وهو يتصف بطلاقة اللسان ورجاحة العقل، يقول عمرو بن الحصين في رثائه لأبي حمزة الشاري(٣):

طلـق اللسـان بكـلِّ مُحكمـةٍ ... رأبُ صـدعِ العظـمِ ذي الكسـر
قَـوّالُ مُحكمـةٍ وذي فَهـمٍ ... عـفُّ الهـوى مُتَثَبّـتُ الأمـرِ

---

(١) انظر: ديوان، نايف معروف، ص٢٠٢.
(٢) انظر: ديوان الخوارج ص١٤٢.
(٣) نفسه.

٤/ البطل الزاهد:

فالبطل الخارجي زاهدٌ في ملذات الحياة من مالٍ وأهل، وأصحاب؛ لأنه يطلب ما عند الله، يقول الصحاري بن شبيب[١]:

إنني شارٍ بنفسي لربي   تاركٌ قيلاً لديهم وقالا
بائعٌ أهلي ومالي أرجو   في جنان الخُلدِ أهلاً ومالا

وهو أيضاً ترك حياة الملهيات والظلمات من تضييعٍ للوقت في قول الشعر ومعاقرة الخمر؛ رغبةً فيما عند الله، يقول الأعرج المعني[٢]:

تركتُ الشعر واستبدلتُ منهُ   إذا داعي صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريكٌ   وودّعتُ المدامةَ والنُّدامى

ويظهر لي أن هذا الزهد الذي طغى في الشعر الخارجي هو من الدواعي والأسباب التي أدت إلى شجاعتهم وثباتهم في الحروب، ويظهر في شعر الخوارج تفوق البطل الفردي على البطل الجمعي.

ثانياً/ الشيعة: الذي كان يُقابل حزب الخوارج في العراق حزب الشيعة، وهو لا يقل أهمية عنه بل لعله أبعد منه خطراً في تاريخ الأمة، وقبل أن نتحدث عن صورة البطل في حزب الشيعة في العصر الأموي لابُدَّ أن نُعَرِّجَ على بداية التَّشيُّع وعلى عقائد الشيعة حتّى يكون للبحث قيمة عليمة.

لعل بذور التَّشيُّع بدأت حينما سخط الناس على عثمان بن عفّان رضي الله عنه أخذَ كثيرٌ منهم يبحثون سِرّاً عن خليفة جديد، وكان عليٌ أحد من اتجهت إليه الأنظار، بل لقد أخذت تتكون له بطانة، وهي التي سُمِّيت فيما بعد بالشيعة.

---

(١) انظر: ديوان الخوارج ص٨١.

(٢) انظر: ديوان الخوارج ص٨١.

ومعنى ذلك أنّ الشيعة أخذوا في الظهور بشكل واضح قبل أن يُقتل عثمان فلما قُتِل أسرعوا إلى عليٍّ وبايعوه بالخلافة ومن حينئذٍ تكوَّن هذا الحزب تكوُّناً سياسياً، وكان من أهم مبادئه أن يُختار عليٌّ للخلافة من بني هاشم فهم آل الرسول، وهم أولى الناس وأحقّهم بخلافته، ولما انتقل عليٌّ إلى العراق واتّخذ الكوفة حاضرةً له كان من الطبيعي بعد ذلك أن تصبح حاضرةَ هذا الحزب، وقد أخذ يُشايعه هناك كثير من أهل العراق بحكم أنه إمامهم، ثُمَّ بحكم أنه نقل دولته إليهم، فقد جعل الدولة العربية كُأنها دولتهم، ولذلك كان اسم عليٍّ بعدَ مقتله وتحول الخلافة إلى الشام يرمز إلى دولتهم المفقودة، وقد وجدَ الموالي في العراق من النبط والفرس وغيرهم في ظل عليٍّ ما لم يٌحققه لهم الأمويون إذ كان يذهب إلى المساواة بينهم وبين العرب في الحقوق فكان هذا كله سبباً في أن تُصبح العراق والكوفة بالأخص مركز تشيُّع لعليٍّ وآله.

وأساس عقائد الشيعة الإمامة وأنها من حقوق البيت النبوي وقد ذهبوا إلى أن إمامة عليٍّ نصّ عليها الرسول عليه الصلاة والسلام فقد أوصى له، ومن هُنا تأتي عقيدة الوصية التي يدين بها الشيعة جميعاً، وأنهم أيضاً معصومون وعندهم من العلم كل ما يحتاج إليه الناس في دينهم ودُنياهم، وأيضاً من عقائدهم المهدي الذي يُنقذ بزعمهم العالم مما فيه من شرور وآثام، وأيضاً من عقائدهم التقيَّة أو المداراة وأن من حق الشيعي أن يُخفي تشيُّعه، وأدخل عبد الله بن سبأ في فكر الشيعة كذلك خرافات منها أنّ في عليٍّ جزءاً إلهياً وهو أول من قال برجعة عليٍّ وأنّه لم يمت، ولعل من آراء ابن سبأ ما يُشير إلى أن عناصر أجنبية أخذت تدخل في التشيُّع حتى ليزعم بعض الباحثين أن غُلاة الشيعة بثُّوا في التشيُّع مع مرور الزمن كثيراً من دياناتهم الأولى فدخلت فيه عناصر من اليهودية والنصرانية كما عند ابن سبأ ودخلت فيه عناصر من الزرادشتية والمانوية الفارسيتين ومن البوذية والهندية، وكثُر ذلك أيضاً عندما انتقل مركز التشيُّع إلى خراسان. وفرق الشيعة كثيرة أُشتُهِرَتْ منها في عصر بني أمية فرقتان إحداهما غالية وهي الكيسانية وزعيمها المختار الثقفي ومعتدلة وهي الزيدية.

ومن شعراء الكيسانية كُثير عزَّة يقول أبو الفرج الأصفهاني فيه: "كان غالياً في التشيُّع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ" وفي ديوانه مدائح كثيرة في ابن الحنيفة، وشاعر الزيدية الكميت بن زيد الأسدي.

لم تظهر صورة البطل عند الشيعة الكيسانية في صورتها الحربية والسياسية في شعر شُعرائها ولعله بسبب ما يعتقدونه من عقيدة التقية التي يستخدمونها في ذلك العصر وما زالوا يستخدمونها ولكن ظهر بطلهم في صورته الدينية والخلقية بشيء يسير فهو الأحق بإمامة المسلمين بعد النبي فهو خيرهم لأنه من آل بيته، يقول كُثيِّر عزّة في مدح محمد بن الحنيفة بن علي بن أبي طالب(١):

أنتَ إمامُ الحقِّ لسنا نمْتري

أنتَ الذي نرضى به ونرتَجي

أنتَ ابنُ خيرِ الناس من بعد النبي

فهو أحق بإمامة المسلمين ليس لأنه من آل بيت النبي وحسب بل لأن النبي وصى له بذلك فهو يقوم بما يقوم به النبي يقضي عن الناس مغارمهم ويفك أغلالهم(٢):

وصيُّ النبيُّ المصطفى وابن عمِّه وفكّاك أغلالٍ وقاضي مغارم

وهو ذو خُلقٍ كريم يتصف بالتواضع ويتلطف مع الناس مع علو منزلته وليس ذلك بغريب فهو المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت ظُلماً وجوراً(٣):

أقرَّ الله عيني إذ دعاني أمين الله يلطفُ بالسؤالِ

هو المهديُّ خبرناه كعبٌ أخو الأحبار في الحقب الخوالي

(١) انظر: ديوان كثير عزّة، جمع،الدكتور: إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، ص ٤٩٦.

(٢) نفسه، ص٢٢٥.

(٣) انظر: ديوان كثير عزّة، جمع،الدكتور: إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، ص ٢٣٢

فنلاحظ أن صورة البطل عند الشيعة الكيسانية برزت في صورة البطل الفردي في صورته الدينية فقط ولعل ذلك كما أسلفنا لممارستهم عقيدة التقيّة

أما صورة البطل السياسي عند الشيعة الزَّيدِيَّة في شعر شاعرهم الكميت بن زيد الأسدي فنراها في صورته الدينية والخلقية والحربية متمثلة في النمط الجمعي والنمط الفردي وإن فاق النمط الجمعي عند هذه الفرقة على النمط الفردي فالأبطال في شعر شاعرهم هم الهاشميون.

فهم سادة أقوياء في القول والفعل، يضارعون الآساد شجاعة في الحروب، والغيوث عطاءً زمن القحط و الجدب(١): من الخفيف

فهم الأُسدُ في الوَغَى لا اللَّواتي   بين خِيْسِ العرينِ والآجامِ(٢)

وهم مع فرط شجاعتهم بعيدون عن التهور، فهم دائماً مستعدون بكل وسائل النصر من أسلحة قوية وقوة جسدية(٣): من الخفيف

لا معازيلَ(٤) في الحروبِ تنابِيْـ   ـل ولا رائمِيْن بَوَّ اهتِضامِ

وهم وما يمتلكون من الشجاعة الفائقة والأسلحة القوية،يحسنون التعامل مع الرعية بما أكرمهم الله من حسن الخُلُق(٥): من الخفيف

ساسةٌ لا كمنْ يرى رِعْيَةَ النا   سِ سَوَاءً ورِعْيَةَ الأنعامِ

(١) انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، دار صادر – بيروت ط١، ص٤٩٥.

(٢) و يروى:" العرين ذي الآجام"

(٣) انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، دار صادر – بيروت ط١، ص٤٩٦.

(٤) المعازيل: الذين لا سلاح معهم.

(٥) انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، دار صادر – بيروت ط١، ص٤٩٧.

وهم على ما عُرِفوا به من الشجاعة والجُرأة والإقدام في الحرب، كُرماءُ كالغيثِ عند القحط إذا وهبوا(١): من الخفيف

أسدُ حَرْبٍ غُيُوثُ جَدْبٍ بهالي   لُ مقَاوِيْلُ غيْرُ ما أفْدامِ

وهم أيضاً سادةٌ أقوياءُ يذودون عن الأعراض بكُلِّ ما أوتوا من قوة؛ لأنهم رجالٌ غُيَرٌ يقدمون أنفسهم رخيصة على ألاّ تُمسَ أعراضهم بسوء(٢):

سادةٍ ذادةٍ(٣) عن الخُرَّدِ والبيـ   ـضِ إذا اليومُ كانَ كالأيامِ

ومغاييرَ عِنْدَهُنَّ مغاوِيْـ   ـرَ مساعيْرَ ليلةَ الإلجامِ

ولم يخلُ شعر الكُميت بن زيد في مدح الهاشميين من صورة البطل (الفردي) ،وبخاصة حينما يتطرق الشعر إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإلى علي وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، فالبطل خير أهل الأرض قاطبة في جميع مراحل حياته المختلفة وبعد موته ودفنه، وهو سراج من الله تعالى إلى الخلق كافة(٤):

إلى السراج المُنيرِ أحمدَ لا   تَعْدِلُني رغْبَةً ولا رَهَبُ

والبطل هو علي بن أبي طالب فهو المستحق لولاية الأمر بعد الرسول الكريم لأنّ مؤدبه هو الرسول الكريم(٥):

ونعْمَ ولِيُّ الأمرِ بَعْدَ وَلِيْهِ   ومُنْتَجَعُ التَّقْوى ونِعْمَ المؤدِبُ

---

(١) انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، دار صادر – بيروت ط١، ص٤٩٥.

(٢) انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، دار صادر – بيروت ط١، ص٤٩٥

(٣) سادةٍ: جمع سيِّد. و ذادةٍ: جمع ذائد، و هو الذي يذود و يحمي عن أهله.

(٤) انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، دار صادر – بيروت ط١، ص٥٦٢

(٥) انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، دار صادر – بيروت ط١، ص٥٤٠

وبهذا جاء البطل السياسي في شعر الكميت بن زيد الأسدي في مدحه للهاشميين في صوره الدينية والخلقية والحربية، وغلب فيه النمط الجمعي على النمط الفردي.

ثالثاً/ الزبيريون: جاء البطل السياسي عند الزبيريين في عدة صور منها: البطل الديني، والبطل الحربي، والبطل الخُلُقي.

فهو خليفة المسلمين الذي اجتمع الناس عليه وبايعوه على الخلافة، فيقول ابن قيس الرُّقيات مادحاً مصعب بن الزبير(١): من الطويل

على بيعة الإسلام بايعنَ مُصعباً ... كراديس من خيلٍ وجمعاً ضُباريا

وهو أمير المؤمنين المحبوب من الرعية، والذي كان لخبر مقتله على نفوسِ أتباعه وقعٌ وأثرٌ كبيرٌ(٢): من الوافر

أتاك بِيَاسِرَ النَّبأُ الجليلُ ... فَلَيْلُكَ إذ أتاكَ بهِ طويلُ

أتاك بأنَّ خير النَّاس إلا ... أمِيرَ المؤمنين بها قتيل

وهو الخليفة الذي يتصفُ بكل الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يتولى خلافة المسلمين من نسبٍ رفيع وتقوى وعفاف وعدل إلا أنّ أبرز صفةٍ علقت به هي الكرم(٣): من الطويل

شبيهُ عثمانَ بن عفّان هَدْيُهُ ... ومروان لا يُزْرِي به الأبوانِ

ألا إن عبدَ اللهِ والحمدَ والنّدى ... حليفانِ حتى الموتِ مُصْطفَيانِ

---

(١) انظر: ديوان، عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر ص١٣٢.

(٢) انظر: ديوان، عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر ص١٣٣

(٣) انظر: ديوان،عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر ص٢٥.

هو أيضاً ملك لا يخاف في الله لومة لائم، لأنه يطبِّق شرع الله بالعدل، ومتصفٌ بالتُّقى الذي أخرجه عن الظلم[(١)]:

إنما مصعبُ شهابٌ من الله ... تجلت عن وجهه الظلماءُ
مُلْكهُ مُلكُ قوةٍ ليس فيهِ ... جَبَرُوتٌ ولا بهِ كبرياءُ
يتقي اللهُ في الأمورِ وقد أفلـ ... ـحَ من كان هَمّهُ الاتِّقاءُ

وهو وإن عُرِف بتقواه وكرمه عُرف أيضاً بقوته وشجاعته في الحروب[(٢)]:

إذا فَرغت أظفارُه منْ قبيلةٍ ... أمالَ على أُخرى السيوف البواتِكا

وهو أيضاً كما اشتُهِرَ بقوته وشجاعته أُشتُهرَ بغيرته على الدِّين فخلَّصه من أصحاب الفتن بقوة السيف[(٣)]: من الخفيف

والذي نغَّصَ ابنَ دوْمةَ[(٤)] ما تو ... حِي الشَّياطينُ والسيوفُ ظماءُ
فأباحَ العِراقَ يَضْرِبُهُمْ بالسيـ ... ـفِ صلتاً وفي الضِّرابِ غلاءُ

وهو مما عَرَفَهُ الناس عنه من قوةٍ وشجاعةٍ هابه عدوه وخشي لقاءَهُ ومواجهتَهُ[(٥)]: من الوافر

يُهابُ صريفُ نابيهِ ويُخْشَى ... إذا عَدَلتْ شَقَاشِقَها الفحولُ

---

(١) انظر: ديوان،عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر ص٩١.
(٢) انظر: ديوان،عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر ص١٣٢
(٣) انظر: ديوان، عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر ص٩٠.
(٤) المختار الثقفي.
(٥) انظر: ديوان، عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر نفسه ص١٣٣

ومثلما جاء البطل في شعر الزبيريين في نمطه الفردي فقد جاء كذلك في نمطه الجمعي؛ فهم ملوك الأرض، لا تصلح الدُّنيا إلا بهم بما يتمتعون به من قوةٍ متناهيةٍ وحلمٍ يُحسدون عليه[(١)]: من المنسرح

مــا نقِمــوا مــن بنـــي أمَيَّـــةَ إلا   أنّهُـــمْ يحلُمُـــون إن غَضِـــبوا

وأنّهـــم مَعْـــدِنُ الملـــوكِ فـــلا   تَصْـــلُحُ إلا علـــيهمُ العَـــرَبُ[(٢)]

وهم ملوك يتصفون بالاتّزان في أفعالهم، فلا يطيشون في وقت فرحهم ووقت حُزنهم.

ليْسُـــوا مَفَـــاريحَ عِنْـــدَ نَـــوْبَتِهِم   ولا مجـــازِيَعَ إن هُـــم نُكِبُـــوا

وبما أنهم ملوك اتَّصفوا بالسيادة، فإنّ مجالسهم وأفنيتَهُمْ واسِعةٌ لم تضق على طالبي المعروف، فيقول الشاعر[(٣)]:

إن جلســوا لــم تَضِــق مجالِسُــهُم   والأُسْــدُ أُسُــدُ العــرين إن رَكِبُــوا

وبهذا جاء البطل السياسي في شعر الزبيريين في صورة البطل الديني والبطل الحربي والبطل الخُلُقي، كما جاء في نمطيه الفردي والجمعي.

رابعاً: حزب بني أمية: وهو حزب الدولة والحكومة، وكان يندمج فيه أهل الشام وكثير من أهل البلدان الأخرى، فهو حزب السواد الأعظم، وكان لهذا الحزب الذائدون عنه والمدافعون الذين يدفعون خصومه من الزبيريين والخوارج والشيعة، وإذا أغضينا النظر عن الزبيريين لأن حزبهم كان عارضاً ولم يستمر طويلاً، وانتهى بمقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وكذلك عن الخوارج لأنهم خرجوا

(١) انظر: ديوان، عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر نفسه ص٤.

(٢) انظر: ديوان، عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر ص٤.

(٣) انظر: ديوان، عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادرص٦.

على جمهور الأمة، فإن عامة الناس كانوا على قسمين قسم مع بني هاشم وهم الشيعة، وقسم مع الأمويين، ومن خلال التنافس بين الحزبين، نجد أن صورة البطل الديني عند بني أمية لوّنت بعناصر دينية شبيهةً بالبطل الدِّيني عند الأحزاب السياسية الأخرى، وإن كانت لها الغلبة في شعر شُعراء بني أمية على بقية صور البطل الأخرى من حربية وخُلقية وتجلى في شعرهم صورة البطل بنمطية الفردي والجمعي غير أنه كان للبطل الفردي الغلبة، فهو أمير المؤمنين اصطفاه الله لِخَلْقِه، ووكَّلَ إليه شُئونهم يُدَبِّرها كما يشاءُ[1]:

هو الذي جمعَ الرحمن أمَّتَهُ ... على يَدَيْهِ وكانوا قبْلَهُ شِيَعا

إنّ الوليدَ أميرُ المؤمنين له ... مُلْكٌ عليه أعانَ الله فارتفعا

وهو أمير المؤمنين الذي تعوّدَ عل الكرم فالكرم مُتأصِّلٌ فيه فهو يُظهر البشر إلى من قصده قبل أن يسأله فيُبعدُ عن السائل همومَهُ وحُزْنَهُ:

إليك أمير المؤمنين رَحَلتُها ... على الطائر الميمون والمنزل الرّحبِ

إلى مؤمنٍ تَجْلو صَفِيْحةَ وجههِ ... بلابلُ تَغْشى من همومٍ ومن كَرْبِ[2]

وهو خليفة الله الذي استخلفه الله على أرضه، فطبّق شرعه، وأمر بسنته:

خليفة اللهِ يُسْتَسْقى بِسُنّتِهِ ... الغيثُ من عند مولي العلم مُنْتخب

وهو أيضاً إمام عادلٌ:

إنّ الذي بعثَ النبيَّ محمداً ... جعل الخلافةَ في الإمامِ العادلِ

---

(١) انظر: ديوان عدي بن الرقاع، ص٨٣.

(٢) انظر: ديوان الأخطل، ص٢٥.

وهو خليفة الله الذي يُحسنُ سياسة رعيته، فهو حازمٌ إذا رأى أنّ الحزم هو الخير، ويستخدم الحلم إذا رأى أن الحلم هو الخير، فيقول الرُّقيات في مدح عبد العزيز بن مروان[(١)]:

مُجَـرَّبُ الحَـزمِ فـي الأمـورِ وإنْ ‌ ‌ ‌ خَفّـتْ حُلُـومٌ بأهِلِهـا حَلُمـا

ومن حسن سياسته أنّه ذو منهجٍ واضح، ويتصف ببعدُ نظره في الأمور، فيقول جرير يمدح الحجاج[(٢)]:

إنّ ابـن يوسـفَ فـاعلموا وتيقنـوا ‌ ‌ ‌ ماضـي البصـيرةِ واضـحُ المنهـاجِ

والبطل بجانب حزمه وحسن سياسته كريمٌ مُتلفٌ للمال إذا السنون أجدبت على أهلها، وهو بارز بشجاعته وقوته ثابت الجنان قوي الطعن، لا يلتفت إلى هول المعركة وما فيها من ضجة الحرب وظلمتها من ارتفاع الغبار وانتشاره في المعركة، فيقول جرير في مدح يحي بن مبشر[(٣)]:

مـأوى الجيـاعِ إذا السـنونُ تتابعـت ‌ ‌ ‌ وفتـى الطِّعـانِ عشـيّةَ العِصْـوادِ[(٤)]
والخيـلُ سـاطِعَةُ الغُبـارِ كأنّـهُ ‌ ‌ ‌ أجَـمٌ يُحَـرَّقُ أو رَعِيْـلُ جَـرادِ
ثبـتُ الطِّعـانِ إذا الكُمـاةُ أذَلّهَـا ‌ ‌ ‌ عَـرَقُ المتـونِ يَجُلْـنَ بالألبـادِ

---

(١) انظر: ديوان الرُّقيات، ص٥٢.
(٢) انظر: ديوان جرير،ص٧٤.
(٣) انظر: ديوان جرير، ص٩٨ .
(٤) العِصْوادِ: الضجة في الحرب

وكما جاء البطل ذا نمط فردي في هذا القسم من الشعر الأموي فقد جاء كذلك ذا نمط جمعي، فهم الملوك بل خيرهم فقد ورثوا الملك كابراً عن كابر، وهم أكرم الناس فالكرم ورثوه من آبائهم[١]:

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

فالله اختارهم من بين الخلائق ليكونوا خلفاء في أرضه؛ لطيب فعالهم مع خلقه، وفيض كرمهم[٢]:

وقد جعل الله الخلافةَ فيكمُ بأبيضَ لا عاري الخوان ولا جَدْبِ

وهم مع بشرهم لمن يقدِمُ عليهم من السائلين، إلا أنّهم يُبادِرون بالكرم قبل سؤال الناس لهم[٣]:

هم الذين يُبارون الرياحَ إذا قلَّ الطّعامُ على العافينَ أو قتروا

وهم المتفوقون على أقرانهم في كلِّ صفات السيادة من كثرة العدد، وأصالة النسب، وكثرة القِرى وقت الشِّدّة:

بيضٌ مصاليتُ لم يعدل بهم أحدٌ بكُلِّ مُعْظمةٍ، من سادةِ العربِ[٤]

الأكثرين حصى والأطيبين ثرى والأحمدينَ قِرى في شِدّةِ اللِّزَبِ[٥]

---

(١) انظر: ديوان جرير ص٧٧.

(٢) انظر: ديوان الأخطل ص٢٧.

(٣) انظر: ديوان الأخطل ص١٠٦.

(٤) انظر: ديوان الأخطل ص٣٦.

(٥) اللزب: القحط.

وهم أصحاب همةٍ عالية في الوصول إلى غايتهم، وبذلك لا يلتفتون إلى زينة الدُّنيا التي تُشْغلهم دون الوصول إلى غايتهم:

قــومٌ إذا حــاربوا شَــدُّوا مــآزِرَهُم   دون النِّساءِ، ولو باتت بأطهارِ (١)

وهم وإن مكنهم الله من خلافة الأرض، ومكنهم من امتلاك القوة التي يتغلبون بها على أعدائهم إلا أنهم حُلماء يعفون عمّن أساء إليهم إذا قدروا:

شُـمْسُ العـداوةِ حتـى يُسـتقادَ لهُـمْ   وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا(٢)

وهكذا جاء البطل السياسي في الشعر الأموي في صوره الدِّينية والخلقية والحربية، ونمطه الفردي والجمعي، وأيضاً ظهر في هذا العصر(البطل القبلي) في صوره:الدينية والخُلُقية والحربية، ولكنه في نمطه الجمعي. فالأبطال في القبيلة طامحون للمجد، وهم يسيرون إليه حيث كان:

فإنــا حيــثُ حَــلّ المجــدُ يومــاً   حللنــاه وسِــرنا حيــثُ ســارا(٣)

فهم من بيت عزٍّ وشرفٍ، وهذه الزعامة هي هبة من الله تعالى وما يهب الله لا يستطيع أحدٌ نقله:

إنَّ الـذي سَـمكَ السـماءَ بنـى لنـا   بيتــاً دَعائِمُــهُ أعَــزُّ وأطــولُ
بيْتـاً بنـاهُ لنـا المليـكُ، ومـا بنـى   حكَـمُ السـماءِ، فإنّـهُ لا يُنْقَـلُ(٤)

---

(١) انظر: ديوان الأخطل،ص١٤٤.
(٢) نفسه، ص١٠٦.
(٣) نفسه، ص١٢٠.
(٤) انظر: ديوان الفرزدق، ص٤٨٩.

وهم في الحرب ذوو قوةٍ وبطشٍ، ولكنهم في السلم ذوو أحلامٍ كالجبال[(١)]:

حُكـامُ فصـلٍ وتلقـى فـي مجالِسِـنا　　　أحـلامَ عـادٍ إذا مـا أُهْـذِرَ القيـلُ

وهم أيضاً لا يخونون جارهم ويُحسِنون جواره، ويكرمون منزلته[(٢)]:

وكـــانوا مَعْشَـــراً قـــد جاوَرُونـــا　　　بِمنزلـــــةٍ فأكْرَمْنـــــا الجـــــوارا

فلمّـــا أن تَخلّـــى الله مِـــنْهُم　　　أغـــاروا إذ رأوا منـــا انفتـــارا

وهم وإن كانوا يكرمون جارهم، ويحسنون جواره، فهم أيضاً يزدادون كرماً في الوقت الذي فيه يبخل النّاس ويحتفظون بما عندهم ليواجهوا شدة الشتاء وما فيه من برد قارص[(٣)]:

المطعمـــون إذا هبـــتْ شَـــآمِيَةٌ　　　والجـابرون وعظـم الـرأسِ مهـزولُ

البطل في عصر أبي تمام (العصر العباسي):

حينما قامت الدولة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦هـ) تغيرت الحياة، والحياة الاجتماعية على وجه الخصوص، تغيّراً كبيراً لبروز العجم، وقُربهم من الخلافة العباسية، واختلاطهم بالعرب، وما أعلنوه من شعوبية، فأثَّرُوا في العادات والتقاليد والأخلاق، ووقف المجتمع حيال ذلك التأثير بين مؤيدٍ ومعارضٍ، وترجمَ الأدباء ذلك الانقسام في أدبهم؛ فحاربه بعضُهم وعدّه مساساً بركائز المجتمع التي لا يجوز المساس بها؛ بينما رآه الآخر دليلاً على التقدم وجعله نبراساً إلى حياة مُتحضِّرة[(٤)] ولقد أثر هذا الانقسام على صورة البطل في هذا العصر، فظهر أبطالٌ ببطولات

---

(١) انظر: ديوان جرير، ص٣٣٥.

(٢) انظر: ديوان الأخطل ص١١٩.

(٣) انظر: ديوان، جرير ص٣٣٤.

(٤) انظر: الشر العربي بين الجمود و التطور، محمد عبد العزيز الكفراوي، نهضة مصر للطباعة و النشر ص٦٧. ٦٨.

مغايرة في بعضها، لمفهوم البطولة التي أَلِفَها العرب سابقاً، ومفهوم البطولة في هذا العصر كما ألفها العرب سابقاً تجلت في الخليفة ومعاونيه، والتي أفردنا لها بحثاً خاصاً فيما سيأتي –إن شاء الله – وهو صورة البطل في شعر أبي تمام، "أما البطل في مفهومه الجديد فقد ظهر بشكل أوضح في صور مختلفة منها البطل المصلح وهو نوع من الأبطال جاء في صورة الكاتب وهو الذي يصفه كارليل بالصادق، فهو يرشد الخلق إلى الطريق المستقيم، ويُبْعِدُهم عن طريقهم المظلم ومسلكهم المبهم، حتى إنّ بعض الفلاسفة الألمان " فشتي" شبّه الكاتب الصالح بالنبي لما يبثُّه للناس من خير[(١)]، "ويُعَدُّ ابن المقفع رمزاً من رموز الأبطال الذين حاربوا الظلم ووقفوا في وجوه الظالمين، تارةً بسلاح التلميح كما في كتابه (كليلة ودمنه)، وأخرى بسلاح التصريح كما في رسالته (الصحابة) التي أرادَ بها بطانة الخليفة المنصور"[(٢)]، فجاءت في كتاباته صورٌ متنوعةٌ من صور البطل المصلح الناصح الصادق،فمنها البطل المصلح في صورة الواعظ العالم: فإذا مرضت القلوب، ووهنت العقائد، ونحز الشك في نظام اليقين، ونجمت هُنا وهناك الأغلاط والمظالم والمصائب، وقَدَّت الفتنة أسبابها، يظهر البطل المصلح وهو يقف في وجه الفتن والثورات في كل ثبات وشجاعة، ويأبى إلا قول الحق والثبات عليه مهما كانت النتائج ومن هؤلاء الأبطال في هذا العصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقد ظهرت بطولته وثباته على الحق في فتنة (خلق القرآن) التي أثارها المعتزلة وتبناها الخليفة المأمون ومن بعده المعتصم، وانتهت في عهد الخليفة المتوكل الذي رفع شأن السنة وكذلك خرج في هذا العصر مصطلح البطولة عن معناها الذي وضع له فظهر (البطل الثائر على العادات والتقاليد، المتمرد)[(٣)] حتى على تعاليم الدين، فلا يأبه لمجتمع ولا يخاف رقيباً ولا يرى بطولته إلا في المجاهرة بالرذائل وترك التخفي

---

(١) انظر: الأبطال، كارليل، البطل في صورة كاتب.

(٢) انظر البطل في شعر أبي فراس، د/ عبد الرحمن الخميس، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، ص١١٦)

(٣) انظر البطل العربي المعاصر" الشخصية البطولية و الضحية، ص٧٤.

والتستر عن العيون[١] ولعل هذه المسميات ظهرت وبرزت في بيئة بعيدة عن ساحات ساحات وميادين البطولة الحقيقية:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمرُ　　ولا تَسْقني سِرّاً إذا أمكن الجهرُ
فَبُحْ باسمِ من أهوى ودعني من الكُنَى　　فلا خيرَ في اللذاتِ مِنْ دونِها سِتْرُ
ولا خَيْرَ في فَتْكٍ بِغَيرِ مُجَانَةٍ　　ولا في مُجُونٍ ليسَ يَتْبَعُهُ كُفْرُ

والبطل الثائر على المقدمات الطَّلليّة، وهو بذلك سلّط الأضواء على قضية المطالع، وجعلها موضوع دراسة ومناقشة، وشكّك الناس في قداستها، وبذلك فتح الطريق لكل ما أصابها بعد ذلك من تغيير وتطور، فهذا أبو نواس يدعو إلى ترك الوقوف على الأطلال؛ لأن الحياة قد تغير وجهها، حيثُ هجر العربُ البادية، واستقرّوا في المدن، وصار الشاعر يُقيمُ على بُعْد خطوات من الممدوح، فالعودة إلى البادية وأطلالها والصحراء ورمالها إذ ذاك ضربٌ من العبث المضحك[٢]:

مالي بدارٍ خلت من أهلها شُغُلُ　　ولا شجاني لها شَخصٌ ولا طللُ[٣]
طللُ[٣]
ولا الرسوم ولا أبكي لمنزلة　　للأهلِ عنها وللجيرانِ مُنتقلُ

(١) انظر: ديوان أبي نواس، المطبعة الحميدية المصرية ١٣٢٢هـ، ص٢٤٥.
(٢) انظر الشر العربي بين الجمود و التطور، محمد عبد العزيز الكفراوي، نهضة مصر للطباعة و النشرص٨٠.
النشرص٨٠.
(٣) انظر: ديوان أبي نواس، ص٣٢٢.

ومن الشُّعراء الذين كانوا أسرع استجابة لأبي نواس في هجر المقدمة الطّلليّة أبو العتاهية، وقد ظهر ذلك في قصيدة يمدح بها موسى الهادي وفيها يقول(١):

لهفــي علــى الــزمن القصــير بــين الخورنــقِ والســديرِ
إذ نحــن فــي غُــرفِ الجنــا نِ نَعُــومُ فــي بَحْــرِ السُّــرورِ

وقد كان لثورة أبي نواس الفضل فيما شاع بعد ذلك من اقتضاب المطالع، ومما طرأ على قصيدة المدح في الشعر العباسي أن بعض هذه القصائد استقلت بغرض المدح ولم تُشرك معه موضوعاً آخر، وكان ذلك بسبب الثورة على المقدمة الطللية عند بعض الشُّعراء كأبي نواس وابن المعتز، وغيرهما، ونجد في قصيدة المدح العباسية مقدمات جديدة تتناسب مع الغرض والتطور الحضاري للمجتمع، كما في مدائح أبي تمام للمعتصم وغيره، ذلك ما سنتطرق إليه في مبحث الشاعر بطلاً.

البطل الذاتي وهو صورة من صور البطل المتمرد(٢) في هذا العصر فهو لا يخضع لقانون، ولا تنحني هامته أمام نير العُرف، لذا نراه يجهر بُمهاجمة المقدمة الغزلية؛ لما فيها من نفاق لا تحتمله طبيعته، وتكلُّف لا تطمئن إليه نفسه:

إذا كــان مــدحٌ فالنســيبُ المقــدّمُ أكُــلُّ فصــيحٍ قــال شِــعْراً مُتــيّمُ
لَحُــبُّ ابــن عبــد الله أولــى فإنــه بــهِ يبــدأُ الــذكرُ الجميــلُ ويُخــتمُ
أطعتُ الغواني قبل مطمح ناظري إلى منظرٍ يصغُرْنَ فيه ويعظُمِ(٣)
ويعظُمِ(٣)

---

(١) انظر الشر العربي بين الجمود و التطور، محمد عبد العزيز الكفراوي، نهضة مصر للطباعة و النشرص٨٠.
النشرص٨٠.
(٢) انظر الشعر العربي بين التطور والجمود من ص٩٥ إلى ص٩٩.
(٣) انظر ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت ص٣٠٢.

وهو الشاب المتمرد حتى على دواعي شبابه فهو لا يلتفت إلى الغزل ولا يتتبّع دواعيه، وهو أيضاً لا يخضب السّواد من أجل التشبُّب، بل هو كان يتمنى أن يكون هُناك خِضاباً أبيضاً لكي يصل إلى رزانة العقل والوقار(١):

مُنىً كُنَّ لي أنّ البياضَ خِضابُ ... فَيُخْفي بتبيِّضِ القرونِ شبابُ
ليالي عند البيضِ فؤادي فتنة ... وفخرٌ وذاك الفخرُ عندي عاب
فكيفَ أذُمُّ اليومَ ما كنتُ أشْتَهي ... وأدعوه بما أشكوه حين أُجابُ

وقد هجر جميع الشهوات بما فيها الخمر(٢):

فؤادُ ما تُسلِّيه المُدامُ ... وعمرٌ مثلما تهبُ اللئامُ

واستبدلها بشهوةٍ واحدة وهي حب الذات فيقول(٣):

خليلُك أنتَ لا من قُلتَ خِلّي ... وإن كَثُرَ التّجَمُّلُ والكلامُ

ومن أجل حبِّ الذات راحَ يكيلُ لها الثناء كيلاً ويعتب على كُلِّ من يقف في طريق طموحه واعتداده بنفسه وبمواهبه فعتب على الزمان وعلى السلطان وتعالى على الأقران.

ومما سبق يتّضحُ أنّ البطل في الشعر العربي كان بطلاً واقعياً اجتماعياً في صوره المختلفة التي يتفاوت حضورها من عصرٍ إلى عصر، ولم يخرج عن أنه بطلٌ اجتماعي إلا فيما ندر وفي العصر العباسي على وجه الخصوص.

---

(١) نفسه، ص٤٧٨.
(٢) انظر ديوان المتنبي،دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت ص ١٠١.
(٣) نفسه.

الفصل الثانـي

البطولـة و فكرة النموذج

- الغلو و المبالغة (ظل الحقيقة) عند النُّقاد
- البطولة (مُحاكاةً)

الفصل الثاني

البطولة وفكرة النموذج

تفتخر كل أمة بصور من البطولة تقدمها كنماذج وعلامات مُضيئة يهتدي بها سائر أفراد الأمة في المجالات والميادين المختلفة.

وينعكس هذا النموذج في صورة شخص يمثل حقيقة البطولة أو ظلها أو محاكياً لها، وتقل وتندر تلك النماذج التي تمثل الحقيقة أو النموذج المحاكي بينما يبقى ظل الحقيقة ميداناً تتلاقى فيه العديد من صور هذه البطولة.

أولاً/ الغلو والمبالغة (ظل الحقيقة) عند النُّقاد:

تظل فكرة البطل الحقيقي حلماً يراود خيال كل طموح وغاية تتقاصر دونها الهمم وتتراجع دون أعتابها الأقران ولا تكاد تتحقق فكرة البطل الحقيقي سوى في الأنبياء وعدد محدود من أولئك الذين خلّد التاريخ ذكرهم، ولكن في الوقت نفسه يبقى لتلك الحقيقة ظل ينعكس على هؤلاء الطامحين إلى المعالي ويأتي الغلو والمبالغة وسيلة لرسم الصورة الكاملة للبطل في ظل الحقيقة ليعكسها لنا وجداننا حقيقة كاملة ماثلة للعيان.

ولقد كان البطل العربي وما يزال في الأدب العربي، "نموذجاً حياً يتفاعل مع الأحداث، ويُعبِّر عن طموح الأُمّة ويرسم آمال أبنائها بما يتفق مع ميولهم ويرضي قيَمِهِم ويُحقِّق أهدافهم"(١)، وصور البطولة في المجتمع العربي، انعكاس لما تؤمن به هذه الأمّة من الفضائل والمثل العُليا التي آمن بها المجتمع ودعا إلى التمسك بها، فكانت المروءة والشّجاعة والجرأة وكان الكرم والعفة والوفاء، وكانت النجدة والحمية والتّضحية وغيرها من الصفات التي يغلب عليها الطابع الخُلُقي.

---

(١) انظر: فخري أبو السعود، البطولة في الأدبين العربي و الإنجليزي، ص٢٥٠.

"ولم تكن فكرة" النموذج "وقفاً على المدح وحده، بل كانت في أغراض شعرية أخرى كالغزل والرثاء أيضاً، وردَ في لسان العرب" أن مَدَنِيّةً قالت لِكُثَيِّر: فضَّ الله فاك! أنتَ القائلُ:

بأطيَب مِن أردانِ عزّةَ مَوْهِناً وقد أُوقِدَتْ بالمندلِ الرّطبِ نارُها

قال نعم! قالت: أرأيتَ لو أنّ زِنجيةً بَخّرتْ أردانها بمندل رَطبٍ أما كانت تطيبُ؟ هَلاّ قُلتَ كما قال سَيّدُكم امرؤ القيس:

ألم تريانِي كُلما جِئتُ طارقاً وجَدْتُ بها طيْباً وإن لم تطيّب[1]

ولكنها كانت في المدح بارزة جلية؛ لأن المدح يُظهر الخلال الكريمة ويُبرزُها من شجاعة وكرمٍ وعفةٍ وحياءٍ ونسبٍ كريم وغيرها، ولا ريب أنّ الشاعر يستمدُّ مضمون أعماله من ظروف المجتمع الذي يعيشُ فيه، ويتأثر بأحواله' ويُبرزها أثناء قيامه بعملية الإبداع الفني، ذلك أنّ الشاعر هو الضمير الواعي للمجتمع، فهو يصور الذي لا يستطيع غيرُهُ أن يصوره بما أوتي من موهبة شعرية، ومن هُنا فإن الشاعر ارتبط بمجتمعه، مُتَخِذاً من موضوعاته سبيلاً للنسج الشعري المُمَيز مُؤمِناً بِقِيَمِهِ وعاداته حريصاً على ألاّ يقَعَ، في محاذير السفه، والظلم و الجهل، وراسماً صِوراً بُطولِيّةً رائعة للممدوحين مما جعل بُغاة المجد والثّناء يتنافسُون في بُلُوغِها، ولكن لا يستَطيعُ الوصول إليها إلا رجال عُظماء وطّنُوا أنْفُسَهُم على تَحَمُّلِ الشّدائد، وخاضوا الصِّعاب، وجادوا بما تحت أيديهم من مال[2].

---

(١) انظر:،مجلة جامعة دمشق، مجلد٢٤، العدد ٣. ٤، عام ٢٠٠٨م، فاطمة تجور، ص١٥٧

(٢) انظر: اثر الثقافة في بناء القصيدة الجاهلية، محمد الخازمي، ط١، دار الكتب الوطنية، ليبيا)

وقال أبو تمام[١]:

ولـولا خِـلالٌ سَنَّها الشَّـعْر مـا درى بُغـاة العُـلا مـن أيـن تـؤتى المكـارِمُ

وشعر المدح عند العرب في كثير منه يُحقق أهدافاً أخلاقية، ذلك أنّه يُصَوِّر المُثل العُليا التي يجب أن يَتَحلَّى بها الفرد في سَعْيِهِ تجاه الكمال في إطار المجتمع العربي، أي إنّ شِعْر المدح يُصَوِّرُ الجوانب الإيجابية في شَخْصية البطل في المجتمع العربي، وليس هُناك ما هو أدل على أخلاقية الشعر العربي من قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "إنّ من الشعر لحكمة" والذي شرحه المُبارك فوري ت١٣٥٣هـ في كتابه تُحْفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي بقوله: قوله "إنّ من الشعر لحكمة، أي قولاً صادقاً مُطابقاً للحق، وقيل أصل الحكمة المنع، فالمعنى: إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من السفه. ولذلك كان أفضله عند النُّقاد ما يكون بوصف الممدوح بالفضائل الأخلاقية في المجتمع الإسلامي[٢]، كالعقل، والعفة، والشّجاعة، والعَدل. وعدَّوا المادح المادح بهذه الأربعة مصيباً وبما سواها مُخطِئاً، وبينوا كيفية مدح البطل بما يُناسب منزلته، فيمدح الملك أو الخليفة أو من على شاكلتهم بالإغراق والتفضيل في الفضائل بما لا يتسع غيرهم لبذلة، ولا يُبالي – في الإشادة – الشاعر كيف قال فيه، ولا كيف أطنب وذلك محمود وسواه مذموم وأن تكون الإشادة واضحة المعاني جزلة الألفاظ نقية غير مبتذلة، وأن يجتنب التطويل فإنّ للملك سآمة وضجراً، وكان البحتري إذا مدح الخليفة يُقل الأبيات ويُبرز وجوه المعاني فإذا مدح غيره عمل طاقته[٣].

ويرون أنّ إصابة الوجه في مدح الملوك ومن على شاكلَتِهم مثل قول النابغة الذبياني في النُّعمان بن المنذر حين يقول:

---

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، ج٢، ص٨٩.

(٣) انظر: العمدة، ابن رشيق، ص١٤٨ . ١٤٩، باب المدح، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، صيدا بيروت. بيروت.

أَلــم تــرَ أنّ الله أعطــاك سُــورةً ... تــرى كُــلّ مُلْــكٍ دونهــا يتذبــذبُ

فإنّــك شــمسٌ والملــوك كواكــبٌ ... إذا طلعت لم يبدُ مُنهُنّ كوْكب[١]

ومن أفضلِ ما مُدح به الملوك وأكثر إصابة للغرض قول أبي العتاهيةَ في مدح الهادي:

يضــطربُ الخــوفُ والرجــاءُ إذا ... حَـرَّك مُوسـى القضـيبَ أو فكّـرا[٢]

ومما يدل على زيادة حرصهم على ألاَّ يُمدحَ الخليفةُ أو من في منزلته إلا بالمُبالغة في الفضائل حتى لا يستوي مع من هو دونه في الرتبة " عندما اجتمعَ الشُّعراء بِباب المعتصم فَبُعِثَ إليهم: من كان مِنْكُم يُحْسِنُ أنْ يقول مثلَ قولِ منصور النُّميري في أمير المؤمنين الرشيد:

إنّ المكــارمَ والمعــروفَ أودِيــةٌ ... أحلَّــك الله مِنهــا حيــثُ تجتَمــعُ

إذا رفعــتَ امــرَأً فــالله رافِعُــهُ ... ومـن وضـعْتَ مـنْ الأقْوامِ مُتَّضـعُ

مَـنْ لـم يكُـن بـأمين اللهِ مُعْتَصِـماً ... فلـيس بالصـلواتِ الخمـسِ يَنْتَفِـعُ

إنْ أخْلَفَ الغَيْثُ لم تُخْلِفْ أنامِلُـهُ ... أو ضــاقَ أمــرٌ ذَكَرْنــاهُ فَيَتَّسِــعُ

فَلْيَدْخُلْ فقال محمد بن وهب: فينا من يقول خيْراً مِنْهُ وأنْشَد:

ثلاثَــةٌ تُشْــرِقُ الــدُّنيا بِبَهجَتِهــا ... شَمْسُ الضُّحى وأبو إسْحاقٍ والقَمَرُ

يَحْكِــي أفاعِيْلَــهُ فــي كُــلِّ نائلــةٍ ... الغَيثُ والليثُ والصّمْصَامَةُ الذَّكرُ

فأمر بإدخالِهِ وأحْسَنَ صِلَتَهُ[٣].

(١) انظر: نقد الشعر ، قُدامه ص١٠٧.

(٢) انظر: العُمدة ابن رشيق باب المدح ص١٥٦.

(٣) انظر: العمدة لابن رشيق، ص ١٥٦.

ويمدح القائد قيما يُجانس البأس والنّجدة ويدخل في باب شدة البطش والبسالة وما شاكل ذلك، فإن أضيف إلى ذلك المدح الجود والسّماحة، والتخرق في البذل والعطية كان المدح حسناً والنعت تامّاً. إذ كان السّخاء أخاً للشجاعة وكانا في أكثر الأمور موجودين عند أهل الهمم والإقدام، وذلك كما قال بعض الشعراء في جمع البأس والجود:

فتى دهره شطران فيما ينوبه ففي بأسِهِ شطرٌ وفي جودِهِ شطرٌ

فلا من بغاة الخير في عينهِ قضى ولا من زئير الحربِ في أُذنهِ وقرُ (١)

ويمدح الكاتب والوزير ما ناسب حُسن الرواية وسرعة الخاطر بالصواب، وشدة الحزم وقلة الغفلة، وجودة النظر للخليفة، والنيابة عنه في المعضلات، بالرأي أو بالذات، وبأنّه محمود السيرة، حَسِنُ السياسة، لطيفُ الحِسِ، فإن أضافَ إلى ذلك البلاغةِ والخَطِّ والتَّفَنُنِ في العلمِ؛ كان غاية. كما قال أبو نواس:

إذا نابهُ أمرٌ فإمّا كفيتهُ وإمّا عليه بالكفيِّ تُشيرُ (٢)

أو كما قال أشجع:

بديهتُهُ مثلُ تفكيرهِ متى رمتُهُ فهو مستجمعُ(٣)

ويمدح القاضي بما ناسب العدل والإنصاف، وتقريب البعيد في الحق، وتبعيد القريب، والأخذ للضعيف من القوي، والمساواة بين الفقير والغني، وانبساط الوجه، وقلة المُبالاة في إقامة الحدود، واستخراج الحقوق، فإن ذكر الورع والتحرج وما شاكلهما فقد بلغ النهاية(٤).

---

(١) انظر: نقد الشعر ، لقدامة ن جعفر ، ص٢٧

(٢) انظر: العمدة لابن رشيق، ص١٥٣.

(٣) انظر: نقد الشعر ، لقدامة ن جعفر ، ص٢٧

(٤) انظر: العمدة لابن رشيق، ص١٥٣.

وأما مدح السوقة من البدو والحاضرة ينقسم إلى قسمين بحسب انقسام السوقة إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب وإلى الصعاليك والحراب والمتلصصة ومن جرى مجراهم فمدح القسم الأول يكون بما يضاهي الفضائل النفسانية التي قدّمنا ذكرها خالياً من مِثْلِ مدح الملوك والوزراء والكتّاب والقواد وذلك مثل قول الشاعر:

يتراحمـــــــون ذوي يســــــارهمُ   يتعـــاطفون علـــى ذوي الفقـــر
وذوو يســــــــارهمُ كـــــــأنهم   مـــن صـــدق عفـــتهم ذوو وعـــرِ
متحلمـــــينَ لطيـــــبِ خـــــيمهمُ   لا يهلعـــــون لنبـــــوة الـــــدهرِ

ومدح القسم الثاني يكون بما يضاهي المذهب الذي يسلكه أهله من الأقدام والفتك والجد والصبر والتيقظ مع التخرق والسماحة وقلة الاكتراث للخطوب، كما قال تأبطَ شراً يمدح صخر بن مالك:

وأنــي لمهـدٍ مــن ثنــائي فقاصـد   به لابن عمِّ الصدق صخر بن مالك
أهـزُّ بــه فــي نـدوة الحــي عطفـه   كما هزَّ عطفي بالهجان الأوارِكِ(١)
الأوارِكِ(١)
لطيـف الحوايـا يقسـم الـزادَ بينـه   سـواءَ وبـين الـذئب قسـم المشـارِكِ

ولا يرون لسوى هذه المنازل وجهاً لمدح إلا إذا دعت إلى ذلك ضرورةُ مدحٍ فيُمدح كلُّ إنسان بالفضل في صِناعته، فهؤلاء النُّقاد يُعولون على الفضائل النفسية دون غيرها(٢).

---

(١) انظر: نقد الشعر ، لقدامة ن جعفر ، ص٢٩.

(٢) انظر: كتاب نقد الشعر – لابن قُدامه– باب المعاني الدال عليها الشعر– نعت المديح من ص٩١–٩٨.

ولكن غيرهم من النُّقاد كابن رشيق يقول لو أضيف إليها فضائل عرضية أو جسمية كالجمال والأبهة وبسطة الخلق وسِعة الدُّنيا وكثرة العشيرة كان ذلك جيداً[١].

أمّا الصفات الجسدية فتأتي أهميتها من دلالتها على صفات نفسية وأخلاقية لدى من يتّصفُ بها، ويكونُ تأكيداً على أهمية التمسُّكِ بها عن طريق عرضها، وتقديم نماذج بشرية مُتَخَلِّقة بها[٢].

ويذهبُ أهل الفهم بالشعر والشُّعراء قديماً إلي الغلو[٣] في المدح و يرونه أجود من الاقتصار على الحد الأوسط، ويرون أنّ المدح إذا خرج عن الموجود في البطل فإنما يذهب فيه إلى تصييره مثلاً، حتى بعضهم قال: "والمذهبُ عنْدي استعماله فإنّ أحسن الشعر أكذبه، بل أصدقهُ أكذبه ومما ورد من ذلك في الشعر قول عنترة:

وأنا المنيَّةُ في المواطِنِ كُلِّها   والطَّعْنُ مِني سابِقُ الآجالِ[٤]

والفن الشعري خصوصاً يسعى لجعل الشخصيات الواقعية تُحلق في فضاء المثال المنشُد لذلك لا نكاد نحظى في ديوان الشعر العربي على ضخامته بصورة واقعية لرجل أو امرأة بل لا نُصادف إلا المرأة النموذج، والرجل المثال[٥] ويقو ل أرسطو" إنّ إنّ الفن يبحثُ دائماً عن المَثَلِ الأعلى، يُحاكي الطبيعة كما هي عليه، بل يتجوزها إلى النموذج[٦].

---

(١) انظر: كتاب العُمدة –لابن رشيق باب المديح ص١٤٥.

(٢) انظر: فنية قصيدة المدح والرؤية الدِّينية عند أبي تمام – د. أحمد قُتيبة يُنس –دراسات موصلية – العدد السادس عشر – ربيع الثاني لعام ١٤٢٨هـ.

(٣) معنى الغلو: المثل و بلوغ النهاية في النعت، لا حقيقة الشيء.

(٤) انظر: المثل السائر، لابن لأثير، ج/٣، ص١٩١. أو نقد لشعر،لابن قُدامة، ط١ ص١٩، باب المعاني الدال الدال عليها الشعر.

(٥) انظر:،صورة الخليفة و مفهوم النموذج ص١٨٢.

(٦) انظر: بنية القصيدة العربية،ص٣٢.

ولذلك استحسنوا قول أبي نواس حيثُ أتى بما يُنبئ عن عظم الشيء الذي وصفه وهو عموم المهابة، ورسوخها في قلب الشاهد، والغائب.

وأخفـتَ أهـل الشّـركِ حَتَّـى إنّـهُ　　　لتخافُـكَ النُّطَـفُ التـي لـم تُخْلَـقِ

وأيضاً قول المهلهل بن ربيعة ومبالغته في وصف صوت ضرب السيوف ليُبين شدة المعركة وقوة المتقاتلين.

فلـولا الـريحُ أسـمعَ مـن بحجـرٍ　　　صـليلَ البـيضِ تُقْـرع بالـذكورِ

وأيضاً يرون من طعن النابغة على حسان بن ثابت ما هو إلا طلب المبالغة والغلو في المدح:

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمعْنَ في الضُّحى　　　وأسيافنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دما[١]

وأيضاً عندما أنشَدَ كُثيرٌ عبدَ الملك ابن مروان ويمدحه بالحزم الذي يجعله يتدرّع بملابسٍ تقيه من ضربات الخصوم في قوله:

على ابنِ أبي العاصِ دِلاصٌ حَصينةٌ　　　أجـادَ المـريء نسْـجها وأذالهـا

يـودُّ ضَـعيفُ القـومِ حمـلَ قتيرهـا　　　ويسـتظلعُ القِـزمُ الأشـمُ احتمالهـا

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحْسَنُ من قولك حيثُ يقول:

وإذا تجـيءُ كتيبـةٌ ملمومـةٌ　　　شـهباء يخشـى الرَّاهِـدون نهالهـا

كُنـتَ المُقَـدَّمَ غيـرَ لابـسِ جُنّـةٍ　　　بالسـيفِ تَضْـرِبُ مُعْلِمـاً أبطالَهـا

فالذي جعل عبد الملك بن مروان يصف قول الأعشى بأنّهُ أحسنُ من قول كُثير أنّ الأعشى رسم المعنى المثالي للشجاعة ثُمّ أسقط هذا المعنى المثالي على ممدوحه

(١) انظر: نقد الشعر لابن قُدامة بن جعفر، ط١ ص (١٧-١٨-١٩)

بالمُبالغة في وصف ممدوحه بالشجاعةِ وشِدة إقدامِهِ بغير جُنَّةٍ في حين أنّ كُثَيراً لم يُبالغ في إظهار شدة الشجاعة والإقدام، وبالغ في حماية ممدوحه[١].

وهذا المفهوم المثالي للبطل عند الأمم السابقة حققه أولئك العظماء الذين اصطفاهم الله وأرسلهم إلى الناس ليؤدوا كلَّ ما ناطته به القدرة الإلهية من خير، وهم الأنبياء والرسل "وتُعَدُّ قصة إبراهيم، عليه السلام، مع قومه وتكسير أصْنامِهم[٢] من أعظم قصص رُسل الله، عليهم السلام، مع قومه، التي جَسَّدت الشَّجاعة في إيصال الحق، والجُرأة في الثورة على التقاليد والأعراف الباطلة، والبطولة في تجاوز الواقع الشركي إلى واقع مُغاير تماماً، فيه التوحيد والإيمان أساس وركيزة، فكان عليه السلام بحق صورة البطل، والنبي، والقائد، والنموذج الحي[٣]. وعند العرب قبل الإسلام حققه في العصر الجاهلي عنترة وحاتم الطائي وغيرهم من أبطال العرب في هذا العصر بما رسمته لهم القبيلة في ذلك الوقت، ولم يقف الشُّعراء بفكرة البطل النموذج الذي يمثل ظل الحقيقة عند فن المدح بل تجاوزه إلى الرِّثاء ليبقى المرثي نموذجاً ومثالاً يحتذي به ويُتغنّى ببطولاته، وليس بين الرِّثاء والمدح فرق إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدلُّ على أن المقصود به ميِّت مثل "كان" أوعدمنا به كيتَ وكيت" أو ما يشاكل هذا ليُعْلم أنه ميت[٤]. وأنه لا فصل بين المديح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى، وكما يمدح الممدوح بالفضائل الأربع وهي الشجاعة والعقل والعفة

(١) انظر: نقد الشعر، لابن قُدامة ص٢٢.

(٢) انظر: من مواضع قصة إبراهيم عليه السلا في القرآن الكريم: الأنعام٧٤/ الزخرف ٢٦ _ ٢٨ / الأنبياء ٥١_ ٧٠ / الشعراء ٦٩_٨٩ / العنكبوت ١٦_١٨/ الصافات٨٣_٩٨.

(٣) انظر البطل في التراث، ص ٨٢.

(٤) انظر: نقد الشعر، لابن قُدامة ص٣٣.

والعدل أيضاً يرثى الميت بهذه الفضائل، ومن المراثي التي جمعت جميع هذه الفضائل، مرثية أوس بن حجر يرثي فضالة، فيقول[١]:

أيَّتُهـا الـنّفس أجملـي جزعـا إنّ الـذي تحـذرين قـد وقعـا

إن الـذي جمـع السّـمَاحة والنَّـ جـدة والبـاس والنّـدى جمعـا

الألمعـي الـذي يظـنُّ بـك الظّـنّ كـأنْ قـد رأى وقـد سَـمِعَا

ومن الأساليب التي سنّها النُّقاد حتّى تكون المرثية مثالاً،" أنّه إذا كان المرثي يوصف بالجود وهو حي فلا يُقال كان جوادا، ولكن يُقال ذهب الجود أو فمن للجود بعده.

وأنّه ليس من إصابة المعنى أن يُقال في كل شيء تركه الميت بأنّه يبكي عليه لأن من ذلك ما أن قيل إنهُ بكى عليه لكان سيئةً وعيباً لا حقيْنِ له. فمن ذلك مثلاً إن قال قائل في ميت بكتك الخيل إذ لم تجد لها فارساً مثلك كان مخطئاً لأن من شأن ما كان يوصف في حياته بكده إياه أن يذكر اغتباطه بموته وما كان في حياته يوصف بالإحسان إليه أن يذكر اغتمامه بوفاته. ومن ذلك إحسان الخنساء في مرثيتها صخراً وإصابتها المعنى حيث قالت تذكر اغتباط (حذفة) فرس صخر بموته، فتقول:

فقـد فقـدتكَ حذقـةٌ فاسـتراحت فليـت الخيـلَ فارسـها يراهـا

ولو قالت فقدتك حذفة فبكت لأخطأت وبكاء من يجب أن يبكي على الميت إنما هو من كان يوصف إذا وصف في حياته بإغاثته والإحسان إليه كما قال كعب بن سعد الغنوي في مرثية أخيه، حيث قال:

ليبكِـكَ شـيخٌ لـم يجـد مـن يُعيْنَـهُ وطـاوي الحشـا نـائي المزارِ غريـبُ[٢]

غريـبُ[٢]

---

(١) انظر: ديوان أوس بن حجر، ص٥٣.

(٢) انظر نقد الشعر ، لقامه بن جعفر ص ٣٣.

ومن الأساليب التي سنها النقاد حتى يكون المرثي مثالاً، مراعاة منزلة المرثي، فإذا كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً يجب أن يكون الرِّثاء ظاهر التَّفجُّع بيِّنَ الحسرة مخلوطاً بالتَّلهُف والأسف والاستعظام. كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر، فيقول:

يقولـون حصـنٌ ثـم تـأبى نفوسُـهم　　　وكيـف بحصـن والجبـالُ جُنـوحُ

ولـم تلفـظِ المـوتى القبورُ ولـم تـزلُ　　　نجـومُ السـماء والأديـمُ صـحيحُ

ولم يكن مسلك شاعرنا أبي تمام بعيدا عن مسالك شعراء العربية في سائر عصورها فقد قدم لنا البطل ظلا للحقيقة مصورا ما ينبغي أن يكون عليه البطل من سمات ومقومات تجعله في موضع الصدارة في الميدان الذي حل فيه فشعر المديح بصفة عامة هو تصوير لظل الحقيقة الذي انعكس على شخص الممدوح ليرقى به في أعين الناس إلى مصاف الأبطال الحقيقيين فكأنه ينبه على ضرورة أن يكون على هذه الصورة وتلك الهيئة فهو حين يمدح الخليفة يؤكد على ما يتمتع به من مهابة وشجاعة وصيانة للأمة من الفتن فيقول[(١)] من الكامل:

الحـق أبلـج والسـيوف عـوار　　　فحـذارِ مـن أسـد العـرين حـذار

ملـك غـدا جـار الخلافـة مـنكم　　　والله قـد أوصـى بحفـظ الجـار

يـا رب فتنـة أمـة قـد بزهـا　　　جبارهـا فـي طاعـة الجبـار

وحين يمدح قائدا يؤكد على صرامته وصدق مسعاه في سبيل الله ويقظته ورجاحة عقله وإقدامه وبأسه وغير ذلك من السمات التي تعد ظلا لحقيقة البطل القائد، فيقول أبو تمام في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف[(٢)]: من الكامل

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام، للتبريزي، ج١، ص٣٣٥.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام، للتبريزي، ج١/ ص٤٢٩.

هَزَّتْـــهُ معضـــلةُ الأمـــورِ وهزَّهـــا — وأُخِيْــفَ فـــي ذاتِ الإلــهِ وخِيفَــا
يقظـانُ أَحْصَـدَتِ التجـاربُ حَزْمَـهُ — شَـــزْراً وثُقِّـــفَ عَزْمُـــه تَثْقِيْفَـــا
واسْـتَلَّ مِـنْ آرائــهِ الشُّـعَلَ التــي — لــو أنَّهُــنَّ طُــبِعْنَ كُــنَّ سُــيُوفا
كهـلُ الأنـاةِ فتـى الشَّـذاةِ إذا غـدا — للحـــرب كـــانَ القشــعمَ الغِطْريفـــا
وأخـو الفعـالِ إذا الفَتَـى كـلُّ الفَتَـى — فـي البـأسِ والمعـروفِ كـان خَلِيفَـا

وحين يمدح كريما يذكر فيوض عطائه التى لا تحد ولا تتقطع ويذكر سماحة نفسه التى تجدد بلا كدر ويمينه التي تقطع النوائب وتفتك بها إذا لحقت بمريديه وطالبي كرمه فيقول في مدح محمد بن الهيثم بن شبانه(١): من الوافر

يمـــينُ محمـــدٍ بحـــرٌ خِضَـــمٌ — طَمُــوحُ المَــوْجِ مَجْنُــونُ العُبَــابِ
تفـــيضُ سَـــماحةً والمُـــزْنُ مُكْـــدٍ — وتَقطَـــعُ والحُسَـــامُ العَضْـــبُ نـــابِ

وفيما يستجد من صفحات البحث سوف نقف على ألوان البطولة وصورها وسوف يتكشف لنا كيف صور أبو تمام نماذجه البطولية التي تمثل ظلا للحقيقة بمختلف ألوانها وأنماطها وكيف أبرز هذه المقومات التي أصبح من المحتم على البطل الممدوح ألا ينفك عن ظلها فقد أصبحت الصورة التي يرسمها أبو تمام لشخص البطل ظلا لا يجوز له الخروج عنه وإلا افتقد شيئا غير يسير من لوازم البطولة ومقوماتها.

وقد انعكست صورة البطل الحقيقي الذي يمثل الحقيقة والأنموذج في شعر أبي تمام من خلال جعله مرتكزا ينطلق الأبطال في بطولاتهم من ارتباط صورتهم بصورته على سبيل التشبيه المقصود به التشبه والتأسي.

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام، للتبريزي، ج١/ ص ١٥٣.

ثانياً: البطولة (مُحاكاةً):

نظراً للأهمية التي يُشكِّلُها وجود الأبطال في حياة الأمم، فقد كان حديث الأدباء والشُّعراء عنهم مُتميزاً، فصورة البطل "هي الصورة النموذجية في كل أمة، تجتمعُ فيها كلُّ الفضائل المجتمعة في هذه الأمة التي تَتُوقُ النفوس لاكتسابها،" والشُّعراء حين يخلعون الفضائل على البطل، فإنهم يستوحُون قيم المجتمع ومُثُله العُليا في عصر مُعين، وهم بذلك يُحاولون تقريب صورته من صورة الإنسان النموذج التي تُعدُّ المثَل الأعلى في ذلك المجتمع(١).

وهذا الذي تجلى كما سلف في ظُلّ الحقيقة، كذلك تظهر البطولة حقيقة في جناب رسول الله، وبهذا فإنّ فكرة النموذج البطل أو المثال تمحورت في ظل الحقيقة (المبالغة والغلو) والحقيقة (التي تمثلت في بطولة الرسول الكريم).

ولعل المحاكاة التي أطلقها الفلاسفة يُقابلها في المصطلح الإسلامي الأسوة قال تعالى" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر"(٢) "والأسوة والإسْوة: القدوة. ويُقال: ائتسِ به وكُن مثلَهُ، وفلان يأتسي بفلان أي يرضى لنفسه ما رضيه ويقتدي به وكان في مثل حاله. قال الشاعر:

وإنّ الألى بالطَّفِّ من آل هاشم   تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

والأسوة: بكسر الهمزة وضمها: القدوة، وما يتأسى به(٣).

ومن القادة الأبطال الذين قدموا لنا من فعالهم وبطولاتهم نموذجا يحاكيه أبطال الأمة وقادتها، انطلاقا من الأسوة الحسنة برسول الله الذي يمثل البطل الحقيقي في رؤية كل مسلم ومنصف، إنه محمد بن حميد الطوسي، فهو من شجعان المسلمين

(١) شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق الرقب، مكتبة الأقصى، عمان،١٩٨٤،ص٩٤.
(٢) انظر: سورة الأحزاب آية ٢١.
(٣) انظر: لسان العرب مادة (أسا).

وأبطالهم فهو من أسرة عريقة عُرفت بتقواها وعلو شأنها ورفعة منزلتها وشجاعتها وممارستها للحرب والفروسية، يقول أبو تمام: من الطويل[١]

كـأنّ بنـي نَبْهـانَ[٢] يـومَ وَفاتِـهِ　　نُجُومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بيْنها البَدْرُ

ومن الصور البطولية للبطل محمد بن حميد الطوسي أنّه كان ذا همة عالية وطموح كبير في رفع راية الإسلام وذلك يظهر جليا في ثباته وإقدامه في ساحات الشرف والبطولة ورفضه التقهقر؛ لأنه يملك همة عالية ونفسا أبية ترفض الاستسلام وتأباه وتفضّل الموت بِعِزةٍ وأنفةٍ، ضارباً أروع النماذج لما يجب أن يكون عليه البطل العربي المسلم، يقول أبو تمام[٣]: من الطويل

وقَد كـانَ فَوْتُ المَوتِ سَهْلاً فرَدَّهُ　　إليـه الحِفـاظُ المـرُّ والخُلُـقُ الـوَعْرُ

ونفـسٌ تَعـاف العَـارَ حتَّـى كأنّـهُ　　هوَ الكُفْرُ يومَ الرَّوعِ أو دُونَه الكُفْرُ

وأبو تمام يصف ممدوحه بالنجدة، فهو دائما يلبي نداء كل مستغيث ويهب إلى إغاثة كل ملهوف؛ فما سمع عن قبيلة أصابها العدو بأذى إلا وأسرع إلى نصرتها؛ فتحولّت أنباء الهزيمة إلى أحاديث تسَطر بطولات هذا البطل الذي يفخر به كل مسلم وعربي، فيقول أبو تمام: من الطويل[٤]

فتـىً كلمـا فاضـت عيـون قبيلـة　　دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

كما كان رحمه الله بطلاً شجاعاً، فلقد كان من عظماء الشجعان قوى النفس، شديد البأس، عظيم الثبات، لا يهوله أمر، ويصور أبو تمام شجاعة وقوة واستبسال بطله في صورة فريدة وهي أنه لم يستطع العدو النيل منه إلا بعد تفَلُلِ وتفتُتِ السيف

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، ج٢ / ص٢١٨.

(٢) بني نَبْهانَ: حي من طَيء و هم رهط الممدوح. انظر: شر الشَّنتمَري.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، ج٢ / ص٢١٨.

(٤) نفسه، ص٢١٩.

الذي يقاتل به من شِدَّةِ ضربِهِ رقاب الأعداء وتكسّر الرماح من كثرة الطعن، فيقول أبو تمام[١]: من الطويل:

فتىً ماتَ بينَ الضَّرْبِ والطَّعْنِ مِيْتَةً   تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إذ فاتَهُ النّصْر

وما ماتَ حتّى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ   من الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليهِ القنا السُّمْرُ

والأبيات تعكس من خلال براعتها التصويرية شجاعة الطوسي منقطعة النظير، فدموع الدم التي تنهمر من بكاء القبيلة المنهزمة تستحيل إلى ضحك وغبطة بالنجدة والنصر، وميتة الممدوح التي تمثل فاجعة لكل بطل ولكل عربي مسلم تمثل جانبا مشرقا فقد كانت في حد ذاتها بطولة وانتصارا لشخص البطل الذي لم يمت مجردا من سلاحه بل تكسرت أسلحته وأسلحة أعدائه عليه لشدة ما أعمله فيهم من ضرب وطعن ولشدة وكثرة ما أعملوه فيه من سلاح تكالبوا عليه به

ومن صور شجاعته و بطولته – رحمه الله – صبره وشدة تحمله وثباته بمفرده في مواجهة جيش بأكمله حتّى نال الشّهادة، فهو من الأبطال المجاهدين الصابرين، يقول أبو تمام[٢]: من الطويل

فأثبتَ في مُسْتَنقعِ الموْتِ رِجْلَه   وقَال لها مِنْ تحت أخْمُصِكِ الحَشْرُ

غَدَا غَدْوَةً والحَمْدُ نَسْجُ رِدائهِ   فلم يَنْصَرِفْ إلاَّ وأكفانُه الأجْرُ

ويصور شاعرنا عِظمَ صبر ممدوحه في القتال وكذلك نفاد صبر قومه على فقده في صورةٍ بديعةٍ، وذلك عندما أراد أن يُظهرَ بسالته وإقدامه في المعارك فقد صبر على شدائدها صبرا لا مثيل له حتى إنه حين استشهد ذهب الصبر معه شهيدا وبهذا فإنك

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، ج٢ / ص٢١٨.
(٢) نفسه.

لـن تجـد أحـدا يصـبر علـى شـدائد المعـارك كصـبره، وبمـوت الصـبر معـه فـإن قومـه أصبحوا لا صبر لهم على فقده، يقول أبو تمام[١]: من الطويل

وأنـى لهـم صـبر عليـه وقـد مضـى إلى الموت حتى استشهدا هو والصبر

والشـاعر يصـور لنـا كيـف كـان حـب الممـدوح للخيل والقتـال سببا فـي أن أوردتـه موارد الردى، فقد كان حمى للخيل يبعثها في ميادين البطولـة، لكنـه مات على أظهرها وذلك الشرف الذي يبحث عنه والعزة التي يطلبها، كذلك كانت الحرب عشقه وميدانه الذي لا يفارقه، فقد كان جمرتها وجذوتها التي لا تنطفئ ثم هو يموت

في غمارها وأهوال أحداثها، وذلك أسمى غايات البطولة يقول أبو تمام[٢]: من الطويل

فتـى سـلبته الخيـل وهـو حمـى لهـا وبزتـه نـار الحـرب وهـو لهـا جمـر

ويستكمل الشاعر جوانب الصورة في صفات البطل النموذج بتجلية صفات النفس وفي مقدمتها الكرم الذي لا تزكو النفس إلا بـه، فهـو يصـف البطـل بأنـه كـان أمـلا لكل راغب ومالا لكل طالب وذخرا لكل فقير محتاج وفيض عطاء لكل سائل، وبموتـه رغب رواد السفر ومعتـافي الكرم عن طـروق أبـواب غيـره، فسماحة أخلاقـه تنسيك مظـاهر العسر والشقاء، فكأن العسر لم يكن ولم يعرفه أحد قصد هذا البطل، يقول أبو تمام[٣]: من الطويل

توفيــت الآمـــال بعـــد محمـــد وأصبح في شغل عن السفر السفر

ومـا كـان إلا مـال مـن قـل مالـه وذخـرا لمـن أمسـى ولـيس لـه ذخـر

ماكـان يـدري مجتـدي جـود كفـه إذا مـا اسـتهلت أنـه خلـق العسـر

---

(١) نفسه.، ٢١٩.

(٢) نظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، ج٢ / ص٢١٩

(٣) نفسه، ص ٢١٨.

ومما يتصل بكرم الطبع كرم النفس والأخلاق في سماحتها وعذوبتها، لذلك فالمرثي عذب النفس طيب الأخلاق وذلك ليس لنقص فيه ولكن كبره الحقيقي في ترفعه عن الكبر فهو كبير بنفسه وعلو همته قريب في سماحته وعذوبة أخلاقه، يقول أبو تمام(١): من الطويل

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ولكن كبرا أن يقال به كبر

(١) نفسه، ص ٢١٩

يواصل أبو تمام إبرازه لملامح البطولة في شخصية المرثي الذي يقدمه نموذجا يحاكيه الأبطال وتدور في فلكه الأقران وتترسم خطاه الشجعان، فالمرثي بطل لكل العرب لذلك فمصاب العرب فيه سواء ولم تكن طئ وحدها هي المفجوعة فيه بل سائر العرب يقول أبو تمام[١]: من الطويل

لـئن ألبسـت فيـه المصـيبة طـئ   لمـا عريـت منهـا تمـيم ولا بكـر

ولا يفوت الشاعر أن يبرز السمات البطولية للبطل المسلم في حرصه على الشهادة من خلال رثائه للطوسي، فهو بطل محمود الفعال، لذا كان جزاؤه الشهادة، وعشقه لحمرة الدم الذي يخضب ثوبه جعل جزاءه نضرة النعيم وسندس الفردوس، يقول أبو تمام[٢]: من الطويل

غـدا غـدوة والحمـد نسـج ردائـه   فلـم ينصـرف إلا وأكفانـه الأجـر

تردى ثياب الموت حمرا فما أتـي   لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وهو بطل طاهر الفعال زكي النفس حتى إن رياض الأرض كانت تتبارى في ضمّه والاحتفاء به وبمنزلته التي نالها هذا البطل الشهيد، فيقول أبو تمام[٣]: من الطويل

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة   غـداة ثـوى إلا اشـتهت أنهـا قبـر

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، ج٢ / ص٢٢٠.

(٢) نفسه، ٢١٩.

(٣) نفسه، ٢٢٠.

ولا ينسى الشاعر أن يؤكد على أسمى أماني كل بطل مسلم يلقى الحتوف في سبيل الله وهو أن يبلغه سلام الله في ثراه، لذا فالشاعر يجعل من سلام الله وقفا عليه، فقد مات في ريعان شبابه وذلك شأن الأبطال الكرماء لا يعرفون بطول أعمارهم، بل بما قدّموا من بطولات من أجل رفعة هذا الدّين يقول أبو تمام[1]: من الطويل

عليك سلام الله وقفا فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عمر

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، ج٢ / ص٢٢٠.

الفصل الثالث

(البطولة الذاتية في شعر أبي تمام)

- الشاعر بطلاً(معتداً – حكيماً – مغترباً)
- قرين الذات بطلاً (صديقاً – كاتباً)

الفصل الثالث

البطولة الذاتية[١] في شعر أبي تمام

أولاً/ الشاعر بطلاً:

لا ريب أنّ قيمة المرءِ بمقدارِ بصيرته، والشاعر صاحب عقلٍ كبيرٍ، وعينٍ بصيرة، وسُمِّي الشاعر شاعراً؛ لأنّه يشعُرُ بما لا يشْعر به غيره، إذن هو متفوق بما لديه من مقومات على غيره من البشر، حتى إنّ كفار قريش عندما سمعوا ما يقوله النبي ووجدوا فيه من بلاغة وحكمة قالوا إنه شاعر لما في قول الشعر من بلاغة وحكمة قال تعالى" بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر"[٢].

والشاعر هو الذي يكشف أسرار الوجود بنغماته فاللغة هي أداته الوحيدة لإبراز ما يدور في ذهنه، فهو البطل الذي ما برح من قديم الأزل يلبس للناس أزياءً شتى وأشكالاً مستغربة، فلبس ثوب الفارس الأروع، والسياسي المحنك، والمفكر والمُشرِّع والفيلسوف، ولا أحسبه من إجادته لهذه النماذج إلا أنّه بالفعل كل هذا، حتى ليمكنك أن تعرف عن هذا البطل كيف يكون بلاؤه في الحرب من لهجة حديثه وطريقة غنائه، فإن جُبنه أو إقدامه ليبدو لك من خلال لفظه، وما كلمة البطل أو رأيه بأقل فعلاً عن شجاعته أو خوره من ضربته أو طعنته[٣]. وتتجلّى بطولة الشاعر عند أبي تمام في عدة صور أهمها:

أولاً: البطل معتداً بنفسه:

يشهد التاريخ على علو مكانة قوم أبي تمام وسمو قبيلته ويكفي أنها تضم حاتِماً الطائي وزيد الخيل فهو في فخره عموماً يتناهى إلى الغاية التي ليس وراءها غاية، وهو

(١) الذاتي منسوب إلى الذات، نزعة ترمي إلى رد كلّ شيء إلى الذات وعكسها الموضوعي.

(٢) انظر: سورة الأنبياء آية رقم ٥.

(٣) انظر الأبطال، توماس كارلايل، مكتبة مصر، البطل في صورة شاعرص٩١. ص١١٧.

أيضاً فاق شُعراء عصره وتفوّق عليهم، حتّى إن الصولي يقول:" ما كان أحدٌ من الشُّعراء يقدر أن يأخذ درهماً و احداً في أيام أبي تمام فلما مات تقاسم الشُّعراء ما كان يأخذُهُ"(١).

إذن فهو المنتسب إلى أهل السؤدد، لذا فهو يتحلّى بأخلاق النبلاء والشُّرفاء، فهو لا يخون ولا يغدر لأن هذه الأفعال إذا فعلها الشخص يبقى أثرها السيء مع الإنسان مثل الوسم، فيقول(٢):

وإنـي رأيـتُ الوَسْمَ فـي خُلُـقِ الفتـى ... هوَ الوَسْمُ لا ما كانَ في الشَّعْرِ والجِلْدِ
أرُدُّ يَدِي عنْ عِرْضِ حُرٍّ ومنطِقي ... وأملأُهـا مـنْ لِبـدَةَ الأسَـدِ الـوَرْدِ

وهذا الشاعر واثقٌ من نفسه فنجده يفخر بنفسه وشعره حتى في أثناء مدحه تحسبه يتكلم عن نفسه لا عن الممدوح:

ومـا كنـت ذا فقر إلـى صلـب مالـه ... وما كان حفص بالفقير إلى حمدي
ولكـن رأى شـكري قـلادة سـؤدد ... فصـاغ لهـا سلكا بهيـاً مـن الرفـد
فمـا فـاتني مـا عنـده مـن حبائـه ... ولا فاته من فاخر الشعر ما عندي

ويقول:

لا شـيء أحسـن مـن ثنـائي سـائراً ... ونـداك فـي أفـق الـبلاد يسـايره

فلا عجب إن كان أبو تمام، إذن، واثقاً بنفسه إلى حد الغرور أحياناً؛ يفرض ما يقوله على الناس فرضاً، ويعتقد آماله قبل أن تقع(٣).

ولقـد رجـوت، فهـل لـديك بحاجـة، ... وعلمـت أنـك لا تخيـب رجـائي

---

(١) انظر: أخبار أبي تمام، الصولي، ص٢٤٤.
(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح فيها أبا المغيث الرّافقي، ج١، ص٢٩١.
(٣) انظر: أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم، عمر فروخ، ص٢٦.

إنـــي امتــدحتك لا لفائــدة ولا همـي جـزاء مـدائحي بجـزاء
لكـن أروم بـه احتياطـك؛ إنـه فيمـا لـديك لبغيتـي ورجـائي

وهو الشاعر الذي يملك شيئاً ثميناً لا يملكه أحدٌ غيره وهي القصائد التي يمدح بها من يستحق فيبقى ذكره خالداً بسبب مدح الشاعر له، فيقول(١):

إليـكَ أثـرتُ مِـن تَحْـتِ التَّراقـي قـوافيَ تَسْـتَدِرُّ بـلا عِصـابِ
مِـنَ القِرْطَـاتِ فـي الآذانِ تَبْقَـى بقـاء الـوَحْي فـي الصُّـمِّ الصِّـلابِ

وهي غريبة المعاني فلا يُبِين غُموضَها إلاّ أهل الآداب البارعة والأفهام الثاقبة، فيقول(٢):

غريبــةٌ تُـؤنِسُ الآدابُ وَحْشَـتَها فمَـا تَحُـلُّ علـى قَـوْمٍ فترْتَحِـلُ

وإذا كان ممدوح الشاعر يتفوق بشجاعته على خصمه ويتغلب عليه فالشاعر أيضاً يتفوق على أقرانه من الشعراء فالقوافي لديه ذليلة لأنه بما يملك من موهبة وخبرة يعرف كيف يروضها، فيقول(٣):

وقـد عَلِـمَ القِـرْنُ المُسـاميكَ أنَّـهُ سَيَغْرَقُ في البحْرِ الّذي أنا خائضُ
كمـا علِـمَ المُسْتَشـعِرُونَ بـأنَّهم بطَـاءٌ عن الشعْرِ الَّذي أنا قارضُ
فـلا تُنْكِـروا ذِلَّ القـوافي فقَـدْ رأى مُحَرَّمُهـا أنـي لهـا الـدَّهْرَ رائِـضُ

ومن فرط ثقته بنفسه واعتزازه بشعره أنه يقول أنه يُقارن بين خلائق الممدوح من كرم وشجاعة وغيرها، وبين شعره، ويقول لو كانت شعراً لفضلوها على شعري، فيقول(١):

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة، ج١، ص١٥٦.
(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح المتعصم، ج/ ٢، ص ١١.
(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح دينار بن عبدالله، ج١، ص٣٨٧.

فـأَوْلَيْتني فــي النَّائبــاتِ صَــنائعاً كــأنَّ أياديهــا فُجِـرْنَ مِــنَ البَحْــرِ
خلائقَ لو كانتْ مِنَ الشِّعْرِ سَمَّجتْ بّدَائعُها ما استَحْسَنَ النَّاسُ منْ شِعْرِي

وقصـائده أبكـارٌ فـي معانيهـا وألفاظهـا وهـي فـي حالـة السلم تسلب المـال مـن الممدوحين لأنها تخلّد ذكرهم فمرور الليالي عليها لا يزيدها إلا حسناً، فيقول(٢):

خُذها ابنة الفكرِ المهذبِ في الدُّجَى واللَّيــلُ أســودُ رُقْعَــةِ الجلبَــابِ
بِكــراً تُــورَّثُ فــي الحيــاةِ وتنثنــي فــي السِّلمِ وهــي كثيـرَةُ الأســلابِ
ويزِيــــدُها مَــــرُّ الليــــالي جِــــدَّةً وتقـــادُمُ الأيـــامِ حُسْـــنَ شَـــبَابِ

وقصـائده سيارة يسير بهـا النـاس إلـى كل بلد وتطلـع علـى كل بلد كمـا تطلـع الشمس وقوافيه مثل النسـاء العذارى لم يَفترعْهُن غيره وقصـائده إذا تُليت للنـاس تزهو وتفتخر ومعاني قصائده كاللآلئ الرطبة، فيقول(٣):

وسَــيَّارةٍ فــي الأرضِ لــيسَ بِنــازِحٍ على وَخْدِهَا حَزْنٌ سَحِيقٌ ولا سَهْبُ
تَـذَرُّ ذُرُورَ الشـمسِ فـي كُـلِّ بَلْـدَةٍ وتَمْضي جَمُوحاً ما يُرَدُّ لها غَرْبُ
عَـذَارَى قَـوَافٍ كنـتُ غيْـرَ مُـدَافِعٍ أبـا عُذْرِها لا ظُلْمَ ذَاكَ ولا غَصْبُ
إذا أُنْشِـدَتْ فـي القومِ ظَلَّتْ كأنَّهَا مُسِــرَّةُ كِبْــرٍ أو تَــدَاخَلَها عُجْــبُ
مُفَضَّـــلَةٌ بــــاللُّؤْلُؤ المُنْتَقَـــى لهـــا من الشِّعْر إلا أنَّهُ اللُّؤْلُؤُ الرطْبُ

---

(١) ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح أبا سعيد، ج/ ١، ص ٣١٧.
(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة، ج / ١، ص٥٨.
(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح خال بن يزيد الشيباني، ج ١، ص١١٠

وهذه القصائد من النوادر مشهورة يتداولها الرواة جيلاً بعد جيل، فيقول[١]:

سَــيَّرْتُ فيــك مــدائحي فتركْتُهــا غُـرَراً تـرُوحُ بهـا الـرُّواةُ وتغْتَـدِي

مـالي إذا مـا رُضْـتُ فيْـكَ غَرِيْبَـةً جـاءتْ مَجـيءَ نجيبـةٍ فـي مَقْـوَدِ

ثانياً: الشاعر حكيماً:

أكثر أبو تمام من استخدامه الحكمة في شعره، فقد سُئلَ المتنبي عن نفسه وعن أبي تمام والبحتري، فقال: "أنا وأبو تمام حكيمان والبحتري شاعر" فأبو تمام يطلق الحكمة عن طريق تجاربه في الحياة، ونظراته إليها، وتأملاته في تصاريفها، يُقلبها، وينتقيها، ويصوغها شعراً، يعتمد على العقل والمنطق، ويُقدّمُها للقارئ غضة طرية، يانعة ندية، دانية من النفس، داخلة إلى القلب، قارعة الآذان بلا استئذان، ولم تكن أبيات الحكمة فناً قائماً بذاته، ولم تكن الحكمة تستقل بقصائد كاملة، بل جاءت ضمن قصائده في شتى أغراضها وفنونها وأنواعها، ملتحمة معها، لا تنفك عنها، تخدم موضوعها، وتقوي معناها وتُجَمل مبناها. وأوضح مظاهر الحكمة في شعره، تلك الأبيات التي جرت مجرى الحكمة وضرب المثل[٢].

ومن حكمه الجياد المشهورة قوله إن سيد القوم لا بُدّ أن يستخدم صفة التّغابي وهو يقصد هنا التّحلُّم وغض النظر فإنّ السيدَ الذكي الذي ساد قومه لا بُدّ أنّه يُجيد هذه المهارة[٣]:

لـيس الغبـي بسـيِّدٍ فـي قومـه لكـن سَيِّدَ قومـه المتغـابي

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج/ ١، ص٣٠١.

(٢) انظر: أبو تمام الطائي حياته و شعره د/هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي بيروت، ص١٣٣.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح مالك بن طوق،ج١، ص٥٦.

ويُؤكد أبو تمام في حكمته المشهورة أنّ السيف هو الذي يحسم الأمور، فيقول[١]:

السـيفُ أصـدق أنبـاءً مـن الكُتُـبِ   فـي حـدِّه الحَـدُّ بـين الجِـدِّ واللَّعـبِ

ويقرر أبو تمام أنّ سلامة الجسد لا تعني شيئاً إذا فقد الإنسان كرامته، ويستخرج هذه الحكمة من مواقف الأبطال في جيوش المعتصم، فيقول[٢]:

لا يأســفونَ إذا هــم ســمنت لهُــم   أجْســـامهم أن تَهْــزل الأعمـــارُ

ويؤكد أبو تمام في حكمته بأنّ الحياة الهانئة لا تتم إلا بعد الجهد والكفاح، ولعله يتحدث عن نفسهِ التي لم تنعم بالحياة المترفة إلا بعد سنوات من الكفاح، فيقول[٣]:

ما ابيض وجه المرء في طلب العلى   حتّــى يســوّدَ وجهــه فــي البيــدِ

ويقول:أنت أيها الممدوح لا بُدّ أن تكون واسع الصدر لأنّهُ لا يعظُم شأنك إلا بقومك وأقاربك[٤]:

فاضـــمُمْ أقاصـــيهم إليـــكَ فإنّـــهُ   لا يزخــرُ الــوادي بغيــرِ شِــعابِ

يقول من طال المُقام في قومه وعول عليهم أخلق وجهه وهان عليهم فليغترب الانسان في طلب الرزق فذلك أبقى لماء وجهه وأكرم له عند قومه:

وطُول مُقامِ المَرْءِ في الْحَيِّ مُخْلِقٌ   لِدِيباجَتَيْــهِ، فــاغْتَرِبْ تَتَجَـــدّد

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح المعتصم، ج/ ١، ص٣٢.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح أبا سعيد، ج/ ١، ص ٣٢٣.

(٣) انظر: رسالة عن أبي تمام الشاعر الفنان، نورة الشملان، ص ٧٢.

(٤) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح مالك بن طوق،ج١، ص ٥٧.

ويقول قد يكون العزُّ في غير محلِّه وقد يُعظَّم من لا يستحق التعظيم[(١)]:

ليـالي بـات العِـزُّ فـي غَيْـرِ بيْتِـه   وعُظِّمَ وغْدُ القوْمِ في الزَّمنِ الَوغْدِ

ويقول هذه الحكمة التي لا تموت وهي "إنّ من يعمل قد يُخطي ومن لا يعمل لا يُخطي"[(٢)]:

ولمْ أرَ نَفْعاً عندَ مَنْ ليْس ضـائراً   ولـم أرَ ضَـرّاً عِنْـدَ مـنْ لـيسَ يَنْفَـعُ

ومن حكمه أيضاً قوله: إنّ الأرزاق مكتوبة ومقدرة من الرزاق فقد تجد الجاهل موفور المال والعالم قليل المال، فيقول[(٣)]:

ينـالُ الفتـى مـن عَيْشِـهِ وهـو جاهـلٌ   ويُكْدِي الفتـى فـي دَهْرِهِ وهـو عـالمُ

ولـو كانـت الأرزاقُ تَجْـري علـى الحِجَـا   هلكْـنَ إذنْ مِـنْ جَهْلِهِـنَّ البهَـائمُ

ويقول: إنَّ الشعر قرين العُلى فهو الذي يظهر ويُبرز ويُميز أهل الفضل والكرم عن أهل البخل وأهل الشجاعة عن أهل الجبن[(٤)]:

ولا كـالعُلى مـا لـمْ يُـرَ الشِّـعْرُ بيْنهـا   فكـالأرضِ غُفْـلاً لـيسَ فيهـا معـالِمُ

ومـا هُـوَ إلاَّ القـوْلُ يَسْـري فتغْتَـدِي   لــهُ غُــرَرٌ فــي أوْجُــهٍ ومواسِــمُ

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح أبا حفص بن عُمَر الأزدي، ج/١، ص٢٩٣.
(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح أبا سعيد، ج/ ١، ص٤٠٠.
(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح أحمد بن أبي دُواد، ج/ ١، ص ٨٧.
(٤) نفسه.

ومن حكمه قوله لابُدَّ أن يكون فيمن تُصادق أن يكون ظاهره مثل باطنه من الصفاء، فيقول(١):

لـيسَ الصَّديقُ بمَنْ يُعِيرُكَ ظاهِراً   مُتَبَسِّماً عَنْ باطِنٍ مُتَجَهِمِ

والشدائد لا تزول إلا بإنفاق المال ومن إنصاف المكارم ظلم المال وهذا المعنى يتكرر كثيراً في شعر أبي تمام، فيقول(٢):

إنَّ التِّلادَ على نَفاسةِ قَدْرِه   لا يُرْغِمُ الأزَمَاتِ ما لَمْ يُظلَمِ

لا يُسْتَطَالُ على الخُطُوبِ ولا تُرى   أُكْرُومةٌ نِصْفاً إذا لَمْ يُظلمِ

وتحول الغني إلى الفقر وخلوّه من المال بسبب كرمه شيء لا ينكر، وكذلك المكان العالي لا يحتفظ بالسيول، لأنها تنحدر سريعة منه، فيقول(٣):

لا تُنكري عطل الكريم من الغِنى   فالسيلُ حربٌ للمكان العالي

وعلى نحو ما نرى فإن صورة الحكيم في مخيلة أبي تمام تبدو بطولية وهي كذلك في مخيلة سائر المجتمعات؛ ولذلك رأينا أبا تمام يعلى من شأن الحكمة ويمنحها دلالات واسعة من إلهاماته الشعرية، حتّى لا تكاد تخلو قصيدة منها بل يكاد أبو تمام ينسج أبياته ومعانيه الشعرية على منوال الحكماء في قالب شعري، كان له أثره ووقعه المؤثر في نفس سامعيه، لذلك بدت حكم أبي تمام الشعرية في هذا الباب ذات ملامح بطولية تلفت الأنظار وتسترعي الانتباه.

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح ابن شُبانة، ج٢، ص١٢٥.

(٢) نفسه، ص١٢٧.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح الحسن بن رجاء، ج٢،ص٣٨.

ثالثاً: الشاعر مغترباً:

لا يلبث صاحب النفس الأبية والطموح المتوثب أن يضيق به مقامه ويستوحش دياره ويضيق به العيش فيها، فهي لا تلبي رغائبه ولا تشبع طموحه الوثاب ولا ترضي نفسه الجامحة إلى طلب المعالي، لذا سرعان ما ينفك منها ويرحل عنها، بل إن صاحب هذه النفس قد يضيق به الزمان وأهله فيرى نفسه غريباً بينهم شاذاً عنهم فقد تبدلت عادتهم وتقاليدهم وأخلاقهم إلى صورةٍ لا يألفها صاحب هذه النفس ولا يرضاها؛ لذا سُرعان ما ينقم على زمانه ، ويشكو هذا الزمان وأهله مشيداً بهمته التي تتعالى على أخلاق هذا الزمان.

وكذلك كان صاحب هذه النفس الأبية والطموح المتوثب، شاعرنا أبا تمام، فقد غَرّب واغترب تحدوه همة الأبطال و"صبره على المشاق لبلوغ المُنى، وشدة إعجابه بنفسه.. فإذا قرأت ديوانه رأيته مفعماً بما يدل على أنه نشأ مُغامراً في سبيل المال والجاه. وقد زادته كثرة أسفاره عزماً ومضاءً"[١]

وغرَّبتُ حتى لم أجد ذكرَ مَشرِقٍ   وشرَّقتُ حتى قد نسيتُ المغاربا
خُطُوبٌ إذا لاقيْتُهنَّ رددنني   جريحاً كأني قد لقيتُ الكتائبا

ويستحضر شخصية الخضر الذي عُرف بكثرة أسفاره وعدم استقراره في مكان واحد، لنفسه حيث كثُرت أسفاره فلا يكاد يستقر في مكان واحد؛ يستخدم الكناية؛ ليُبين كثرة أسفاره فقد أصبحت ظهور العيس أوطانه، فيقول:

خليفة الخضر من يربع على وطنٍ   في بلدة فظهور العيس أوطاني

---

(١) انظر: أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم، ص ٤٤.

و"الطموح هو الذي حمل شاعرنا على ترك قومه في الشام، ثُمَّ على ترك مصر والضرب في أجواز الأرض فيقول(١):

ما ابيضّ وجه المرء في طلب العلى حتــى يُســوّدَ وجهــه فــي البيــدِ

وشاعرُنا هو الحازم في اتِّخاذ القرار بالانتقال والسفر من بلده إذا لم يجد فيه ما يرنو إليه و يُحقق طموحه فهو لا يبقى في مكان واحد ولا يَثنيه العاذلون عن كثرة أسفاره(٢):

وعــاذِلٍ هــاجَ لــي بــاللومِ مأْرُبــةً باتتْ عليها همومُ النّفسِ تصطخِبُ
لمّا أطالَ ارتِجالَ العَذْلِ قُلْتُ لهُ: الحزْمُ يُثني خُطُوبَ الدَّهْرِلا الخُطَبُ

والشاعر صاحب عقل راجح ورأي سديد فهو حازم لا يتردد في طلب المجد(٣):

متــى كــانَ سَــمْعي خُلْسَــةً لِلَّــوائمِ وكيْـفَ صَـغَتْ لِلعـاذِلاتِ عَزَائمـي
إذا المَـرْءُ أبقــى بــينَ رأْيَيْــهِ ثُلْمَــةً تُسَـــدُّ بتَغْنِيـــفٍ فلـــيْسَ بِحَـــازِمِ

و"الشاعر زادته كثرة أسفاره عزماً ومضاءً، فهو يريد أن يخوض غمرات الحياة بحزم على الرغم مما يلقى فيها من أهوال فإمّا الغنى أو الموت، فليس إذن من الغريب أن تسمعه يقول(٤):

ذرينـــي وأهـــوال الزمـــان أُفانِهـــا فأهوالـــهُ العُظمـــى تليهـــا رَغائبُـــه
دعيني علـى أخلاقـي الصُّـمِّ للتـي هـي الـوفر أو سـرب تـرنّ نوادبـه

---

(١) انظر: أمراء الشعر العربي ص١٩٠.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، ج/ ١. ص ١٣٢.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح أبي سعيد محمد بن سعيد و قد غاب عنه ر،ج٢، ص١٠٨.

(٤) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي،في مدح عبد الله بن طاهر، ج١، ص١٢١.

فـــإن الحُســـامَ الهُنـــدوانيَّ إنَّمـــا خُشَّـــونتُه مـــا لـــم تُفلَّـــلْ مضـــاربه

والشاعر يتصف بصلابة النفس ووضوح الهدف نحو نيل العظائم يقول[١]:

لا أفقَـر الطـربَ القـلاصَ ولا أرى مــع زيــر نســوان أشــدُّ قيــودي
شـوقٌ ضـرحت قذاتـه عـن مشـربي هـوى أطـرت لحـاءَهُ عـن عـودي
عــامي وعــام العـيس بـين وديقـةٍ مســـــجورة وتنوفــــة صـــــيخود
حتـــى أغـــادر كـــل يـــومٍ بـــالفلا للطيــر عيــداً مــن بنــات العيــدِ

وشاعرنا هو البطل الذي يستغل وقته فيما ينفع" نراه يرحل إلى خُرسان ليمدح عبد الله بن طاهر حين استقل بها، وفي أثناء رجوعه مرَّ بهمذان، فأكرمه أبو الوفاء بن سلمة، وحبسه الثلج هُناك مدة طويلة، فانكبَّ على خزانة كتبه، ولم يلبث أن فكر في تأليف مجاميع من الشعر، فألف خمسة كتب أهمها الحماسة التي دَوَّتْ شُهرتها"[٢].

وأبو تمام الشاعر الذي اشتهر بالجود والسخاء والإحسان إلى المحتاجين" لقد مدح وهو بأرمينية خالد بن يزيد فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره، ثمَّ ودَّعه ولكن شهراً يمضي وإذا بخالد يلقاه جالساً في ظل شجرة فيسأله: "ما فعل المال"؟ فيُجيبه أبو تمام[٣]:

علمنـــي جـــودك الســـماح فمـــا أبقيــت شــيئاً لــدي مــن صــلتك
مــا مــرّ شــهرٌ حتــى ســمحت بــه كـــأنّ لـــي قُـــدرة كمقـــدرتك

فأمر له بعشرة آلاف أخرى فأخذها وسافر.

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي،في مدح أحمد بن أبي دُؤاد، ج١، ص٢٠٨.
(٢) انظر: الفن و مذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف ص٢٢٠.
(٣) انظر: أبو تمام و موازنة الآمدي محمد محمد الحسيني ص١٠.

وهكذا كانت أسفار أبي تمام ورحلاته صورة خالدة لبطولة الذات الشاعرة التي علت همتها وطمعت إلى آفاق المعالي، إنه العربي البطل، والحكيم البطل والشاعر البطل، إنه شاعرنا أبو تمام.

ثانياً/ قرين الذات[١] بطلاً (الصديق):

كثيراً ما تلوح صور البطولة التي تترسخ في نفس الشاعر ومخيلته من خلال انعكاسها في صورة أقرانه فتلوح في صورتهم صورة الشاعر وفي بطولتهم بطولته، وتأتي الصفات التي يمدح بها الشاعر الصديق معادلاً موضوعياً للعواطف والانفعالات وبالمشاعر التي يحتويها، فالشّاعر يُمارسُ نوعاً من إخفاء المشاعر المباشرة من أجل إقناع القارئ بعمومية التجربة من أجل أن تستحق ايلاء الاهتمام من قبل القارئ الذي يقنعه العمل الأدبي من خلال المعادل الموضوعي بأحقيته بتمثيل مشاعر إنسانية مشتركة وليست مشاعر سطحية ومباشرة لا تعكس إلا تجربة صاحبها الذي عاشها وحسب[٢].

(١) المقصود بقرين الذات المماثل للبطل في المنزلة.

(٢) انظر: اليوت عند النُّقاد العرب، مجلة جامعة الانبار للغات و الآداب، العدد/ ٣، لسنة ٢٠١٠.

١/ الصديق شاعراً:

كان أبو تمام شاعراً بطولياً يتزعم شعراء عصره ويسبقهم إلى الحظوة لدى الخلفاء والأمراء والقواد... ومثل ذلك الشاعر البطولي الذي يتمتع بتلك الهمة العالية يعرف للأبطال قدرهم ويحفظ لهم منازلهم ويرى في بطولتهم الشعرية صوراً من بطولته ويرى منهم قريناً لذاته الشاعرة.

وشاعرنا يقف على قرين ذاته (على بن الجهم) مودِّعاً له في سفر فكأنما يودِّعُ ذاته ويُفارق صورته خاصة وقد كان علي بن الجهم من أصدق الناس له، فيقول(١):

هي فرقةٌ من صاحب لك ماجد ... فغداً إذابة كل دمع جامد
فافزع إلى ذخر الشئون وغربه ... فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد
وإذا فقدت أخاً ولم تفقد له ... دمعاً ولا صبراً فلست بفاقد

فالشاعر يرسل دمعه... على فقد صاحبه وينضح من دموعه جزعاً لفراقه.

ويتحدث الشاعر عن أيام الوصال التي كانت تمزجهما كمزج الخمر بالماء البارد لتأتي أيام الفراق لتجعلها كالسم المخلوط بهذا الماء(٢):

أعلى يا ابن الجهم إنك دفت لي ... سُمّا وخمراً في الزلال البارد

ويطلب الشاعر من صاحبه ألاّ يبعد ويؤكد على سموه وكرم أخلاقه قائلاً(٣):

لا تبعدَنْ أبدا ولا تبعد فما ... أخلاقك الخضر الربا بأباعدِ

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح علي بن الجهم رقم القصيدة، ج/ ١/ ٢١٥.
(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي،في مدح علي بن الجهم رقم القصيدة، ج/ ١/ ٢١٥.
(٣) نفسه.

ثمّ يؤكد الشاعر على اقتران ذاتهما وعلو شأنهما وامتزاج نفسيهما وخلود إخائهما ووحدة نسبهما الأدبي الذي يؤكد تطابقهما ورؤية كل منهما لنفسه في صورة الآخر، فيقول[١]:

إن يكـد مطـرف الإخـاء فإننـا   نغـدو ونسـري فـي إخـاء تالـدِ
أو يختلـف مـاء الوصـال فماؤنـا   عـذب تحـدّر مـن غمـام واحـدِ
أو يفتـرق نسـب يؤلـف بيننـا   أدب أقمنـاه مقـام الوالـدِ

ثُمّ يُبرز أبو تمام صور البطولة التي تجلت في صورة على بن الجهم وكأنه يجلي لنا صورة نفسه في صديقه الذي أكد فيما سبق من أبيات على أنه قرين ذاته، فيقول[٢]:

لـو كنـت طرفـا كنـت غيـر مـدافع   للأشـقر الجعـدي أو للذائـدِ
أو قـدمتك السـن خلـت بأنـه   مـن لفظـك اشـتقت بلاغـة خالـدِ
أو كنـت يومـاً بـالنجوم مصـادقاً   لزعمـت أنـك أنـت بكـرُ عطـاردِ

فأبو تمام يرى قرين ذاته على بن الجهم فارساً غير مسبوق في حلبة الشعراء فكأنه الأشقر فرس مروان بن محمد أو الذائد فرس هشام بن عبد الملك، وقرينه لا تزيده الأيام إلا حنكة وبلاغة فكأنه خالد بن صفوان التميمي وكان مشهوراً بالبلاغة، وصاحبه على بن الجهم شاعر غير مسبوق فكأن عطارد الذي يرعى الشعراء والكتاب قد أنجبه وصار ولده البكر الذي لم ينجب قبله، وتلك الصور جميعها تشهد لصاحب أبي تمام وقرين ذاته بالبطولة التي يراها ويجدها أبو تمام في ذاته.

ثمّ يبرز لنا أبو تمام سمو صاحبه الخلقي، فيقول[١]:

---

(١) نفسه.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي،في مدح علي بن الجهم رقم القصيدة، ج/ ١/ ٢١٥ .

صعبٌ فإن سومحت كنت مسامحاً سلسا جريرك في يمين القائدِ
ألبست فوق بياض مجدك نعمة بيضاء حلّت في سواد الحاسدِ
ومودة لا زهدت في راغب يوما ولا هي رغبت في زاهدِ
غناء ليس بمنكر أن تغتدي في روضها الراعي أمام الرائدِ

فالشاعر يرى قرين ذاته صعباً غير ذلول يأبى الضيم ولكنه إذا سئل العفو منحه وتلك من شيم العظماء ينقادون في سلاسة إل العفو حين يطلب منهم العفو والسماح، والشاعر يرى صاحبه صاحب نعمة ومجد وما حل به من نعم كان على أساس مجد تليد فازداد مجدا وعزة يشع نورها في ظلام صدر الحاسد فيزداد غيظاً وكمداً، وهو ودود حلو العشرة جميل الصحبة يرتاده الأصحاب؛ وذلك لسعة أخلاقه وحسن مودته لهم.

ثمّ يبرز أبو تمام في قرين ذاته دليلاً حياً وواقعاً لكل ما له فيه من سؤدد فقد حاز سائر المكارم بلا منازع[٢]:

ما أدعي لك جانبا من سؤدد إلا وأنت عليه أعدل شاهدِ

٢/ الصديقُ كاتباً[٣]:

كان أبو تمام بحكم انتمائه إلى طائفة الأدباء مرتبطاً برباط الصداقة على الصعيد الفردي بالشاعر على بن الجهم – كما سبق أن أشرت إليه من قبل – والوزير محمد

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي،في مدح علي بن الجهم رقم القصيدة، ج/ ١/ ٢١٦

(٢) نفسه، ٢١٧.

(٣) ومنصب الكاتب ازدادت أهمية خاصة في الدولة العباسية ، فكان ينفرد بالأمر دون الخليفة فيصدر السجلات و يكتب في آخرها اسمه و يختم عليها بخاتم السلطات ثم صارت إلى وزرائهم. انظر: على حسين الشطشاط، دراسات في تاريخ الحضارة، دار قُباء للنشر، القاهرة،٢٠٠١م،ص ٧٧.

بن عبد الملك الزيات وعلى الصعيد الأُسْري بأُسرة آل وهب كما أوضحته الكتب التي تحدَّثت عن أبي تمام، فهو الذي يقول في أسرة آل وهب، فيقول(١): من الخفيف

كُـلُّ شِـعْبٍ كنـتُم بِـهِ آلَ وَهْـبٍ ... فَهْـوَ شِـعْبي وشِـعْبُ كُـلِّ أديـبِ

لَـمْ أزَلْ بـارِدَ الجَـوانحِ مُـذْ خَـضْ ... خَضْتُ دَلْوي في ماءِ ذاك القليبِ

إلى أن يقول:

إنّ قلبـي لكـم لكـا لكبـد الحَـرَّ ... ى وقلبـي لِغَيْـرِكم كـالقلُوبِ

لَسْـتُ أُدلـي بِحُرْمَـةٍ مُسْـتَزِيداً ... فـي وِدَادٍ مِـنكمْ ولا فـي نَصِـيبِ

لا تُصـيبُ الصَّـدِيقَ قارعـةُ التَّـأ ... نيـبِ إلاَّ مِـن الصَّـدِيقِ الرَّغِيـبِ

وأبو تمام كما سيأتي لا يرسم صورةً لصديقٍ مُعين، وإنما يرسم صورة في ثوبٍ فضفاض، لما يكون عليه الصديق الأنموذج.

فحين يمدح أبو تمام هذا الصديق في ثوب الكاتب، فنراهُ يُخاطبه بِلُغةٍ ترتكز على الإشادة ببلاغته وفصاحته(٢) ومؤكدا في الوقت ذاته على كرمه ورفعة منزلته ونسبه وصفاء عرضه فصاحبه هو الكريم الذي يبذلُ جاهَهُ ومنزلته عند الأمير لإكرام الناس، فيقول(٣): من الكامل

وإذا امـرؤ أهـدى إليـكَ صَـنِيعةً ... مـن جاهِـهِ فكأنّهـا مـنْ مالِـهِ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح سليمان بن وهب، ج/ ١، ص ٧٦.

(٢) انظر: رسالة عن أبي تمام الشاعر الفنان، نورة الشّملان،مكتبة مصر، الفجالة، ص٧٧.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن أبي ربعي كاتب أبي دُلَف، ج/ ٢،ص ٣٠.

وهو الذي لا يمكن النيل من عرضه أو الوصول إلى ذمه لأنه يتمتع بخبرة في التعامل مع الناس فكل ما يقوم به يجد قُبولاً عند الناس، فيقول(١): من الخفيف

حـــوّلٌ لا فعالـــه مرتـــع الـــذَّمِّ   ولا عِرْضُـــهُ مُـــراحُ العيـــوبِ

وهذا لخطيبُ بليغٌ لا يتحيّرُ في قول ما يُراد منه إذا غيره تردد وتلعثم عن قول ما يُرادُ منه، فيقول في مدح الحسن بن وهب(٢): (٣) من الكامل

ثبـــتُ البيـــانِ إذا تَحيّـــرَ قائـــلٌ   أضـــحى شِـكالاً للسـانِ المُطْلَـقِ

لـم يَتَّبِـع شَـنِعَ اللُّغـاتِ ولا مشَـى   رَسْـفَ المُقَيَّـدِ فـي حُـدُودِ المنْطِـقِ

وهو ذو رأي صائب عند ما يعجز الدُّهاة في التغلب عن حل الأمور العظيمة، فيقول(٤): من الخفيف

ومُصـــيبٌ شـــواكلَ المـــر فيـــه   مُشـــكلاتٌ يَلُكْـــنَ لُـــبَّ لبيـــبِ

وهو سهم الأمير ومساعدهُ في تصريف الأمر عند اشتداد زمانه، فيقول(٥): من الكامل

إنّ الأميـــرَ بـــلاك فـــي أحوالـــهِ   فـــرآكَ أهْزَعَـــهُ غَـــداةَ نِضـــالهِ

وهذا الكاتب واسع الثَّقافة مُتعَدِّد المواهب، مُبرزٌ في كل علم، فيقول(٦): من الكامل

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح سليمان بن وهب، ج/ ١، ٧٦.

(٢) الحسن بن و هب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي، كاتب، من الشُّعراء، كان مُعاصراً لأبي لأبي تمام، وله معه أخبار،، و كان وجيهاً، استكتبه الخُلفاء، و مدحه ابو تمام، توفي نحو ٢٥٠ هـ. (الأعلام: ٢/ ٢٢٦)

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح الحسن بن وهب، ج/ ١، ص٤٤٧.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح سليمان بن وهب، رقم القصيدة، ج١/، ص٧٤.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن أبي ربعي كاتب أبي دُلَف، ج/ ٢، ص٣٠.

(٦) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح الحسن بن وهب، ج/ ١، ص٨١.

فَكَـأَنَّ قُسَّـاً[١] فـي عُكَـاظٍ يَخْطُـبُ   وَكَـــأَنَّ لَيْلَـــى الأَخْيَلِيَّـــةَ تَنْـــدُبُ
وكُثَيْــرَ عَــزَّةَ يَــومَ بَــيْنٍ يَنْسُــبُ   وابـنَ المُقَفَّـعِ فـي اليَتِيْمـةِ يُسْـهِبُ

وهو من سعة ثقافته ذو تأثير في السامعين، فيكسو السامعين مَرَّةً وقاراً بِجزالة لفظه وفخامته، ومَرَّةً يستخف الموقر سُروراً لِحُسْنِ لفظهِ ورقَّة معانيه، وتارةً يُبكيهم بوعظه، ويُطربُهم تارة بِبدائعه، فيقول[٢]:

تَكْسُـو الوقَـار وتَسْـتَخِفُّ مُـوَقَّراً   طوْرا وتُبْكِيً سـامِعِيْنَ وتُطْـرِبُ

فالصديق فائق الكرم، فكرمه عمَّ القريب منه والبعيد الذي انقطعت به السُّبل، فيقول[٣]: من الخفيف

سَـدِكُ الكـفِّ بالنَّـدَى عـائرُ السَّمْـ   ع إلـى حَيْـثُ صَـرْحةُ المَكْـرُوبِ

وهذا الصَّديق الكَرَمُ مُتأصِّلٌ في نَفْسِهِ، فهو لا يُظهرُ السخط من كثرةِ السائلين، بل لا يزدهُ سُؤالُهم لهُ إلا طلاقةً وبشاشة في الوجه، فيقول[٤]: الخفيف

وإذا كَـــفُّ راغِـــبٍ سَـــلَبَتْهُ   راحَ طَلْقـاً كالكوْكَـبِ المشْـبُوبِ

وهو وإنْ كان ذو المعروف ينظرُ إلى سائلهُ من علٍ، فهو لا يتكبر لإفضالهِ على ما فيه من علو المنزلة، فيقول[٥]: من الكامل

---

(١) قس بن ساعدة من بني إياد ، أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم ، في الجاهلية ، كان أسقف نجران ،ويقال إنه أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه: (أما بعد) طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم ، ورآه في عكاظ (الأعلام: ٥/ ١٩٦)

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح الحسن بن وهب، ج١، ص ٨١.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح سليمان بن وهب، رقم القصيدة، ج١/، ص٧٤.

(٤) نفسه، ص٧٥.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح الحسن بن وهب، ج/ ٢، ص ٢١.

لـمْ يَقْرِنـي بِشْـرَ البخيـلِ يُغيِّـرُ فـي أمَلـي، ولـم يَشْـمَخْ بِـأنْفِ المُفْضِـلِ
وَغَـدَا فَلَـمْ يُطْلِـلْ عَلـيَّ بِطَرْفِـهِ شَوَساً وذُو المَعْرُوفِ يَنْظُرُ مِنْ عَلِ

وهو خطيبٌ بسيط اللسان تخرجُ الكلمات من فيه سهلة يسيرة واضحة، فيقول[١]: من الخفيف

سُـرُحٌ قَوْلُـهُ إذا مـا اسـتمَرَّتْ عُقْـدَةُ العِـيّ فـي لسـانِ الخَطيـبِ

وهو جزل في الرِّجال، فلا يُعنيه كل شيء ولا يُعجبه كل عجيب، وإنما يعنيه من الأشياء أهمها ويُعجبه منها أتمها وأشدها إعجاباً، فيقول[٢]: من الخفيف

لا مُعَنَّـى بِكُـلِّ شـيءٍ ولا كُـلُّ عَجِيـبٍ فـي عَيْنِـهِ بِعَجِيـبِ

وهو مأمون الظاهر والباطن، لا يحمل بين أضلاعه الغش كما يحمله غيره، فيقول[٣]: من الخفيف

آمِـن الجيـبِ، والضُّـلُوعِ، إذا مـا أصْـبَحَ الغِـشُّ وهـو دِرْعُ القُلُـوبِ

وهو المنتسب لبيت علم عُرِفَ هذا البيت باحتضانه للأدباء: من الخفيف[٤]

كُـلُّ شِـعبٍ كنـتم بـه آلَ وَهـبٍ فهـو شِـعبي وشِـعبُ كـلِّ أديـبِ

وهو المعتدل في أخلاقه، وليس صلبا في وقاره بل هو لطيف طريف مع ندمائه وفي طرافتهِ إجمام للجد واستعانة عليه، فيقول[٥]: من الكامل

لا طـائشٌ تهفـو خلائقُـهُ ولا خَشِـنُ الوقـار كأنـهُ فـي محفـل

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح سليمان بن وهب، رقم القصيدة، ج/، ص٧٤.
(٢) شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح سليمان بن وهب، رقم القصيدة، ج١/، ص٧٤.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي،ج١، ص٧٥.
(٤) نفسه، ٧٦.
(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح الحسن بن وهب، ج/٢، ص ١٩ .

فَكِــهٌ يجُــمُّ الجِــدَّ أحيانــاً، وقــد   يُنضى ويُهزَلُ عيْشُ من لم يهْزِلِ

وهـو حَصِـنُ اللسـان أي لا ينطـق إلا بالواجـب إذا نطـق غيـره بمـا فيـه ضـره، فيقول(١): من الكامل

قَيْــدُ الكــلامِ لِســانهُ حِصْــنٌ إذا   أضْحى اللسانُ اللَّغْبُ مثلَ المقْتَلِ

وهو عفيف السمعِ فأُذُنُـهُ مغلقة عن قبولِ الدَّنايا وهو كريم اليد فأناملـه مفتوحة بالعطايا، فيقول(٢): من الكامل

أذنٌ صَــفوحٌ لــيس يفــتحُ سَــمْعَها   لِدنيَّـــةٍ وأنامـــلٌ لـــم تُقْفَـــلِ

وهو الصّديق الذي يُودُّ ويُشتاق إليـه، ولا يُملّ منـه؛ لما يـربط بينهمـا مـن رابطـة حُب الشِّعر والأدب، فيقول(٣): من الوافر

نَصَــبٌ علــى التَّقــارُبِ والتَّــدانِي   ويسْــقِينا بِكــاسِ الشَّــوْقِ سَــاقِ

كــأنَّ العَهْــدَ عَــنْ عُفْــرٍ لَــدَيْنا   وإنْ كَــانَ التَّلاقِــي عَــنْ تَــلاقِ

لقد خلـع أبـو تمـام علـى قـرين ذاتـه الكثيـر مـن صـفات الـنفس وخـلال الأخـلاق وأمارات التفوق وسمات البطولة التي تجلت في نفسه وصورها في ذات قرينـه لتتأكد لنا بطولته الذاتية في معادله الموضوعي (قرين الذات).

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه، ص٢٠.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح الحسن بن وهب، ج ١، ص ٤٥١.

الفصل الرابع

(البطولة الموضوعية)

- أولاً: البطل الكلى (خليفةً)
- ثانياً: البطل الجزئي في إطار الكل
- البطل في صورة وزير
- البطل في صورة الوالي:
- البطل قائداً (صورة البطل في الحرب)
- البطل في صورة صاحب الشرطة
- البطل في صورة قاضي

الفصل الرابع

البطولة الموضوعية(١)

أولاً/ البطل الكلي(٢) (خليفةً):

البطل الكلي هو ذلك البطل لذي يتسم بأنه يحوي سائر صفات البطولة في نفسه، كما يتسم بأنه يحوي سائر الأبطال بإرادته وذلك في إطار منظومة تتوزع فيها الأدوار الجزئية على تنوعها كل في باب بطولته بينما يمسك البطل الكلي بزمام الأمور لما يتمتع به من بطولة كلية جامعة جعلته بطلاً في سائر هذه الأبواب البطولية التي يباشر أبطاله السعي فيها، وقد اعتادت المجتمعات البشرية خلال عصورها على وجود شخصيات إنسانية متفردة في تفوِّقِها وقُدراتها على سائر الناس، وقد كان الخليفة من أبرز تلك الشخصيات، فلقد "أحذَ منصب الخليفة في العصر العباسي سِمَة القداسة، وأصبحَ يَدَّعي أنّ سُلطانه مُسْتَمَدٌ من الله، وعليه ظَهَرت بَعْض الألقاب مُرتَبِطة بلفظ الجلالة: المعتصم بالله والواثق بالله والمتوكل على الله"(٣) وقد نظر إليهم الناس نظرة إكبار وإجلال وتعظيم، وذلك لما لهؤلاء الخلفاء في ذلك الوقت من قُدُراتٍ ذاتيةٍ، وشعبية، وما لا قوه من عداوات خارجية تهدف للقضاء على الخلافة الإسلامية فأظهرت تلك العوامل مواقفاً وأعمالا مجَّدها الناس، والشُّعراء الذين أعجبوا ببطولات الخلفاء فكان شعرهم تعبيراً عن هذا الإعجاب.

---

(١) الموضوعي المنسوب إلى الموضوع (ج/ مواضيع) مادة يبني عليها المتكلم و الكاتب كلامه. انظر: بحث مستفاد من الشبكة العنكبوتية، بعنوان (الذاتي و الموضوعي في عمارة الحداثة و ما بعد الحداثة، د/ فلاح جر جامعة العلوم و التكنولوجيا – وهران – الجزائر).

(٢) انظر: دروس في علم المنطق، إبراهيم الأنصاري (الكلي و الجزئي) رابط: www.elibrary4arab.com/ebooks/manted-w-falsafa/droos-manted/fahres.hom

(٣) انظر: على حسين الشطشاط، دراسات في تاريخ الحضارة، دار قُباء للنشر، القاهرة،٢٠٠١م،ص٦٦.

ومن هؤلاء الخليفة المعتصم[(١)] وهو "بطلٌ شُجاع، فارس صِنْديد، لم يكن في بني العباس أشْجَع منه ولا أشدَ قلباً"[(٢)] "وكان شهماً له همةٌ عاليةٌ ومهابةٌ عظيمةٌ جِدّا، بعضهم: إنّما كانت همّتَهُ في الحرب، لا في البناء ولا في غيره يُقال له المثمن (أنظر البداية والنهاية٤/٢٨٣) لوجوه منها: أنّهُ فتح ثماني فتوحات بلاد بابك على يد الأفشين، وعمّورية[(٣)] بنفسه والزُّطَّ بعُجيفٍ وبحر البصرة وقلعة الأجراف، وأعراب ديار ربيعة، والشارَك، وفتح مصر بعد عصيانها، وأنَّه قتل ثمانية أعداء بابك، وما زيار وباطس الرُّومي، والأفشين، وعُجيفاً، وقارنَ، وقائد الرافضة"[(٤)]

ومن الأخبار التي تدل على شجاعته وقوته الخارقة ما روي عن أحمد بن أبي داودٍ القاضي أنّه قال: "رُبّما أخرج المعتصم ساعده إليَّ وقال لي: عُضّ يا أبا عبد الله بكل ما تقدرُ عليه، فأقول: إنّه لا تطيبُ نفسي يا أمير المؤمنين. فيقول إنه لا يضُرُّني. فأكدُمُ بكلِّ ما أقدِرُ عليه، فلا يؤثرُ ذلك في يده"[(٥)].

"وقال: مرَّ يوماً في خلافة أخيه بمُخيّمِ الجُنْدِ، فإذا امرأةٌ تقول: ابني ابني. فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: ابني أخذَهُ صاحب هذه الخيمة. فجاء إليه المعتصم، فقال له: أطلق هذا الصبي. فامتنع عليه، فقبض على جسده بيده، فَسُمِعَ صوت عظامه من تحت يده، ثُمَّ أرسله فسقطَ ميتاً، وأمر بإخراج الصبي إلى أمِّه"[(٦)].

---

(١) المعتصم ت ٢٢٧هـ أمير المؤمنين،أبو إسحاق محمد المعتصم بنُ أميرِ المؤمنين هارون الرشيد ابن أمير المؤمنين جعفر المنصور عبد الله المنصور محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

(٢) المستطرف للأبشيهي، دار القلم،بيروت . لبنان ١/٢٢٨.

(٣) عَمّوريّة: بفتح أوله، تشديد ثانيه، بلد في بلاد الوم، من أحصن حصون الروم، و أجلّها عندهم، فتحها المعتصم في سنة ٢٢٣هـ، و كان هذا الفتح من أعظم فتوح المسامين. انظر: معجم البلدان / ياقوت الحموي/٤/١٥٨)

(٤) البداية و النهاية ١٤/٢٨٦.

(٥) أنظر البداية و النهاية٤/٢٨٥.

(٦) البداية و النهاية ٤/ ٢٨٥نقلاً من كتاب تاريخ بغداد٣/٣٤٦.

" ويُقال أنّه طعنه بعض الخوارج وعليه درع، فأقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين، وكان يشِدُّ يده على كتابة الدينار فيمحوها، ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقاً في العُنق، ومنها أنّ ملك الروم كتب إليه كتاباً يتهدَّدَه فيه، فقال للكاتب: اكتب قد قرأتُ كتابك وسمعتُ خِطابك والجوابُ ما ترى لا ما تسْمعُ" وسيعلم الكافر لمن عُقْبى الدَّر "(١).

وهذه الرويات بما تحمله من مبالغات أحياناً تصور لنا كيف كان المعتصم بطلاً تجاوز الواقع إلى الخيال والأسطورة وذلك لما يتمتع به من بطولة كلية جامعة لا يدركها غيره.

ومن الصور البطولية التي امتدح بها أبو تمام الخليفة المعتصم وغيره من الخلفاء نجدها متمثلة في الصور البطولية الذاتية التي ينبغي أن يكون عليها الخليفة المثال صاحب الصفات النوعية، ومن تلك الصور المثالية للخليفة الصور التالية:

فالمعتصم هو البطل الذي لديه الجُرأة والبسالة التي تجعله يقتحم ميادين الحروب ولا يلتفت إلى أقوال أهل البدع والخُرافات ضارباً مثلاً: أنّ القوة وحدها هي التي تحسم الأمور العظيمة، فيقول: من البسيط(٢)

السيف أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدِّهِ الحَدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
بيضُ الصفائحِ لا سُودُ الصّحائفِ في ... متونِهنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيبِ
والعلمُ في شُهُبِ الأرْماحِ لامعةً ... بينَ الخميسين لا في السبعةِ الشُّهُبِ

(١) المستطرف للأبشيهي، دار الفلم،بيروت . لبنان ١/٢٢٨.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المعتصم بالله، ج١، ص٣٢.

وهوالبطل الشُّجاع الذي يتميز بالشجاعة الفائقة لأنّه عمل عملاً عجَزَ أنْ يفعله أبطالٌ قبله مثل كسرى وهو فتح عموريّة وبهذا الانتصار حافظ على مكانة الإسلام عالية وعزّز مكانة المسلمين وحافظ على رفعتهم وجعل الشرك وأهله في انحطاط بتفريق شملهم وتفنيد معتقداتهم وتنكيس كلمتهم، فيقول: من البسيط[١]

أبقيت جَدَّ بني الإسلام في صعَدٍ   والمشركينَ ودار الشِّركِ في صَبَبِ

أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أنْ تُفْتَدى جَعَلُوا   فِداءَها كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ وَأَبِ

وَبَرْزَةِ الوَجْهِ قَدْ أعْيَتْ رِياضَتُها   كِسْرى وصَدَّتْ صُدُوداً عن أبي كَرِبِ

بِكْرٌ فما افترعتها كفُّ حادِثَةٍ   ولا ترَقَّتْ إليها همَّةُ النُّوبِ

وهو البطل الذي يتميز بالشَّدة على الأعداء في أثناء المعركة، بما فعله بجيش العدو فأبطال العدو العظام مجندلين وجرحى مُبعثرة جثثهم، يصبغُ الدم القاني جباههم ويسيل على وجوههم، والمدينة أضرم فيها النيران فاحترق خشبها وذلّ صَخْرَها فلا تقع عين الناظر فيها إلا على قتلى ودماء تسيل من أجساد الجرحى ونار ودخان، في سائر آفاقها، فيقول: من البسيط[٢]

كم بين حِيطانها من فارسٍ بطلٍ   قاني الذوائبِ مِنْ آني دمٍ سَربِ

بِسُنَّةِ السَّيْفِ والخطيِّ من دَمِهِ   لا سُنةِ الدِّين والإسلامِ مُخْتَضَبِ

لقد تركتَ أميرَ المؤمنينَ بها   للنارِ يوماً ذليلَ الصخْرِ والخَشَبِ

غَادَرْتَ فيها بَهِيْمَ الليْلِ وهو ضُحَى   يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ من اللهبِ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المعتصم، ج١، ص ٣٦.

(٢) نفسه،ص٣٨- ٣٩.

والمعتصم هو الخليفة الذي يتصف بمخافة الله والرغبة في الجهاد في سبيله، ومراقبته والاتكال عليه والاعتصام بحبله، وكل ذلك يدلُّ على قوة الإيمان، وحسن الاعتقاد، وصفاء النية، فيقول: من البسيط(١)

تـــدبيرُ معتصـــمٍ بـــالله منـــتقِمٍ   لِلـــه مُرتقِـــبٍ فـــي الله مُرْتَغِـــبِ

إنه البطل المرعب الذي لا يكاد يقصدُ بلداً لحربه وقتاله في سبيل الله، حتّى يتولّى أهله من دونه هرباً، إذ يتولاهم الرعب، ويدبُّ في قلوبهم الخوفُ، ويُسَيْطرُ عليهم الهلع، قبل أن يصلَ إليهم الخليفة وجيشه، لما أثِرَ عن الممدوح من قوة وبطش وهول وبسالة، فكأن الرعب يُقاتل معه في صفوفه، فيقول: من البسيط(٢)

لـم يَغـزُ قَوْمـاً، ولَـمْ يَنْهَـدْ إلـى بَلَـدٍ   إلا تَقَدَّمَـــهُ جَـــيْشٌ مـــن الرَّعُـــبِ

وهو البطل الذي يتصف بالشجاعة والقوة والبسالة والبأس، وله هيبة عظيمة، ورهبة كبيرة، تُعادل هذه الصفات فيه جيْشاً كبير العدد كثيره، فيقول: من البسيط(٣)

لو لمْ يَقُدْ جَحْفَلاً، يومَ الوغَى، لَغدا   مِنْ نَفْسِهِ وحدَهَا، في جَحْفَلٍ لَجِبِ

وهذا البيت يعدّ تجسيداً للبطل الكلي في شخص الخليفة.

كذلك هو البطل المجاهد في الله مستنصراً لدينه، فالتوفيق حليفه لأن الله مؤيده ومؤازره، فيقول: من البسيط(٤)

رمـــى بـــك اللهُ بُرجَيْهـــا فَهَـــدَّمَها   ولـوْ رمـى بِكَ غيرُ اللهِ لـم يُصِـبِ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المعتصم، ج١، ص٤١.

(٢) نفسه،ص٤٢

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

وهذا تأكيد على صدق عزيمته وإيمانه بالله وارتباطه به، وهذا مما يدعم بطولته الكلية في المجتمع الإسلامي الذي لا يرضى إلا بالخليفة المتصل بالله والراغب إليه.

كذلك هو البطل الغيور على المحارم يلبي النّداء ويجيب نداء من استغاث به ولو كان بعيداً عنه لأنه تربطه بهم أخوة الدين، فيقول: من البسيط(١)

لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لَه ... كأْسَ الكَرَى ورُضَابَ الخُرَّدِ العُرُبِ(٢)

وهو البطل المتعفف عن الملذات والزاهد في متاع الدّنيا من أجل تحقيق الهدف الذي أراد تحقيقه وهو رفعة هذا الدين وهذا لا يتحقق إلا بقوة السيف(٣)

عداك حرُّ الثُّغورِ المستضامةِ عنْ ... برد الثُّغُورِ وعن سَلْسَلِها الخصِبِ

أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بالسَّيفِ مُنْصَلِتاً ... ولو أجبْتَ بِغَيْرِ السَّيفِ لم تُجِب

حتى تركتَ عمودَ الِّشرْكِ مُنْقعِراً ... ولم تُعَرِّج على الأوتادِ والطُّنُبِ

وهو سريع الحسم في تحقيق هدفه فهو يطلب الثأر والقتال في سبيل الله من هذه الغزوة وليس طلب المال، والبيت الأخير يمثل قمة الأخلاق والمبادئ الإسلامية، وعفة

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المعتصم، ج١، ص ٤٣١.

(٢) يقول ابن العماد الحنبلي: و من عجيب ما اتفق للمعتصم أنه كان قاعداً في مجلس أنسه و الكأس في يده، فبلغه أنّ امرأة شريفة في الأسر عند علج من علوج الروم في عموريّة، وأنّه لطمها على وجهها يوماً فصاحت: وا معتصماه ! فقال لها العلج: ما يجيء إليك إلا على أبلق، فختم المعتصم الكأس و ناوله الساقي، و قال: والله ما شربته إلا بعد فك الشريفة من الأسر و قتل العلج. ثم نادى العساكر بالرحيل إلى غزو عموريّة، و أمر العسكر أن لا يخرج أحد منهم إلا على أبلق، فخرجوا معه في سبعين ألف أبلق، فلما فتح الله تعالى عليه بفتح عموريّة دخلها و هو يقول: لبيك لبيك، و طلب العلج صاحب الأسيرة الشريفة، وضرب عنقَهُ، و فك الشريفة، و قال للساقي: ائتني بكأسي المختوم، ففكَّ ختمه وشَرَبَهُ، و قال: الآن طاب شُرب الشراب، سامحه الله تعالى و جزاه خيراً" (شذرات الذهب ١٢٩/٣) والدكتور هاشم صالح مناع يشك في الرواية لأسباب في كتابه أبو تمام حياته و شعره ص٦٥.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المعتصم، ج١، ص٤٤.

النفس، وسمو الروح، وعلو الهمة عند المسلمين متمثلة في إنكار الذات، ويمثل عكسها في الجانب البيزنطي، فيقول: من البسيط(١)

لمـا رأى الحـرب رأي العـين تُـوفَلِسٌ   والحرب مُشتَقَّةُ المعنى مِنْ الحربِ
غـدا يُصَـرِّف بـالأموال جِرْيَتهـا   فَعَـزَّهُ البحـرُ ذو التيـارِ والحَـدَبِ
هيهـاتَ! زُعْزِعَـتِ الأرضُ الوقـورُ بِـهِ   عن غزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غَزْو مُكتسِبِ

وهو البطل المتلذذ بالحرب لأنّه متعود على النصر وذلك بسبب فرط شجاعته وقوة جيشه مما جعل العدو يهابه ويخاف من مواجهته، فيقول: من البسيط(٢)

ومطعـمِ النَّصـرِ لَـمْ تَكْهَـمْ أسِـنَّتُهُ   يومـاً ولا حُجِبَـتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِـبِ

وهو البطل الذي يطبق أوامر الله من الجهاد في سبيله والوقوف مع الحق ونصرة الإسلام والمسلمين، وتثبيت دعائم الخلافة الإسلامية، فيقول: من البسيط(٣)

خليفـةَ اللهِ جـازى الله سـعيكَ عـنْ   جُرْثُومـةِ الـدِّينِ والإسـلامِ والحَسَـبِ

وهو البطل واسع الأفق بعيد النظر، فهو عالمٌ بأنّ الأمور لا تأتي إلا بسمو همة، وحزمٍ، وعزم، وتمسُّك بدين الله(٤).

بَصُـرت بالراحـة الكُبْـرى فلـم تَرَهـا   تُنَـالُ إلا علـى جِسْـرٍ مِـنَ التَّعَـبِ

وهو البطل الأنموذج لكل القادة لأنه صاحب إنجاز عظيم، فهذا الفتح العظيم ليس كَكُلِّ فتح بل فتحٌ عادتْ فيه كرامةٌ وأُخذ ثأر، حتى إنّه عَجَز الشعرُ والنَّثر عن الإحاطة بوصفه، فيقول: من البسيط(١)

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المعتصم، ج١، ص٤٤.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المعتصم/ ج١، ص٤٢.

(٣) نفسه، ص٤٨.

(٤) نفسه، ص٤٩.

فَـتْحُ الفُتُـوْحِ تَعـالى أنْ يُحـيْطَ بِـهِ   نَظْمٌ مِن الشِّعْرِ أوْ نَثْرٌ منَ الخُطَبِ

ومن صفات البطل الكلي (الخليفة) عند أبي تمام أن يكون كريماً وافر العطاء، فهو الكريم الذي يُعْطي سائلهُ أكثر مما يتمنَّى، وهو الذي عطاياه عمَّت جميع الناس، وانتشر الخير والنماء على الأرض، فيقول في مدح المأمون(٢): من الكامل(٣)

سَخِطَتْ لَهَاهُ على جَدَاهُ سَخْطَةً   فاسْتَرْفَدَتْ أقْصى رِضَا المُسْتَرْفِدِ

صَدَمَتْ مواهِبُهُ النَّوائبَ صدْمةً   شَغَبَتْ على شَغَبِ الزَّمانِ الأنْكَدِ

وَطِئتْ حُزُونَ الأرضِ حَتَّى خِلْتَها   فَجَرَتْ عُيُوناً في مُتُونِ الجَلْمدِ

وهوالكريم الذي إذا حلَّ في مكان عمَّ الخير وشُرِّدَ الفق، وهو الذي أعزَّ الأيتام وبالغ في إكرامهم أيما إكرام حتى ودَّ بعض الناس أنّهم أيتام لما نال الأيتام من خير وغنى من قبل هذا الكريم، فيقول(٤):

وتَكَفَّلَ الأيتامَ عن آبائهمْ   حتَّى وَدِدْنا أنَّنا أيْتَامُ

وهو البطل الذي يتغلب على ما يعترضه من حوادث بما يتصف به من حلم وحكمة وقوة متمثلة في الخلافة، فيقول(٥):

إنّ الخليفةَ حينَ يُظْلِمُ حادثٌ   عيْنُ الهُدى و لهُ الخلافةُ مَحْجَرُ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المعتصم، ج١، ص٣٥.

(٢) المأمون هو عبد الله بن هارون الرّشيد، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، ولي الخلافة بعد خلعهِ أخاه الأمين سنة ١٩٨هـ، فتمّم ما بدأ به جدُّهُ المنصور من ترجمة كتب العلم و الفلسفة، فقامت دولة الحكمة في أيامه، و أطلق حُرِّية الكلام للباحثين و أهل الجدل و الفلاسفة لولا المحنة بخلق القُرآن في السّنة الأخيرة من حياته، توفي سنة ٢١٨هـ في " بذندون" و دفن في طرطوس.(الأعلام ٤/ ١٤٢).

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المأمون، ج١، ص٢٦٠.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المأمون، ج٢، ص ٧٣.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، مدح المعتصم،ج١، ص٣٣٤.

وهذا البطل من شدّة حزمه وقوته دائم الاستعداد في دفع الحادث الشديد، فيقول[١]:

مُتَجَرِّدٌ ثبت المواطِئِ حَزمُهُ   مُتَجَرِّدٌ لِلحادِثِ المُتَجَرِّدِ

وهو البطل الذي ابتلى المجد نفسه لأنه حوى خصال المجد من شجاعة وكرم وحلم وذكاء، فيقول: من الكامل[٢]

أبْلَيْتَ هَذا المَجْدَ أبْعَدَ غايةٍ   فتيهِ وأكْرَمَ شِيمَةٍ ونِحَاسِ

إقْدامَ عَمْرٍو في سَماحةِ حَاتِمٍ   في حِلمِ أحْنَفَ في ذَكاءِ إياسِ

وهذا البطل هدمت مكارمه مكارم غيره، وتفوّقت عليها، وابتنت ابنيةً للمعالي تُزاهي مطالع النجوم، فيقول: من الكامل[٣]

هَدَمَتْ مَساعِيهِ المَساعِيَ وابتنتْ   خُطَطَ المكارِمِ في عِرَاضِ الفَرْقَدِ

إنه الخليفة الذي يتّصِفُ بالشِّدّة والحزم فلا يرحم الخائن، ولا يتردد في الفتك به فيقول: من الكامل[٤]

الحقُّ أبْلَجُ والسيوفُ عَوارِ   فَحَذارِ مِنْ أسَدِ العَرِينِ حذارِ

وهو البطل العادل الذي بعدله استقرت دولته وعمَّ الخير في أرجائها، وهذا المعنى يتكرر في شعر أبي تمام، فيقول: من الكامل[٥]

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المأمون، ج١، ص٢٥٨.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أحمد بن المعتصم،ج١، ص ٣٦٢.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح المأمون، ج١، ص٢٥٩.
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح المعتصم، ج١، ص ٣٣٥.
(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح المعتصم، ج١، ص ٣٣٥.

سـكن الزَّمـان فـلا يَـدٌ مذمومـةٌ   للحادثـــاتِ ولا سَـــوامٌ يُـــذعرُ
نظَـمَ الـبلادَ فأصـبَحتْ وكأنَّهـا   عِقـدٌ كـأنَّ العَـدْلَ فيـهِ جـوْهَرُ
لـم يبْـقَ مَبْـدىً مُـوحِشٌ إلا ارْتَـوَى   مِـنْ ذِكْـرِهِ فكأنَّمـا هُـوَ مَحْضَـرُ

وهو الحكيم الذي يُحسن الاستماع ويعمل الفكر فبآرائه الصائبة يستطيع أن يتغلب على المصائب التي تعترضه وتعترض قومه، فيقول: من البسيط[١]

مُجَـرِّدٌ سـيْفَ رَأيٍ مِـنْ عَزِيمَتِـهِ   للـدَّهرِ صَـيْقَلُهُ الإطْـرَاقُ والفِكَـرُ
عَضـباً إذا سَـلَّهُ فـي وجْـهِ نائبـةٍ   جـاءتْ إليـهِ بنـاتُ الـدَّهْرِ تعتَـذِرُ

وهو التقي الذي يتجنب الآثام ويتشدد في الاحتراس عن الوقوع فيها، فيقول: من الكامل[٢]

يتجنَّـــبُ الآثـــامَ ثُـــمَّ يَخَافُهـــا   فكَأنَّمـــــا حَسَـــــناتُه آثـــــامُ

ولكنه مُسْتَسْلِمٌ لله يسوسُ الأُمَّة بشرع الله فاستسلمت له رعيته لأنه مطبق لشرع الله، فيقول[٣]:

مُسْتَسْـــلِمٌ للهِ، ســـائِسُ أُمَّـــةٍ   لِـذَوِي تَجهْضُـمِها لــهُ استِسْـلاَمُ

وهو ذو هيبة وقوة فتجد فيه الشراسة واللين فشراسته وقوّته تَظْهر على العدو ويُظهر اللين على أوليائه وأصدقائه، فيقول: من البسيط[٤]

شَرسْتَ بل لِنْتَ بلْ قانَيْتَ ذاكَ بِذَا   فأنـتَ لا شَـكَّ فِيكَ السَّهْلُ والجَبَلُ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح عمر بن عب العزيز الطائي، ج١، ص ٣٣٠.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي يمدح المأمون ج ٢، ص ٧٣.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح المأمون ج ٢، ص ٧٣.
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح المعتصم، ج ٢، ص ٨.

لا شك أننا بهذا كله أمام بطل كلي حاز سائر مقومات البطولة النفسية والجسدية، والفكرية والخلقية فهو ذو قوة ورأي وبصيرة وخلق، وقرب ورفعة، تلوذُ به الرعية ويأوي إليه سائر الأبطال إنه البطل الكلي خليفة.

ثانياً: البطل الجزئي في إطار الكل:

شكلت منظومة العمل البطولي في عصر أبي تمام حلقات متصلة بعضها ببعض تتشابك وتتفاعل في إطار البطل الكلي المتمثل في الخليفة وصار لكل بطل من هؤلاء الأبطال سماته الخاصة التي تؤهله لتلك المكانة وتجعل منه بطلاً مبرزاً فيها، ويكفي هذا البطل أو ذاك فخراً وبطولة أن حظي باختيار الخليفة له في هذه المنزلة والمكانة وذلك مما يعني أنه يبرز عن سواه في ذلك الميدان.

وتتعدد صور ذلك البطل الجزئي في إطار الكل غالباً على هذا النحو:

١/البطل في صورة وزير:

إنّ لفظ الوزير: التي تعني الشّخص الذي يُعين رئيس الدَّولة في الحُكم، جاءت في كتاب الله تعالى حكاية عن موسى عليه السّلام، قال تعالى "واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي" وكان الوزير في أيام العباسيين صاحب ولاية عامة مستتاب في جميع النظرات من غير تخصيص فهو ساعد الخليفة الأيمن ونائباً عنه في حُكم البلاد، يُعين الولاة ويُشْرفُ على الضرائب، ويجمعُ في شخصه السلطتين المدنية والحربية، وصاحب المشورة التي يسترشدُ بها الخليفة. من الصفات التي يستوجب أن يتصف بها الوزير، الأمانة حتى لا يخون فيما ائتمن فيه، وصدق اللهجة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل على قوله فيما يَنْهيه، وقلة الطمع، وأن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء؛ لأنّ العداوة تصُدّ عن التناصف وتمنع من التعاطف، وأن يتصف بالذكاء والفطنة حتّى لا تُدلّس عليه الأمور فتشتبه ولا تُموّه عليه فتلتبس، فلا

يصح مع اشتباهها عزم، ولا يتم مع التباسها حزم، وأخيراً ألا يكون من أهل الأهواء[١].

الأهواء[١].

ويمثل الوزير الحلقة الكبرى في البطولة التي تتصل ببطولة الخليفة الكلية فكأنه قرين ذاته الذي يعكس صورته في كثير من المواقف وينوب عنه في كثير من الأمور وقد أولاه الخليفة (البطل الكلي) ثقته وأدناه منه وقرن اسمه باسمه فقيل له وزير الخليفة، فقد صار جامعاً بشتات البطولات في نفسه فتولى العديد من المهام الحربية والمدنية والأمنية القضائية لا يتردد في أمر من الأمور فهو ساعد الخليفة وعينه الساهرة ومن صور البطولة ما يلي:

فهو عون للخلافة إذا نابها أمر جليل، وهو القائم بأمر الملك دون أنْ يَفتُرَ أو يشتكي تَعباً، فيقول في مدح محمد بن عبد الملك الزيات[٢]: من البسيط

رِدْء الخلافةِ في الجُلَّى إذا نزلت   وقيمُ الملكِ لا الواني ولا النَّصِبُ

وهو وإن ناب عن الخليفة وأصبح قائماً في مقامه في تصريف شئون الخلافة؛ فلأنَّهُ يجمع شتّى المواهب، فيقول[٣]: من البسيط

وزيرُ حَقٍ ووالي شُرْطةٍ ورحَا   دِيوان مُلْكٍ وشِيْعِيٌّ ومُحْتَسِبُ
كالأرْحَبِيِّ المَذَكِّي سَيْرُه المَرَطى   والوَخْدُ والمَلْعُ والتَّقْرِيبُ والخَبَبُ

---

(١) انظر: الأحكام السُلطانية، للقاضي أبي يَعْلى، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ص٢٨. ص٣١.

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات، وزير المعتصم و الواثق العباسيين، و عالم باللغة و الأدب من بلغاء الكُتَّاب و الشُّعراء، نشأ في بيت تجارة و نبغَ فتقدَّمَ حتّى بلغ رتبة الوزارة و عوَّل عليه المعتصم في مهام دولته و كذلك ابنه الواثق. و لمَّا مرض الواثق عمل ابن الزيّات على تولية ابنه و حرمان المتوكل، فلم يفلح، و لمَّا ولي المتوكل نكبه، وعذَّبهُ إلى أن مات في سنة ٢٣٣هـ. (الأعلام: ٦/ ٢٤٨).

(٣) نفسه.

وهذه المواهب والمقومات لم يصل إليها إلا بعدَ أن عركته الأيام وعركها، فأصبح ذا خبرة بالأمور وتجربة، فيقول(١): من البسيط

عَــوْدٌ(٢) تُســاجِلُهُ أيامُـــهُ فَبِهـــا مِـن مَسِّـهِ وبِـهِ مِـن مَسِّـها جُلَـبُ

ومن تلك المقومات القوة والحزم، فهو لا يرحم الخائن "وهو يرى أنّ الرحمة خور فـي الطبيعـة"، فاستقام عُمّالـه فلـم يجسـر أحـدٌ مـنهم أن يخـون بنظـره فكيـف بفعلـه، فيقول(٣): من الكامل

تَسْــتَلُّ خائِنـــةُ العُيـــونِ بمقلـــةٍ تحـــوي ضـــمائرَها ولمَّـــا تطـــرِفِ

فليس مُستغرباً أن يُعْرَفَ بقوته وحزمه فهو صاحب سلطة تبرز قوته في تنفيذ ما يكْتبُهُ لِعُمّاله وطاعتهم له، فيقول(٤): من الكامل

لـمْ يَبْلُـغِ القَلـمَ الـذي يُجْـدِي بـه فـــي اللهِ ألفـــا مُرهـــفٍ ومُثقَـــفِ

بـــأكُفِّ أبْـــدالٍ إذا أمـــوا بهـــا مَلْمُومَـةً عَمِلـوا بما فـي المصـحفِ

ومن أبرز ما يُميز قوته حفظه لأسرار الدولة، فهو الكاتم لأسرار الدولة، لا يبوحُ بها إذا أفشى غيره الأسرار وصارت عنده علانية، فيقول(٥): من الطويل

منيـعُ نَـواحي السِّرِّ فيـهِ، حَصِينُها إذا صـارتِ النَّجْوى المُذالَـةُ محفِلا

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) عَوْدٌ: المُسن من الأبل.

(٣) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ترجمة الزيات ج/٥ ص٦٤.

(٤) نفسه.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، رقم القصيدة ٩٩.

وهو وإن اتصف بالحزم والقوة اتصف أيضاً بحسن الخلق من صبرٍ على النوائب وتحمل لها، فيقول في مدح الحسن بن سهل[(١)]: [(٢)] من البسيط

كأنمـــا هـــو فـــي أخلاقِــهِ أبــداً وإن ثَـوى وَحْـدَهُ فـي جحْفـلٍ لَجِـبِ

ومن حُسن خُلقه الأمانة فهو أمين على الخلافة، فيقوم بما يُصلِحُها، ويُدافعُ عنها، فيقول[(٣)]: من البسيط

جَفْـنٌ يَعـافُ لذيـذَ النَّـوْمِ نـاظِرُهُ شُـحّاً عليهـا وقَلْـبٌ حَوْلَهـا يَجِـبُ

ومن الأمور التي تُصلِحُ الخلافة العدل فهو العادل بين الناس إذا جلس للمظالم فالمتخاصمون لديه سواسية فكأنّهم من أفراد عشيرته فيقول[(٤)]: من البسيط

لا المنطقُ اللَّغْو يزكُو في مقَاوِمِهِ يومـاً ولا حُجّـةُ الملهُـوفِ تُسْـتَلبُ

وهو في مجالس الجماعات للحكم وغيرها، ثبت المُخاطبة لا يزل لسانه عن الصواب إذا تشاجرت في مجلسه الخصوم، واصطكت ألسنتهم بالكلام، فيقول[(٥)]:

ثبت الخطاب[(٦)] إذا اصطكَّت بِمُظْلِمَةٍ بِمُظْلِمَـــــــــــــــــــةٍ فـي رَحْلِـهِ ألْسُـنُ الأقْـوامِ والرُّكـبِ

كأنَّمـــا هـــو فـــي نـــادي قبيلتـــه لا القلب يهفو ولا الأحشاء تضطربُ

---

(١) أبو محمد لحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي ، (١٦٦-٢٣٦هـ) وزير المأمون العباسي ،وأحد كبار القادة القادة والولاة في عصره ، اشتهر بالذكاء المفرط والأدب و الفصاحة وحن التوقيعات والكرم ، وهو والد بوران زوجة المأمون و كان المأمون يجلّهُ و يُبالغ في إكرامه، و للشُّعراء فيه أماديح. أصيبَ بمرض السُّويداء سنة ٢٠٣هـ، فتغير عقله حتى شُدَّ في الحديد.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح الحسن بن سهل، ج١، ص٧٠.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، ج١، ص ١٣٤.

(٤) نفسه.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، رقم القصيدة ١٨.

(٦) ورد ثبت (الخطاب) في شرح الأعلم الشنتمر ي، و في شرح التبريزي ثبت الجنان

فإذا كان العدل والذكاء مما يُصلحُ الخلافة فمما يُصلحُها أيضاً جودة الرأي، فهو ذو رأي يَفْضُلُ على التّجارب إذا كان ذوو الحزم مُفْتَقرين إلى أن يَقِيسوا الأمور بالتجارب، فيقول(١): من الطويل

يَطُولُ استشاراتِ التّجاربِ رأيُهُ إذا ما ذوو الرأي استشاروا التّجاربا

وهذا المعنى يتكرر كثيراً لدى الشاعر في جميع الصور التي رسمها، فهو الكريم الذي يحفظ ماء وجه السائلين ويعطيهم قبل السؤال ولا يماطلهم بالتسويف، فيقول(٢): من البسيط

أعطى ونطفةُ وجْهِي في قَرَارتِها تصُونُها الوَجَناتَ الغَضَّةُ القُشُبُ

لنْ يَكرُمَ الظَّفَرُ المُعْطى وإنْ أُخِذَتْ بِهِ الرَّغائِبُ حتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ

وأخيراً هو المُتَّزنُ في شخصيته، فلا يغضبُ الغضبَ الذي يُبعدُه عن الصواب، ولا كثير التّغاضي الذي يُؤدي به إلى البله، ولا يُظهِرُ سُروراً زائداً فيُطْمَعُ فيهِ، ولا غضباً فيَبعُدُ الناس عنهُ، فيقول: من البسيط

لا سَوْرَةٌ تُتَّقَى مِنهُ ولا بَلَهٌ ولا يَحِيْفُ رِضاً منهُ ولا غَضَبُ

إن بطولته أقرب إلى الكمال وأدنى إلى الكلية ولذلك كان وزير الخليفة ونائبه.

٢/البطل في صورة الوالي:

وتستعمل كلمة أمير في باب السياسة والشرعية في موضعين، الأول: أمير الجيش يعني قائده، والثاني: أمير البلاد أو العامل أو الوالي؛ وكلمة أمير مأخوذة من إمارة الجيش فالخليفة يضع على رأس الجيش أميرا (قائدا) فإذا انتصر بالفتح يبقيه

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح الحسن بن سهل، ج١، ص ٨٦.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، ج١، ص١٣٣.

عاملا في البلاد المفتوحة، فيعرف بين الناس بالأمير، وعليه يدير الخليفة الأمور في عاصمة ملكه ويبقى تسيير شئون البلدان للأمراء.

وقد قسمها الفقهاء إلى قسمين: إمارة خاصة وإماره عامة، فالخاصة مقصورة على إمارة الجيش وسياسة الرعية والدفاع عن كيان الدولة، فلا يقوم بالقضاء ولا يتولى جباية الضرائب والصدقات.

والإمارة العامة: وهي نوعان، إمارة استكفاء وإمارة استيلاء، فالأولى تكون باختيار من الخليفة يعينه في منطقة ليدير شئونها عنه، أما الاستيلاء فتكون الإمارة بتعيين من الخليفة لكن اضطرارا وليس اختيارا، فالأمير يستولي على البلاد بالقوة، فيقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه تدبيرها وسياستها، وتعتبر في الإمارة الاستكفاء شروط وزارة التفويض إلا النسب(١).

والأمير الوالي الذي يتولى شئون بلد يمثل ايضاً حلقة كبرى بين حلقات البطولة الجزئية التي تدور في فلك بطولة الخليفة الكلية وهو في مكانه يمثل الخليفة ويجسده لمن تحت سلطانه؛ لذلك فكثيراً ما أطلقوا عليه الملك.

هو الملك الذي عُرِف بشجاعته وقوته وتفوقه على أقرانه فلم يُنازِل ملكاً إلا وسلبه ملكه، فأصبح مُنازله ذليلاً، فيقول مادحاً أبا العباس عبد الله بن طاهر(٢): من الطويل(٣)

إلى ملكٍ لم يُلْقِ كَلْكلَ بأسِهِ ... على ملكٍ إلا وللذلِ جانِبه

---

(١) انظر: الأحكام السلطانية ص ٣٦-٣٨.

(٢) عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي بالولاء، أمير خرسان ومن أشهر الولاة في العصر العباسي (الأعلام ٤/٩٣-٩٤)

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا العباس عبدالله بن طاهر، ج ١، ص ١٢٣.

وهذا المعنى يتكرر في شعر أبي تمام عندما مدح والي دمشق أبا المُغيث موسى بن إبراهيم الرَّافقي[(١)]، فيقول: من مخلّع البسيط[(٢)]

لَيْثـــاً ولَكنَّـــهُ حِمَـــامٌ صُـــبَّ انتِقَامَـاً علـى اللُّيُـوثِ

وهـذا البطـل بفضـل شـجاعته وقوتـه أجْلـى الفـتن التـي شَـمِل ظلامهـا النـاس، فيقول[(٣)]: من الكامل

فِتَنٌ جَلَـوْتَ ظَلامَهَا مِنْ بَعْدِ ما مَـدُّوا عُيونـاً نَحْوهـا وَرُؤوسـا

وهو وإن عُرِف بالشَّجاعة والكرم، فقد أُشْتُهِرَ بالإسرافِ فيهما والاقتصاد فيما عداهما، فيقول، في مدح أبي دُلف العِجْلي[(٤)]: من البسيط[(٥)]

قَصْدُ الخلائقِ إلا في وغى ونَدىً كِلاهُما سُبَّةٌ ما لَمْ يَكُنْ سَرَفا

وهو مع قوته وشجاعته في الحروب كريم لا يرد سائلاً، فيقول[(٦)]: من الطويل

إلـى سالب الجبَّار بيضـةَ مُلكِـهِ وآمِلُـهُ غـادٍ عليـهِ فَسَـالِبهُ

---

(١) أبو المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي والي دمشق ، (انظر:أبو تمام حياته وشعره للبهبيتي ، ص ١٥٧.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي ، ج ١، ص ١٧٧.

(٣) نفسه ، ج ١، ص ٣٧٠.

(٤) أبو دلف هو: القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل ، بن بني عجل بن لجيم ، أمير الكرخ قلده الرشيد العباسي أعمال الجبل ثم كان من قادة جيش المأمون ، وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة ، وللشعراء فيه اماديح توفي في بغداد في سنة ٢٢٦ هـ (الأعلام ،١٧٩/٥).

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا دلف العجلي ، ج ١، ص ٤٢١

(٦) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا العباس بن عبدالله بن طاهر ، ج ١، ص ١٢٣.

وهو الكريم الذي يخصُّ قرابته بالودِّ والمحبة دون العطاء؛ لأنهم جميعاً أهل جاه وغنى، وعُرْفُه لمن لا نسب بينه وبينهم، فيقول في مدح عمر بن طوق التغلبي[١]: من الكامل

الــــودُّ للقربــــى، ولكــــنْ عُرْفُـــهُ للأبْعَــدِ الأوطـــانِ دُونَ الأقْــرَبِ

وهو بذلك يمدحه بحبه لرعيته وعدم استبداده بالأمر.

وهذا الكريم تفَوَّقَ على الكرم الذي طُبِعَ عليه، فَيُبالغ في الكرم، وذلك عندما يزوره من لهم منزلة في نفسه، فيقول[٢]:

كـريمٌ إذا زُرْنــاهُ لَـمْ يقتَصِــرْ بنــا علــى الكــرمِ المَوْلُــودِ أوْ يَتَكَرَّمَــا

وهذا المعنى يتكرر في شعر أبي تمام فيقول[٣]:

تَلْقــاهُ إنْ طَــرَقَ الزَّمــانُ بِمَغْــرَمٍ شَــرِهاً إليـــهِ كأنَّمـــا هُـــوَ مَغْـــنَمُ

وهو الجواد ذو المروءة الذي يصل إليه الناس بسهولة ويجدون عنده ما يؤمِّلون لأنه يستحي من الله أن يردَّ سائلاً، فيقول[٤]:

إذا أنــت وجّهـتَ الرِّكـابَ لِقصْـدِهِ تبيَّنْـتَ طعـم المـاءِ ذُو أنـت شـارِبُهْ

جَــدِيرٌ بـــأنْ يسْـــتَحييَ الله بادِيـــاً بـــهِ ثُـــمَّ يَسْـــتَحْيي النّـــدَى ويُراقِبُـــهْ

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح عمر بن طوق التغلبي، ج ١، ص ٦٤.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح أبا سعيد، ج٢، ١٢٢.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، يمدح أبا نصر نصر سليمان بن نصر ج١، ص ١٠٦.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا العباس بن عبدالله بن طاهر ، ج١ .ص ١٢٤

لذا فقد أقبلت عليه الوفود من كلِّ مكان لما عَلِموا من شدة كرمه وكثرة عطائه، فيقول في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم، فيقول(١): من الكامل

حَدَتِ الوفُودُ إلى الجَزيرةِ عِيْسَها مِنْ مُنْجِدٍ بِمَحَلِّهِ أو مُتْهِمِ

فكأنَّما لَوْلا المناسِكُ أُشْرِكَتْ سَاحاتُها أو أُثِرَتْ بالموْسِمِ

وهو الكريم الذي تعلّم الناس منه الكرم لأنّه تَميّزَ واتّصفَ بمنهج مثالي في كرمه فكلُّ ما يفعله الكرماء كان هو السبب والقدوة لهم فيه، فيقول(٢): من الطويل

أرَى الناسَ مِنْهاجَ النّدَى بَعْدَما عَفَتْ مَهَايِعُهُ المُثْلَى ومَحَّتْ لَوَاحِبُهْ

ففي كُلِّ نَجْد في البلادِ وغائِر مَوَاهِبُ ليستْ مِنهُ وهيَ مَواهِبُهْ

وهو الكريم المستمر الكرم، فهو غيث لا ينقطع إذا انقشع الغمام، وهذا الكرم المستمر يجعل الخطوب العظيمة سهلة يجعلها نعيماً، فيقول في مدح خالد بن يزيد الشيباني(٣): من الطويل(٤)

يَجِفُّ الثَّرى منها وتُرْبُكَ لينٌ وينبو بها ماءُ الغمامِ وما تنبو

بِجودِكَ تَبيضُّ الخطوبُ إذا دَجَتْ وترْجِعُ في ألوانها الحِجَجُ الشُّهبُ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح ابن شُبانة، ج ٢، ص ١٢٦.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا العباس بن عبدالله بن طاهر ، رقم القصيدة ١٦.

(٣) خالد بن يزيد بن زائدة أبو يزيد الشيباني، أحد الأمراء من الولاة الأجواد في العصر العباسي، و هو ممدوح أبي تمام و لاه المأمون مصر سنة ٢٠٦هـ، و دخلها و قاتله عبد الله بن السَّري، فلم يستقر فيها، فولاه الموصل، ثمّ زاده ديار ربيعة كلها، فأقام إلى أيام الواثق، فلمّا انتقضت أرمينية انتدبه الواثق فتجهز في جيش عظيم و زحف يُريده فاعتل في طريقه، و مات قبل بلوغها سنة٢٣٠هـ(الأعلام، ٢/ ٣٠١).

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح خالد بن يزيد الشيباني، ج ١، ص ١٠٩– ١١٠.

وهو الكريم الذي يطرب عندما يسمع صوت طالب المعروف أكثر من طربه بسماع الغناء، فيقول في مدح مهدي بن أصرم[١]: من الوافر[٢]

ونغْمـــةُ مُعْتَـــفٍ يَرْجـــوه أحلـــى   علـــى أذنيْـــهِ مِـــنْ نَغَـــمِ السَّـــماعِ

فأذناه متشوقة إلى سماع سؤال العفاة، ووقع السؤال على أذنيه أجمل من إيقاع الغناء.

وهو الكريم الذي يُعَدُّ من رموز الجود فابتعاده عن الناس بسبب مرضه جعل الجود يبتعد عنهم وكَثُر البخل وحل لفقده، فيقول: من البسيط[٣]

تضـاءل الجـودُ مُذْ مُدَّت إليك يَدٌ   مِنْ بَعضِ أيْدي الضَّنى واستأسَدَ البَخَلُ

لم يبْقَ في صَدرِ رَاجي حَاجَةٍ أمَلٌ   إلاَّ وقَـدْ ذَابَ سُـقْماً ذلـكَ الأمَـلُ

وهذا الكريم مع اشْتِهاره بالكرم، اشتهر أيضاً بالتواضع مع علو مكانته ومنزلته، فيقول[٤]:

جَـمُّ التَّواضُـعِ والـدُّنيا بسُـؤدَدِهِ   تَكَـادُ تَهْتَـزُّ مِـنْ أطْرَافِهـا صَـلَفَا

وهذا المعنى يتكرر في شعره فيقول في مدح مالك بن طوق التغلبي[٥]: من الكامل[٦]

مُتَبَـذِّلٌ فـي القـوْمِ وهْـوَ مُبَجَّـلٌ   مُتَواضِـعٌ فـي الحَـيِّ وهْـوَ مُعَظَّـمُ

---

(١) هو من قوّاد محمد بن حميد الطُّوسي في قتاله ضد بابك الخرمي. انظر: أبو تمام حياته و شعره، البهبيتي، ص ١٠٣.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح مهدي بن أصرم جا، ص ٤٠٧.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أحمد بن أبي دُواد، ج١، ص ٢٧.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا دلف، ج١، ص ٢٤٠.

(٥) مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، أبو كلثوم، كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمارة دمشق للمتوكل العباسي، و بنى بمساعدة الرشيد بلدة الرحبة.

(٦) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح مالك بن طوق التغلبي، ج ٢، ص ٩٧.

وهو مع تواضعه حليم فيه مع الحلم حفيظة وأنفة؛ يُرجى ويُخاف، كالنار لا بُدَّ لها من شرار، فيقول: من الوافر[١]

حَلــيمٌ والحَفيْظَــةُ مِنــهُ خــيْمٌ   وأيُّ النَّــارِ لــيسَ لهَــا شَــرارُ

وهو مع تواضعُهِ وحلْمهِ رحيمُ القلبِ رفيقٌ برعيّته، فهو أبٌ للشاب منهم وأخٌ للكهلِ، وابنٌ للشَّيخ الكبير الذي تقوس ظهره وطعن في السن، فيقول في مدح أبي سعيد الثغري[٢]: من الطّويل[٣]

وكُنْــتَ لِناشــيْهِمْ أبــاً ولِكَهْلِهِــمْ   أخـاً ولـذِي التَّقْويس والكَبْـرَة ابنمـا

وهو كذلك يجمع بين الخشونة واللّين، فالخشونة مع أعدائه واللّين مع أوليائه، فيقول[٤]:

قَطَــبَ الخُشُــونَةَ واللِّيَــانَ بِنَفْسِــهِ   فَغَـدَا جَلـيْلاً فـي القُلُـوبِ لَطِيْفَـا

وهذا البطل مشهور الأصل، معروف الكرم مستنير النسب معروف الآباء، لا يعدل عن طريق الحق والرشد، فيقول: من الخفيف[٥]

النَّقِــي الــولادةِ الطَّيِّــب التُّــرْ   بــةِ والمُسْـتَنِيرِ مَسْـرَى العُـرُوقِ

لا يجـوزُ الأمـورَ صَـفْحاً ولا يُـرْ   قِــلُ إلاّ علــى سَــواءِ الطَّريــقِ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا الحسين محمد بن الهيثم، ج ١، ص ٣١٣.

(٢) أبو سعيد محمد بن سعيد الثغري كان من قواد محمد بن حميد الطوسي الطائي في موقعته مع بابك، ويُلقب ويُلقب بالثّغري نسبة لعمله معظم أيامه في الثغور. انظر: أبو تمام حياته و شعره، للبهبيتي، ص١٠٥.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا سعيد الثغري، ج ٢، ص ١١٧.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص ٤٢٨.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص ٤٥٩.

وهو التقي الذي يبذل المعروف وينأى عن الشر وهو محافظٌ على المعالي التي أسسها الآباء والأجداد، فيقول: من الطويل[١]

من البيضِ محجوبٌ عن السوءِ والخنا ... ولا تَحجُبُ الأنواءَ من كفِّهِ الحُجْبُ
مصـــون المعـــالي لا يزيـــدُ أذالـــهُ ... ولا مزيـــدٌ ولا شـــريكٌ ولا الصُّـــلْب

وهو العفيف النقي المبتعد عن الفحشاء فلا تسري عنه إلا الأخبار الزكية، فيقول: من الكامل[٢]

لا تـــألَفُ الفَحْشَـــاءُ بُرْدَيْـــهِ ولا ... يَسْـري إليْـهِ مـعَ الظَّـلامِ المـأْثَمُ

ويتكرر هذا المعنى" وصف ممدوحه بالعفة فيقول: من الكامل[٣]

عـــفُّ الإزار تنـــالُ جـــارةُ بيتِـــهِ ... إرفـــادَهُ وتجنـــب الأرفاثـــا

وهو صاحب المنزلة الرفيعة والأخلاق الفاضلة والعزم القوي والرأي الصائب، فيقول: من الوافر[٤]

فمـا فـي الأرضِ مِـنْ شَـرَفٍ يَفـاعٍ ... سُـــبِقتَ بـــهِ ولا خُلُـــقِ يَفـــاعِ
لَعَزْمُـكَ مِثْـلُ عَـزْم السـيْلِ شُـدَّتْ ... قـــواهُ بالمـــذَانبِ والـــتِّلاعِ
ورأيُـكَ مثْـلُ رأي السَّـيْفِ صَـحَّتْ ... مشُـــورَةُ حَـــدِّهِ عِنْـــدَ المِصَـــاعِ

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح خالد الشيباني، ج١، ص ١٠٤.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح مالك بن طوق التغلبي، ج ٢، ص ٩٦.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح مالك بن طوق التغلبي، ج ١، ص ١٧١.
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح مهدي بن أصرم، ج ١، ص ٤٠٨.

وهو مع شجاعته وكرمه وحيائه شديد الحذر فإذا واجهته المصائب تغلَّبَ عليها، فيقول: من الطويل(١)

وذو يقظـــاتِ مســـتمِرً مَريرُهـــا   إذا الخطبٌ لا قاها أضمحلت نوائُبْه

وهـو مـع حَـذَرْه الشـديد حكـيم لا يُـبْهَمُ عليـه الـرأي السـديد الـذي يقضـي علـى المشكلات العظيمة، لأنَّهُ من خلال تجاربه في الحياة ينظر إليها نظرة الخبير العارف بأسرارها، فيقول: من الطويل(٢)

وأيــنَ بِوَجْــهِ الحَــزْمِ عَنْــهُ وإنمــا   مُرائـي الأمـور المشـكلاتِ تجاربُـه

وهـو بمـا عُـرِفَ من شـجاعته وكرمـه وحـذره وحكمتـه وحزمـهِ هابـه كـل صـاحب إرهابٍ بليلٍ، فيقول: من الطويل(٣)

فيا أيُّها السَّاري إسْرِ غير مُحاذِرٍ   جنـان ظـلامٍ أو رَدى أنـت هائبُـهْ

فقـد بـثَّ عبـد الله خـوفَ انتقامِـهِ   علـى الليـل حتـى مـا تـدبُّ عقاربُـهْ

وهو وإن كان قائداً يقود الجيوش ويُمارس القتال ويُعِدُّ الخطط الحربية في الحرب، فهو في السلم مُتَفِكِّرٌ ومُتَبَصِّرٌ بأحوال الناس، يسْتَفْظَعَ البُخْلَ مِنْ غَيْرِهِ، ويَراهُ في مقامه أَفْظَع وأقْبَح، فيقول(٤): من الطويل

رأى البخـلَ مِـنْ كُـلِّ فَظِيْعـاً فَعَافَـهُ   علــى أنَّــهُ مِنْــهُ أمَــرَّ وأفْظَــعُ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا العباس بن عبدالله بن طاهر ، ج ١، ص ١٢٥

(٢) نفسه.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا العباس بن عبدالله بن طاهر ، ج ١، ص ١٢٦

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١. ص ٤٠١.

وهو في مواطن الحلم والأناة والرفق كهلٌ وقُورٌ، وفي مواطن الشِّدة ذو شِدّةٍ وعُنْفٍ، وإذا غدا للحرب فهو سائسٌ لها عالِمٌ بها، فيقول[١]: من الكامل

كَهْلُ الأناةِ فتى الشَّذاةِ إذا غدا   للحربِ كانَ القَشْعَمَ الغِطْرِيفا[٢]

وهو البطل في مواطن الحلم فهو عظِيْم الحِلم فَحلمهُ في العِظَمِ والجلالة كهضبةٍ لو وازنت جبل أجا لثقلت تلك الهضْبة، وفي مواطن المؤانسة فهو حلو الأخلاق وجَمّها لو اختلطت أخلاقُهُ بكل ما غَلُظَ وخَشُنَ من أخلاق الزمان لظَرُفَ وحلا وطاب، فيقول[٣]: من الكامل

لكَ هضْبَةُ الحِلمِ التي لو وازنَتْ   أجا إذاً ثقُلتْ وكان خَفيفا
وحلاوةُ الشِّيمِ التي لو مازجَتْ   خُلُقُ الزَّمانِ الفَدْمِ عادَ ظَرِيْفا

وهو بما اتّصف به من حلاوة الأخلاق، أصبح محبوباً من النّاس مُفَدَّىً، فيقول[٤]: من البسيط

كم قدْ دَعت لكَ بالإخلاصِ من مَرَةٍ   فيهمْ وفَدَّاكَ بالآباء من رَجُلِ
إنْ حَنّ نَجْدٌ وأهْلُوهُ إليكَ فَقَدْ   مَررْتَ فيْهِ مُرُورَ العَارِضَ الهَطِلِ

وأخيراً هو المثال للكرم والشجاعة، فيقول[٥]: من الطويل

فَنَوَّلَ حتى لم يجدْ من ينيلُهْ   وحاربَ حتى لم يجد من يُحاربُهْ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا سعيد الثغري، ج ١، ص ٤٢٩.

(٢) الغطريفا: السيد العظيم

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا سعيد الثغري، ج ١، ص ٤٣١.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا سعيد الثغري، ج٢،ص ٤٦.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، يمدح أبا العباس بن عبدالله بن طاهر ، ج ١، ص ١٢٥.

والمثال والقدوة لكل صفة من صِفات الكمال، فيقول[١]: من الطويل

أرى النَّاس مِنْهاجَ النَّدَى بعدما عَفتْ مهـا يعُـهُ المُثْلـى ومحّـت لواجِبُـهْ

ففــي كُـلِّ نجْـدٍ فــي الـبلاد وغــائِرِ مواهبــهُ ليْسَـتْ منــه وهــي مواهِبُــه

ويُلاحظ أن ميدان البطولة لدى الأمير الولي متسع فقد جمع كثيراً من الخلال والخصال التي ارتفعت به إلى أسمى المراتب حتى إنه ليُلقب بالملك، إلا أنّ هذا لا ينفي أنه يمثل حلقة وإن كانت كبرى في فلك ومحيط البطولة الكلية للخليفة.

٣/البطل قائداً (صورة البطل في الحرب):

وقد "كان أبو تمام يُراعي في مدائحه الملاءمة بين معانيه وصفات الممدوح، فإذا مدح قائداً استخدم لغة السيوف والرماح والدِّماء والنصر وهزيمة العدو"[٢].

ومن تلك الصور البطولية للقائد ما يلي:

يرسم أبو تمام صورة لبطولة ممدوحه بأنَّه القائد الذي يتمتع برباطة الجأش والصُّمود والشَّجاعة، فيقول في مدح دينار بن عبد الله[٣]: من الطويل[٤]

إذا كانت الأنفاسُ جَمْراً لَدَى الوَغَى وضَاقَتْ ثِيابُ القَومِ وهْيَ فَضافِضُ

وهذا البطل من شِدة شجاعته وحزمه، إذا اشتدت الحرب وحجب النقع عيون الأقران فلم يرَ بعضهم بعضاً، فإنه يسمو لذلك النّقع ويُبادر الدُّخول فيه، وإن كانت المنية كامنة به، فيقول: من الطويل[٥]

---

(١) نفسه.

(٢) انظر: رسالة عن أبي تمام الشاعر الفنان، نورة الشملان، دار مصر للطباعة، الفجالة، ص٧٦.

(٣) من قُوَّد المأمون جُعِل على العسكر بعد عزل الحسن بن سهل. انظر: أبو تمام حياته و شعره، البهبيتي، ص٩٧.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ، ج ١، ص ٣٨٧، في مدح دينار بن عبد الله.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي،، ج ١، ص ٣٨٧، في مدح دينار بن عبد الله.

إِذَا قَـبَضَ النَّقْـعُ العُيـونَ سَـما لَـهُ   هُمـامٌ علـى جَمْرِ الحَفِيظَـةِ قَابِضُ

فأنتَ الـذي تَسْتَيْقِظُ الحَرْبُ باسْمِه   إِذَا جَاضَ عَنْ حَدِّ الأَسِنَّةِ جَائضُ

وهذا القائد في وسط المعركة يتصفُ بقوة الصوت الذي يبث به في نفوس أعدائه الخوف والهلع، وقوة اليد التي يفل بها رؤوس الأعداء، والُّسرعة في المشي في الكرِّ والفرِّ، فيقول[١]: من الطويل

يقُـــولُ فَيُسْـــمِعُ ويمشـــي فَيُسْـــرِعُ   ويضــربُ فــي ذات الإلــهِ فيُوجِــعُ

وتظهر شجاعته في أثناء تشابك الرِّماح والسيوف واختلاط الأصوات فهو قوي بـارز الصـوت بـالأمر والنهـي فـي الحـرب فـي حـين تـذهل الأبطـال مـن شِـدّة الفـزع، فيقول[٢]: من الخفيف

ذاهِـب الصَّـوتِ سـاعةَ الأمـرِ والنَّهْـ   ـي إذا قــلَّ ثَــمَّ هَــدْرُ الفَنِيــقِ[٣]

وهذا البطل من شدةِ حزمه في الوصول إلى مُبتغاة يظهرُ ذلك في مِشْيَتِهِ وفي سيره للعدو، فيقول[٤]: من الكامل

فـإذا مشـى يمشـي الـدِّفَقَّى أو سَرى   وصَـلَ السُّرى أو سَـارَ سَـارَ وجِيْفا

وهـو البطـل الـذي يختلـف فـي غزواتـه عـن غيـره مـن القُـوّاد، فغزواتـه بـوار واستئصال، وغزوات غيره كسائر الغزو، فيقول[٥]: من الكامل

عَلِمُـــوا بـــأَنَّ الغَـــزْوَ كَـــان كَمِثْلِـــهِ   غَـــزْواً وأنَّ الغَـــزْوَ مِنْـــكَ بَـــوَار

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري، ، ج ١، ص ٤٠٠

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري، ، ج ١، ص ٤٥٥

(٣) الفَنِيقِ: الرئيس

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري، ، ج ١، ص ٤٢٨.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري، ، ج ١، ص ٣٢٠.

وهذا البطل ذو صُورة مُفزِعة لأعدائه لهول منظره وضخامة هيكله حتى إنه لو عاينه الأسد لظنه أسداً رعباً وهيبة وما ليم في ذلك، فيقول[١]: من البسيط

لا خَلْقَ أرْبَطُ جأشاً منك يومَ ترى　　　أبا سعيدٍ ولم يبطش بِكَ الزُّؤُدُ[٢]

أمَّا وقَّدْ عِشْتَ يَوْماً بَعْدَ رُؤْيَتِهِ　　　فافَخرْ فإنَّكَ أنتَ الفارسُ النَّجُدُ

لو عاينَ الأسدٌ الضرغامُ رؤيَتُهُ　　　ما ليم إنْ ظنَّ رُعباً أنَّهُ الأسدُ

فملاقاة ذلك القائد ورؤيته كفيلة بقتل أعدائه فزعاً، والناجي من فتكه هو الفارس الحق، فلو لاقاه أسد حقيقة لهابه وأيقن أن الشّجاعة الحق متلبسة به فهو يشبه الأسد في الشجاعة والقوة والإقدام ولكنه تفوق عليه بالسماحة والكرم، فيقول[٣]: من الطويل

هوَ اللَّيْثُ ليْثُ الغابِ بأساً ونَجْدَةً　　　وإنْ كان أحْيَا مِنْه وَجْهاً وأكْرَمَا

وهو عند هجومه على خصمه ذو إقدام وقوة خارقة فلا يتردد ولا تثنيه الرُّسل وعبارات الاستعطاف بالرجوع عمّا أراد، فهذه ليست من عادة الأبطال فهو يملك مقومات البطولة التي تُحقق له الوصول إلى هدفه، فيقول[٤]: من الطويل

غدا خائفاً يستنجدُ الكُتْبَ مُذْعِناً　　　عليك فلا رُسْلٌ ثنتك ولا كُتْبُ

وما الأسدُ الضِّرْغامُ يَوماً بِعاكِسٍ　　　صَرِيْمَتَهُ إنْ أنَّ أو بصْبَصَ الكَلْبُ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري،ج ١،ص٢٤١.

(٢) الـزُّؤُدُ : الفزع

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد، ج٢، ص ١٢٢.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح خالد بن يزيد الشيباني، ج١، ص ١٠٨.

وهو البطل الذي يتصف بالسرعة والقوة في القتال، فيقول[١]: من البسيط

أغشـيْتَ بارقَـةَ الأغمـادِ أروسَـهُمْ ضَرْباً طِلَخْفاً يُنَسِّي الجانِفَ الجَنَفَا

بَـرْقٌ إذا بَـرْقُ غَيْـثٍ بـاتَ مُخْتَطِفـاً لِلطَّـرْف أصْـبَحَ للأعنـاقِ مُخْتَطِفَـا

وهذه السرعة والقوّة التي اتّصَفَ بها القائد في أثناء المعركة، اتّصَف بها جيشُهُ، فأضْحَى سريَع الحسم للمعركة، فيقول[٢]: من البسيط

لـوْ كَـان يَقْـدَمُ جَـيْشٌ قَبْـلَ مَبْعِـثِهِمْ لَكـانَ جَيْشُـكَ قَبْـلَ البعْـثِ قَـد قَـدِمَا

فلقد أصبح بهذه المقومات بطـلاً مرعباً لأعدائه قبل ملاقاتهم فإذا شـاهدوا راياتـه فرّوا قبل مُلاقاته، فيقول[٣]: من الطويل

أشَـــمٌ شَـــريكيٌّ يســـيرُ أمامَـــهُ مَسِـيرَةَ شَـهْرٍ فـي كَتائبِـهِ الرُّعْـبُ

ولمَّــا رَأى تُوفيــلُ رايَاتِــك التــي إذا مـا اتلأبَّـتْ لا يُقاومُهـا الصُّـلْبُ

وقوله[٤]: من البسيط

مَشَـتْ قُلُـوبُ أُنـاسٍ فـي صُـدُورِهِمُ لمَّـا تَـراءَوْكَ تَمْشــي نَحـوَهُمْ قُـدُمَا

ويبـادر الأبطـال إلـى الفرار حين مُلاقاتهم لـه لمـا يهولهم من قوتـه وقوة جيشـه، فيقول[٥]: من البسيط

وَلَّــى، وقــد ألجــمَ الخطِّــيُّ منْطِقَــهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتها الأحْشـاءُ فـي صـخَبِ

أحْذَى قَرَابينـه صـرف الرَّدى ومضـى يحْتَـثُّ أنْجـى مطايـاهُ مـن الهـربِ

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا دُلَف، ج١، ص ٤٢٤.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ج٢، ص ٨٣، في مدح إسحاق بن إبراهيم
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، في مدح خالد بن يزيد الشيباني،ج١،ص١٠٧.
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ج٢، ص ٨٣، في مدح إسحاق بن إبراهيم.
(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح المعتصم، ج١، ص ٤٥.

مـــوَكَّلاً بِيَفَـــاعِ الأرض يُشْـــرِفُهُ   مِنْ خِفّةِ الخَوْفِ لا من خِفَّةِ الطَرَبِ

وهذا المعنى يتكرر في وصف البطل في شعر أبي تمام، فيقول(١): من الكامل

لمَّـــا لَقُـــوكَ تَوَاكَلُـــوكَ وأعْـــذَرُوا   هربـــاً، فلـــمْ يَـــنْفَعْهُمُ الإعْـــذَارُ

وهذا البطل بفضل شجاعته وقوته نشر الأمن في الثغور؛ لأن رماحه حصنٌ لأهل الثغور، فيقول(٢): من الطويل

أقولُ لأهل الثغر قدْ رُئبَ الثَّأى   وأسبغتِ النَّعمـاءُ والتـأمَ الشَّـعْبُ

ويظَلّ هذا البطل لفرط شجاعته وإقدامه مُسَعِّراً للحرب يستبقها قبل أوانها، فيقول(٣): من الكامل

وَلَـــرُبَّ حَـــرْبٍ حائـــلٍ لقّحْتهـــا   ونتجْتهـا مـن قَبْـلُ حـينَ المولـدِ

والحائل من صفات الناقة التي لا تنتج فكأن القائد فحلها الذي أنتجها دون سائر القواد.

وما دام البطل الشُجاع مُسَعِّراً وممارساً للحروب فلا تكاد تراه إلا وأثر المعارك ظاهرٌ عليه حتى إن محياه قد تعوَّدَ على الغلظة والعبوس فلا تكاد تراه مُبْتَسِماً(٤): من البسيط

بَـادي المُحيَّـا لأطـرافِ الرِّمـاحِ فمـا   يُـرَى بِغيـر الـدَّمِ المعبـوطِ مُلْتَثِمـا
يُضْحي على المجْدِ مَأمُوناً إذا اشْتَجرتْ   سُـمْرُ القَنَـا وعلـى الأرواحِ مُتَّهَمَـا
قـدْ قَلَّصَـت شَـفتاهُ مِـنْ حفِيظَتِـهِ   فخِيـلَ مِـنْ شِـدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِـمَا

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص ٣١٩.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح خالد بن يزيد الشيباني ج١، ١٠٧.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص ٢٠٣.
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ج٢، ص ٨٢، في مدح إسحاق بن إبراهيم

فهو ابن الحرب اشْتُهِر بِمُلازمته للحرب فلا تراهُ طارِحاً لسِلاحِهِ إلا وتَجِدْهُ مُتَقَلِّداً لَهُ[1]: من الطويل

عَبُوسٍ كسا أبْطالَهُ كُلَّ قَوْنسٍ   يُرَى المرْءُ مِنْهُ وهو أفْرَعُ أنْزَعُ

وهو من فرط قوته وشجاعته متمكنٌ من أعدائهِ، ولكنّهُ مُمْتَنِعٌ عنهم فلا يقدرون عليه لشجاعته وعلو منزلته، فيقول[2]: من الخفيف

قد رَأَوْهُ وهو القريْبٌ بعيداً   ورَأَوْهُ، وهو البعيدُ قريبا

وهو من فرط قوته وجُرأته وهيبته أكثر الفرسان اقتراباً من العدو لا يهوله عددهم وعتيدهم[3]: من الطويل

أشدُّ ازدلافا بينَ دِرْعَيْنِ مُقْبِلاً   وأحسَنُ وَجْهاً بينَ بُرْدَيْنِ مُحْرِما

وهو ذلك البطل الخارق للعادة الذي يُشرف على الجبار الممتنع فيسلبهُ روحه فكأنّه مُشاركٌ للمنايا في إتلاف النفوس وإذهابها، حتى أنّ المنايا جاريةٌ على حكمه[4]: من الطويل

مُطِلٌّ على الآجالِ حتى كأنّهُ   لصرفِ المنايا في النفوسِ مُشارِكُ
فَما تَتْرِكُ الأيامُ مَنْ هوَ آخذٌ   ولا تأخُذُ الأيامُ من هو تارِكُ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص ٤٠٣.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص ٩٥.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري،ج٢، ص ١٢٢.
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص ٤٦٨.

وهذا القائد يتصف بشدة فتكهِ بعدوه والتمثيل به، ويتضح ذلك في تصوير الشاعر لكثرة القتلى وجريان الدِّماء حاملة معها الرؤوس والأعضاء والجثث (ولعل هذه الصورة مرتبطة بقائد غير عربي)، فيقول في مدح الأفشين[١]: من الكامل[٢]

كانـتْ مِـنْ الـدَّمِ قَبـلَ ذاك مَفَـازَةً   غَـوْراً فأمسَـت وهـي مِنْـهُ مَعِـيْنُ

بَحْـراً مـن الهيجـاءِ يَهْفُـو مـا لَـهُ   إلاَّ الجَنَـاجِنَ والضُّـلُوع سَـفينُ

والقائد هو البطل الصفوح الذي يعفو عن المسيئين إذا لم يكن في عفوه ما يَنْقُص حَزْمه في سير المعركة، فيقول[٣]: من الطويل

صَـفُوحُ إذا لـمْ يَـثْلِمِ الصَّـفحُ حَزْمَـهُ   وذُو تُـدْرَإٍ بالفَاتِـكِ الخِـرْقِ فاتِـكُ

كذلك هو البطل الذي وصل إلى المجد لما يتّصِف به من الصبر والّتحمل للأمور العظيمة، فيقول[٤]: من الطويل

تَجَشَّـمَ حَمْـلَ الفادِحـاتِ وقَلَّمـا   أُقِيْمَـتْ صُـدُور المَجْد إلاَّ تَجَشَّما

---

(١) هو حيدر بن كاوس (٠٠٠ – ٢٢٦هـ) والأفشين لقب أمراء أشروسنة قبل إسلامها، جاء ذكر الأفشين أول مرّة في عهد الخليفة المأمون، عندما وجّههُ المعتصم، أخو الخليفة و واليه على مصر، إلى برقة لتوطيد الأمور فيها ن و لقمع ثورة قام بها القبط و العرب في دلتا النيل سنة ٢١٦هـ، و عندما تولى المعتصم الخلافة (٢١٨ – ٢٢٧هـ) عَيَّنَ الأفشين قائداً للقوات التي بعث بها للقضاء على ثورة بابك الخرمي في أذربيجان، – والتي أقضت مضجع الخلافة زُهاء عشرين عاماً – واستطاع الأفشين القضاء على تلك الثورة، وكافأه المعتصم على نجاحه بولاة السند و أرمينية و أذربيجان، و كذلك كان للأفشين دور رئيس في حملة المعتصم المشهورة على عمُّوريّة ٢٢٣هـ قتله المعتصم ثمّ صلبه بعد اكتشاف خيانته سنة ٢٢٦هـ ٠انظر: الموسوعة العربية على شبكة الإنتر نت ، www.arab-ency.com المجلد الثاني، الحضارة العربية.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح الأفشين، ج٢، ص ١٦٠.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص ٤٦٨.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج٢، ص١٢٢.

وهذا البطل وإن عُرِفَ بالشَّجاعة والفتك إلا أنّه لا ينكث العهود لأنه ليس غادراً، وهو نقيٌّ مقبِلٌ على شأنه، ولا ينشغل بالأمور الدنيئة، فيقول(١): من الكامل

قَـدْ جَرَّبَتْـهُ تَغْلِـبُ ابْنَـةُ وَائِـلٍ   لا خـاتِراً غُـدَراً ولا نَكَّاثَـا
مِثْلُ السَّبيكةِ ليْسَ عنْ أعْراضـها   بالغيـبِ لا نَدُسـاً ولا بَحَّاثـا

وهو البطل الذي قد عرَكته الحروب وعركها فأضحى واسع الصَّدر في الأوقات الصعبة، فيقول(٢): من الخفيف

غيْرُ ضَنْكِ الضُّلوعِ في ساعةِ الرَّوْ   عِ ولا ضَـيِّقٌ غَـداةَ المَضِـيْقِ

وسعة الصَّدرِ في أثناء المعركة جعلته صاحب الرأي السديد والفصل في الأوقات الصعبة، فيقول(٣): من الوافر

ورأيُـكَ مِثْـلُ رأي السَّيْفِ صَـحّتْ   مَشـوْرَةُ حَـدِّهِ عِنْـدَ المِصَـاعِ

وهذا المعنى يتكرر في شعر الطائي فقائده ثابت الجنان والعقل يُعطي الرأي الصائب في الأوقات التي تزيغ فيها القلوب والعقول وهو من الشُّجعان الَّذين يُسَعِّرون الحرب، فيقول(٤): من الوافر

إذا ما الضربُ حَشَّ الحَرْبَ أبدى   أغـرَّ الـرَّأْيِ فـي الخطـبِ البَهـيمِ
تُثَقَّـى الحَـرْبُ مِنْـهُ حـينَ تَغْلـي   مَرَاجلُهـا بشـيْطانٍ رَجـيمِ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح مالك بن طوق، ج١، ص ١٧٠.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ٤٥٥.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح مهدي بن أصرم، ج١، ص ٤٠٨
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح بني عبد الكريم الطائيين، ج٢، ص ٧٨

وهو وإن كان متواضعاً لله، فهو ذو شدة وحِدَّة على المشركين فطاغيهم وجبارهم يذل له ويخضع، فيقول[١]: من الكامل

يقِـظٌ يخـافُ المشـركون شَـذاتَهُ ⁂ مُتواضِـعٌ يعنـو لـهُ الجبـارُ

وهو البطل الملهم لفُؤَّاده الصبرَ والشَّجاعة لما له من هيبة وإجلال في نفوسهم فهو مِثالٌ لهم يقتدون به ويترسمون خُطاه في ميدان العز والشرف، فيقول[٢]: من الطويل

مَثَلْـتَ لـه تَحْـتَ الظَّـلامِ بِصُـوْرَةٍ ⁂ علـى البُعـدِ أقْنَتـهُ الحيـاءَ فَصـمَّما

كَيُوسُـفَ لمَّـا أنْ رأى أمْـرَ رَبِّـهِ ⁂ وَقَدْ هَمَّ أنْ يَعْرَوْرِيَ[٣] الذَّنْبَ أحْجَما أحْجَمـا

وَقَـد قَـالَ إمَّـا أن أغَـادَرَ بعْـدَها ⁂ عَظِيْمـاً وإمّـا أنْ أُغـادَرَ أعْظُمـا

فهو يبدو لجيشه في صورة مثلى تحت ظلمات النقع تجعله نموذجاً لهم يستحثهم على الإقدام فإما النصر والعزة أو الشهادة والشرف فكأنه لهم كبرهان الله ليوسف يثنيهم عن الخذلان كما انثنى يوسف عن الخطيئة وعاش عزيزاً شريفاً.

وهذا البطل محبٌ للمجد الذي شُغِل في طلبه، فهو دائم الطموح، فلا يركن إلى السرور بالنعم، والحُزنِ بالبؤس (وهذا المعنى يتكرر في شعر الطائي)، فيقول[٤]: من من الخفيف

تَيَّمَتْـهُ العُلـى فلـيسَ يَعُـدُّ الـ ⁂ ـبـؤسَ بُؤسـاً ولا النَّعـيمَ نَعِيمـا

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج١، ص٣٢٢.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، ج٢، ص ١١٩.

(٣) يَعْرَوْرِيَ: يأتيه.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد الثغري، رقم القصيدة ١٤٤.

وهو صاحب عزم قوي في الوصول إلى مبتغاه لا تُثْنِه العوائق مهما صعُبت وكَثُرت، فيقول في مدح مهدي بن أصرم(١): من الوافر

لَعَزْمُك مِثْلُ عزْمِ السّيْلِ شُدّتْ　　　قُواهُ بالمذانِبِ والتِّلاعِ

فهو المغرم بحياة الجد في ساحات القتال، لا حياة اللهو، فيقول(٢): من الطويل

ومَنْ كان بالبيضِ الكواعِبِ مُغْرَماً　　　فَمَا زِلْتَ بالبيضِ القَواضِبِ مُغْرما

وهذا البطل في الحرب قائدٌ ذو همة عالية كلما انتصر في موقعة انطلق إلى موقعة أخرى ولم تثنه عن طموحه إلا بعد أن عجزت الخيول الأصيلة عن إدراك هذه الهمة العالية، فيقول(٣): من الكامل

لو طاوَعَتْكَ الخَيْلُ لم تَقْفُلْ بها　　　والقُفْلُ فيه شَباً ولا مِسْمارُ

وهذا المعنى يتكرر في صورة البطل في شعر أبي تمام، فيقول(٤): من البسيط

إذا عَلا طَوْدَ مَجْدٍ ظَلَّ في نَصَبٍ　　　أو يَعْتَلي مَنْ سِواه ذِروةً شَعَفَا

فلَوْ تَكَلَّمَ خَلْقٌ لا لِسانَ لهُ　　　لَقَدْ دعَتْهُ المعالي مِلَّةً طُرُفا

والشّجاعة والقوة لا بُدّ من أن يُصاحبها الذكاء الحاد فترى هذا البطل ما حقّق انتصاره إلا ببعد نظره الذي تحقق من كثرة تجاربه الحربية، فيقول(٥): من البسيط

بَصُرت بالراحة الكُبْرى فلمْ تَرَها　　　تُنالُ إلا على جِسرٍ مِنْ التَّعَبِ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح القائد مهدي بن أصرم، ج١، ص ٤٠٨.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ج٢، ص ١١٧، في مدح أبي سعيد محمد الثّغري.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد ج١، ٣١٩
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا دلف، ج١، ٤٢٠.
(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح المعتصم، ج١، ص ٤٩.

وأيضاً تجده ذا يقظَّةٍ دائمة فهو صاحب تجربة في الحروب، ويعرف أن العدو ينتظر فرصة للانقضاض عليه، فيقول(١): من الخفيف

وأرادوك بالبيـــاتِ ومـــن هـــ ذا يُـــرادي مُتالِعـــاً وعســـيبا

فـرَأوا قشـعم السياسـةِ قـد ثقَّـ ف مِـنْ جُنْـدِهِ القنـا والقلوبـا

وهو في قيادته يفاجئ عدوّه ويُباغته، مما يُحدث بهذا الفعل في صفوف العدوّ الفوضى، فيؤثر جيش العدو الفرار وهم يُجارون في سُرعتهم سُرعة الريح، فيقول(٢): من الوافر

رآه العلـــجُ مُقْتَحِمـــاً عليـــهِ كمـا اقْـتَحَمَ الفنـاءُ علـى الخُلُـودِ

فَمَـرَّ لـو يُجـارِي الـرِّيحَ خِيْلـتْ لَدَيْـهِ الـرِّيحُ تَرْسُـفُ فـي القيـودِ

وهو من عظم دهائهِ يجهل العدو بدهائه ومكره، ومكره ودهاؤه ساكن فيهم مقيم عندهم، فيقول(٣): من الخفيف

سَـكَّنَ الكَيْـدَ فـيهم إنّ مـن أعـ ظـمِ إربٍ ألاَّ يُسَـمّى أريبـا

ومن فرط خبرته بالحروب وعلمه بمسالك الدروب تميز بِحُسن التخطيط والمعرفة والدِّراية بالمخاطر التي من المحتمل أن يتعرض لها جيشه، وأخذ كلِّ الأسباب التي تحقق له الانتصار والمحافظة على جنوده، فيقول(٤): من الخفيف

كَرُمـتْ غزْوتـاكَ بـالأمسِ والخَيْـ لُ دِقـاقٌ والخَطْـبُ غَيْـرُ دَقِيـقِ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد ج١، ص ٩٧.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد، ج١، ص٢٥٣.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيد ج١، ص ٩٥.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيدٍ، ج١، ص٤٥٨.

إلى أن يقول:

ثُـمَّ آبَـتْ وأنْـتَ خَـوْفَ الغَمَـامِ الْـ　　غَـــطِّ ذُو فِكْـــرَةٍ وقَلْـــبٍ خَفُـــوقِ

لا تُبــالي بَــوَارِقَ البـيضِ والسُّمْــ　　رِ ولكـــنْ بَالَيْـــتَ لَمْـــعَ البـــرُقِ

تَشْــنَأُ الغَيْــثَ وهــو حَــقٌّ حَبيــبٍ　　رُبَّ حَــزمٍ فــي بِغْضَــةِ المَوْمُــوقِ

وهو الخبير بالحروب صاحب مكرٍ ودهاءٍ في الحروب فهو لا يكشف كل أوراقه في معركة واحدة بل لكل معركة ما يُناسبها من الخططِ والقادة، فيقول(١): من الكامل

فرمـــاهُ بالأفْشـــينِ بـــالنَّجمِ الـــذي　　صدَعَ الدُّجى صَدْعَ الرِّداءِ البالي

لا قـــاهُ بالكـــاوي العَنِيـــفِ بدائـــه　　لمَّـــا رَآهُ لـــمْ يُفـــقْ بالطَّـــالي

وهو البطل الذي يستطيع أن يقود الجيوش الجرارة إلى أي مكان فهو القائد الخبير بالطُّرُقات؛ لكثرة معاركه وغزواته، فيقول(٢): من الكامل

فَدَعوا الطَّريـقَ بنـي الطَّريـقِ لعـالمٍ　　أنّـــى يُقـــادُ الجَحْفـــلُ الجَـــرارُ

وهذا البطل تتجلَّى شَجاعته وقُوّته، وتبرز نير آرائه وإصابتها في أشد الأوقات وأحلكها، فيقول(٣): من البسيط

فـي يَوْمِ أرْشَقَ والهَيْجَاءُ قَدْ رَشَقَتْ　　مِــنَ المَنيَّــةِ رَشْــقاً وابِــلاً قَصِــفَا

فَكَـانَ شَخْصُـكَ فـي أغْفَالِهـا عَلَمـاً　　وكـانَ رَأْيُـكَ فـي ظلمائهـا سَـدَفَا

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح المعتصم، ج٢، ص٦٣.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيدٍ،ج١، ص٣٢٥.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا دلف، ج١، ص٤٢٢.

وهو البطل الملازم للحرب الخبير بها فيعرف متى يغزو ومتى لا يغزو وهو الشجاع الذي يدافع عن العرض، حين يجبن الجبناء عن أعراضهم، فيقول[١]: من الطويل

أخا الْحَربِ كم ألقَحْتَها وهي حائلُ وأخَّرْتَها عَن وقتِها وهْيَ مَاخِضُ

إذا عِرْضُ رِعْدِيدٍ تَدَنَّسَ في الوغَى فسَيْفُكَ في الهَيْجا لِعِرْضِكَ رَاحِضُ

وهذا البطل بكل هذه المقومات الجسمية والمعنوية والعقلية أعزّ الإسلام وأذل الشرك حيث وعّرَ الدين على المشركين بمجالدته إياهم، وأباح وعورهم للمسلمين فصارت سهوباً، فيقول[٢]: من الخفيف

وعّرَ الدِّين بالجلادِ ولكنَّ وعور العدوِّ صارت سهوبا

فدُروبٌ الإشراك صارت فضاءً وفضاءُ الإسلامِ يدُعى دُروبا

فجهاد هذا البطل المُجاهد هو الدِّفاع عن الإسلام وإعلاء شأن الدِّين وحماية الأعراض (وهذا المعنى يتكرر في شعر الطائي)، فيقول[٣]: من الكامل

والبيضُ تَعْلَمُ أنّ دِيْناً لم يَضِع مُذ سَلَّهُنّ ولا أُضيْعَ ذِمارُ

لقد أضحى هذا البطل نجم الإسلام لأنّهُ بجهادِه وانتصاراته على المشركين يُضِيءُ ظلام الكُفر بنشره للإسلام في البلادِ التي فتحها، فيقول[٤]: من الكامل

هُو كَوْكبُ الإسلامِ أيّةَ ظلْمَةٍ يَخْرِق فَمُخُّ الكُفْرِ فيها رارُ

غادَرْتَ أرْضَهُمُ بِخيْلِك في الوغى وكأنَّ أمْنَعها لها مِضمارُ

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح دينار بن عبدالله، ج١،ص ٣٨٧.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيدٍ ج١، ص ٩٥.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيدٍ، ج١، ص٣٢٥.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيدٍ، ج١، ص٣٢٦.

وأقَمــتَ فيهــا وادِعــاً مُــتمهِّلاً حتـــى ظننـــا أنّهـــا لــكَ دارُ

وهذا البطل فارس الإسلام؛ المدافع عنه بحماية ثغوره، وآخِذٌ بثأر الشُّهداء الذين أُستُشْهِدوا وهم يُدافِعون في سبيل دينهم وحماية أعراضهم، فيقول(١): من الكامل

يـا فـارسَ الإسـلامِ أنـتَ حَمَيْتَـهُ وكفَيْتَـهُ كلَـبَ العَـدوِّ المعْتَـدِي

ونصَـرْتَهُ بِكتائـبٍ صـيَّرْتَها نَصْـباً لِعَـوْراتِ العَـدوِّ بمَرْصَـدِ

وهو الذي يشبه الأسد في الشجاعة والقوة والإقدام ولكنه تفوق عليه بالسماحة والكرم، فيقول(٢): من الطويل

هوَ اللَّيْثُ ليْثُ الغابِ بأساً ونَجْدَةً وإنْ كـان أحْيَـا مِنْـه وَجْهـاً وأكْرَمَـا

وهو البطل القائد الذي يستمدُّ قدوته من الأبطال المسلمين السابقين وهذه أمة محمد لا تنقطع منهم البطولة بل هي متواصلة على مر الأجيال، فيقول(٣): من الكامل

أحييـتَ للإسـلامِ نجْـدَةَ خالـدٍ وفسـحْتَ فيـهِ لِمُـتْهِمٍ ولِمُنْجِـدِ

وأخيراً هذا البطل بكل المقومات المثالية التي اتّصف بها حقّقَ جميع انتصاراته وردّ العزة للمسلمين، فيقول(٤): من الطويل

ردّدت أديـمَ الّـدين أملـسَ بعـدما غَـدا ولياليـهِ وأيَّامُـهُ جُـرْبُ

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيدٍ، ج١، ص٣٠٢.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيدٍ ج٢، ص ١٢٢.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح أبا سعيدٍ، ج١، ص٣٠٣.

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح خالد بن يزيد الشيباني، ج١، ص١٠٨.

إنـه البطـل المسـلم القائـد المغـوار الـذي سطّر بطولاتـه الحربيـة فـي أرفـع وأسمى صورها فكان سيفاً يغلق به الخليفة ظُلمات الشرك فيبددها فتعلو به دولـة الإسـلام وتذل به دولة الشرك إنه القائد البطل المسلم كما أبرزه لنا شاعرنا أبو تمام.

٤/البطل في صورة صاحب الشرطة:

الشرطة لغة: الخير؛ لأنّ شرطة كُلّ شيء خياره، وقيل أشراط الشيء أوائله، منه أشراط الساعة، وقيل: الأشراط: الأشراف[١]، ويعود نظام الشُّرطة إلى نظام العسس الذي أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلَّم حيثُ كانوا يعملون على حِراسة المدينة ليلاً والمُراقبة فيها نهاراً، وقد نُظِّمت في عهد على بن أبي طالب وأصبح يُطْلَق على رئيسِها صاحب الشُّرطة، وازدادت أهميّتها والعناية بِها في العصر الأموي وأصبح صاحب الشّرطة ينظُرُ بَعض الجرائم التي تتطلب إجراءات فورية وتنفيذاً للأحكام التي يُصدِرُها القاضي، ومُساعدتَهُ في تنفيذ العِقاب على مُستَحقه، وفي العصر العباسي أصبَحَ لكُلِّ مدينة رئيس شُرطة ونائب ومُساعدان يُعرفون بالأعوان، وكان لهم أعلام خاصة بهم ولباس مُمَيّز. وقد كانت الشُّرطة تابعة للقضاء أول الأمر، تعمل على تنفيذ الأحكام الصَّادرة عنه وتُقيم الحُدود، ثُمّ انفصلت عن القضاء وأصبح صاحب الشُّرطة ينظر بنفسه في الجرائم، وكان من مهامها حفظ النِّظام في الطُّرق والأماكن العامة ومُراقبة اللصوص وتنفيذ أحكام القضاء "[٢].

وتتجلّى بطولة صاحب الشرطة عند أبي تمام بالجمع بين صفات القوة والخلق وبطولته المثلى تتجلى في تنفيذ أوامر الخليفة بالحزم والصّرامة والقوة.

---

(١) انظر: لسان العرب، حرف الشين.

(٢) انظر: دراسات في تاريخ الحضارة، دار قباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٩٨.

فممدوحُهُ عيّاش بن لَهْيَعَة[١] الحضرمي هو الكريم الذي تفوّق كرمه ونداه على الماء، وإذا وعد العُفاة بالعطاء، فهو أصدق وأوفى من البرق، فيقول: من الطويل[٢].

لَهُ كَرَمٌ لَو كان في الماء لم يَغِضْ ... وفي البَرْق ما شَامَ امرؤٌ بَرْقَ خُلَّبِ

وهو أخٌ لمن أصابته الشَّدائد، فيقوم بِدَفْعِها عنه بِكَرمه، فيقول: من الطويل[٣]

أخُو أزَماتٍ، بَذْلُه بَذْلُ مُحِسنٍ ... إلينا ولكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنبِ

وهو شُجاعٌ يُقاتلُ الأعداء في المعارك، ورئيس يتبَعُهُ جيشُهُ في المحافل والمواكب، فيقول: من الطويل[٤]

يَهُولُكَ أن تَلْقَاهُ صَدْراً لِمَحْفِلٍ ... وَنَحْراً لِأعْداءٍ وقَلْباً لِمَوْكِبِ

وهو المخلص إلى الخليفة في النُّصح، فيقول: من الكامل[٥]

إنَّ الخَليفَةَ والخليفةَ قبلَهُ ... وَجَدَاكَ تِرْبَ نَصِيحةٍ وعَزِيمِ

وهذا البيت وما يليه من شواهد يأتي تأكيداً على أن بطولة صاحب الشرطة وكذلك سائر البطولات إنما هي بطولات تدور في إطار بطولة كلية هي بطولة الخليفة الذي انتدبه لتلك المهام.

---

(١) صاحب الشرطة في مصر، من ممدوحي أبي تمام، ومن أول ممدوحي أبي تمام. انظر: أبو تمام حياته و شعره، للبهبيتي، ص٧٨.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح عيّاش الحضرمي، ج١،ص٨٩.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، بمدح عياش بن لهيعة، ج١، ص٩٠.

(٤) نفسه.

(٥) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم،ج٢، ص١٣٣.

فهو المسرع في تَنْفيذِ أمر الخليفة مستأصِلاً أهل الشرك والجور والظلم، فيقول: من البسيط[١]

سَـيْف الإمـامِ الـذي سَـمَّتْهُ هِمَّتُـهُ　　　لَمَّـا تَخَـرَّمَ أهـلَ الكُفْـرِ مُخْتَرِمَـا

فهذا القائد جمع رضا الراعي والرعية ورضوان الله قبلهما، وهذا المعنى يتكرّر في مدح صاحب الشرطة على نحو ما مدح بهِ أبو تمام صاحب شرطة بغداد إسحاق بن إبراهيم، فيقول: من البسيط[٢]

أطَعْـتَ رَبَّـكَ فـيهم والخليفـةَ قـدْ　　　أرضـيْتَهُ وشَـفَيْتَ العُـرْبَ والعَجَمَـا

وهو خليفة الموت لمن جار أو ظلم، عند غياب الخليفة حينما يصول الخليفة بنفسه على العدو، فيقول: من البسيط[٣]

إنّ الخليفـةَ لمَّـا صَـالَ كُنـتَ لـهُ　　　خَليفةَ المَوتِ فِيْمَنْ جَارَ أو ظَلَمَا

وهو إذا اشتدَّ عليه أمر، قابله بالشدة والقوة حتى يتغلب عليه، فيقول: من البسيط[٤]

نَمَـوْكَ قِنْعـاسَ دَهْـرٍ حـينَ يَحْزُبُـهُ　　　أمْـــر يُشـــابه آبـــاءً قَناعِيســـا

والقنعاس هو الشديد الممتنع العظيم الخلق وكذلك كان صاحب الشرطة.

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم ج٢، ص ٨٢.
(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم ج٢، ص ٨٣.
(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم، ج٢، ص ٨٢.
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، بمدح عياش بن لهيعة، ج١، ص ٣٦٧.

وهو شَدِيْدَ الغضب، ومن شِدَّة الغضب على قِرنه أبرزت شفتاه أسنانه حتى يُظَنُّ أنَّهُ ضاحكٌ، فيقول: من البسيط[(١)]

قَـدْ قَلَّصَـتْ شَـفَتاهُ مِـن حفِيظَتِـهِ   فَخِيْـلَ مِـنْ شِـدَّةِ التَّعْبِـيسِ مُبْتَسِـمَا

وهو صارمٌ على كلِّ من طغى وجار، فلا يتركهم إلا وقد قَوَّمَهم وحَسَمَ عاديتهم، ولا يُبالي بِقُرْبِ رَحِمِهم منه، فيقول: من البسيط[(٢)]

لَـمْ يَطْـغَ قَـومٌ وإن كـانوا ذوي رَحـم   إلاَّ رَأى السَّـيفَ أَدْنَـى مِـنْهُمُ رَحِمَـا

وهـو الـذي يُحـافظ علـى أمـن الخلافـة، وسـلامة الملـك؛ لأنـه مـن نسـب عُـرف بالإخلاص للخلافة، فيقول: من البسيط[(٣)]

فـي مُصْـعَبِيِّينَ مـا لاقَـوْا مرِيـدَ رَدىً   لِلمُلْــكِ إلاَّ أصَــارُوا خَــدَّه تَرِبــا

وهو إذا مشى نحو أناس خافه كُلُّ ذي جُرمٍ، وارتعدت فرائِصُهم، وتَداخَلهم الذُّعر والفَزَع، فيقول: من البسيط[(٤)]

مَشَـتْ قُلُـوبُ أُنـاسٍ فـي صـدُورِهِمُ   لَمَّـا تَـراءَوْكَ تَمْشِــي نَحْـوَهُمْ قُـدُمَا

---

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم، ج٢، ص ٨٢.

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم، ج٢، ص ٨٢.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم، ج١، ١٢٩ .

(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم، ج ٢، ص ٨٣.

وهذا البطل بسبب شجاعته وقوته ويقظته ذلّلَ حوادث الدنيا فهم في أمن وأمان ما داموا في جوار هذا البطل، فيقول يمدح إسحاق بن إبراهيم(١): من(٢)

قـل للخطـوبِ إليـكِ عنِّـي، إنَّنـي   جَـارٌ لإسـحاقَ بـنِ إبـراهيمِ

وهذا المعنى يتكرر في شعر الطائي عند مدحه لصاحب الشُّرطة، فيقول: من البسيط(٣)

إذا أتـى بلـداً أجلـتْ خلائقُـهُ   عنْ أهْلِهِ الأنكدَيْنِ: الْخَوْفَ والعَدَما

وهذا البطل الذي حقّقَ الأمن، ونشر الخير أصبح مطاعاً عند الرعية، فيقول: من البسيط(٤)

نقـولُ إنْ قُلْـتُمُ لا لا مُسَـلّمَةً   لأمـرِكُمْ ونعـمْ إنْ قُلْـتُمُ نَعَمـا

وهكذا نرى مقومات البطولة لدى صاحب الشرطة في شعر أبي تمام تتمثل في جانب طاعة الخليفة والامتثال لأوامره وإدراك مطلبه وتحقيق العدل والأمن وبث الرعب والخوف في نفوس العابثين ولا ينسى أبو تمام في هذا السياق أن يؤكد على الجانب الخلقي من كرم وفاء ولكن بطولته البارزة تتمثل في دورانه في فلك البطولة الكلية (بطولة الخليفة).

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون و المعتصم و الواثق والمتوكل و كان وجيهاً مقرّباً من الخلفاء. مات ببغداد سنة ٢٣٥هـ (الأعلام ٢٩٢/١.)

(٢) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم، ج٢، ص١٣٦.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح إسحاق بن إبراهيم، ج٢، ص٨٥.

(٤) نفسه.

٥/البطل في صورة قاضي:

ظهرت في العصر العباسي المذاهب وأصبحَ القضاة يميلون عن الاجتهاد إلى الأخذ بما جاء في المذهب، وفي العصر العباسي عمل العباسيون على التدخل في استقلال القضاء مما جعل كثيرا من الفقهاء يمتنعون عن تولي المنصب، فكان أن تعرضوا للحبس والعقاب كما حدث مع أبي حنيفة النعمان ومع زفر صاحبه.

وفي العصر العباسي أنشئت وظيفة قاضي القضاة، وهو منصب يشرف على أمر تعيين القضاة وعزلهم وتفقد أحوالهم وأعمالهم، وفيه اتخذ القضاة نواباً ومساعدين أطلق عليهم نواب الحكم، وأصبح لهم زي خاص يميزهم عن غيرهم، ووجد منصب الخازن الذي يحفظ الدعاوي، والحاجب الذي ينظم أوقات حضور الخصوم، وغيرهم من أعوان القضاة واتسعت وظيفة القاضي وتعددت اختصاصاته، فبالإضافة إلى الشرطة والحسبة والمظالم أصبح يشرف على الأماكن الدينية وأموال الغائبين والمفقودين، الذهب والفضة والمكاييل، وولاية الحج، وأخذ البيعة عن الخليفة، ومصاحبة الجيش في الحروب، كما ينظر في الجنايات وقضايا الأحوال الشخصية(١).

ولذلك كانت بطولة القاضي تتمثل في تحمُّله لهذه المهام وقيامه بأعبائها على خير قيام بالإضافة إلى تحليه بأخلاق أهل الفضل.

فهو خير من شُدَّ إليه الرحال لأنه كريم يعطي سائله ولا يماطله، فيقول في مدح القاضي حُبيش بن المُعافى(٢): (٣) من الطويل

وخيـر امـرئ شُـدَّتْ إليـه وحطـتِ ... إلـى حيث يُلْفَى الجُودُ سهلاً مَنَالُـهُ

(١) انظر: على حسين الشطشاط، دراسات في تاريخ الحضارة، دار قُباء للنشر، القاهرة،٢٠٠١م،ص ١٨٢.

(٢) القاصي حُبيش بن المُعافى قاضي نَصِبين و رأس عين. انظر: ديوان أبي تمام، شر ح التبريزي، قافية التاء.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح حُبيش بن المُعافى، ج٢، ص١٦٣.

وهو العادل الذي يحكم بين الناس بالعدل فعمَّ العدل واستقر الدين، فيقول[١]: من الطويل

إلـى خيرْ مـن سـاس الرعيـة عَدْلُـهُ ووطَّــدَ أعــلامَ الهُــدىَ فاســتقرتِ
حُبيْشٌ حُبيْشُ بن المُعَافَي الذي به أمِرَّت حِبالُ الـدين حتـى استَمَرَّتِ

وأيضاً يصور أبو تمام ممدوحه بأنّه ذو هيبة، حتّى إنّ الزمان خافه وارتعد منه، فيقول[٢]: من الطويل

أخَافَ فُؤادَ الدَّهْرِ بَطْشُكَ فانطوتْ علــى رُعُــبٍ أحشــاؤهُ وأجَنَّــتِ

وهو الشجاع الذي بفضل شجاعته وعمق إيمانه أحيا العدل بعد اندثاره وأمّر الدين، فيقول[٣]: من الطويل

ولـولا أبـو الليْـثِ الهُمَـامُ لأخْلَقـتْ مـن الـدَّين أسـبابُ الهُـدى وأرثَّـتِ
أقــرَّ عمــودَ الــدَّين فــي مُسْــتَقَرِّه وقــدْ نَهلَــتْ فْيــه الليَّــالي وعَلَّــتِ

وهو وإن أحيا العدل بعد اندثاره لفضل شجاعته وعمق إيمانه، يتصف بكمال الأخلاقِ من مساعدة الناس والتسامح والجود، فيقول[٤]: من الطويل

ويْلــوي بأحــداث الزَّمــان انتقامُــهُ إذا مـا خطـوة الـدَّهْر بالنـاس أولـتِ
ويَجزيكَ بالحُسْنْىَ إذا كْنتَ مُحسِناً ويغتفـرُ العُظمـى إذا النَّعـلُ زَلَّـتِ
يَلُــمُّ اخِــتلالَ المُعْتَفــينَ بجُــودهِ إذا مــا مُلمَّــاتُ الأمــور ألمَّــتِ

---

(١) نفسه.
(٢) نفسه، ص١٦٥.
(٣) نفسه.
(٤) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح حُبيش بن المُعافى،ج١، ١٦٣.

وهذا لا شك فيه لأنه صاحبُ همة عالية وعزيمة ماضية، فإذا رام أمراً أنجح فيه وأدرك ما طلب(١):

هُمامٌ، وريُّ الزَّنـدِ، مستحصِدُ القُوَى		إذا مـا الأمـورُ المشـكلاتُ أظَلَّـتِ

وإذا أسْدِلَ ثوب على الحقيقة وعمَّ الظُّلم، انكشف به الظلم لما يتميز به من بصيرة نافذه وذكاء خارق، فيقول(٢): من الطويل

إذا ظُلُمـاتُ الـرَّأي أسْـدلَ ثَوْبُهـا		تطلَّـعَ فيهـا فَجْـرُهُ فتجلَّـتِ

بـه انكشـفت عَنَّـا الغيايـةُ وانفـرتْ		جلابيـبُ جَـوْرٍ عَمَّنـا فاضْـمَحلتِ

وهو وإن أُشتُهِرَ بالذكاء الحاد، اشْتُهِرَ بالشجاعة والقوة في تحمُّلِهِ لأعباءِ القضاء، فيقول(٣): من الطويل

أغَـرُّ ربـيطُ الجـأشِ، مـاضٍ جَنانُـهُ		إذا ما القلوبُ الماضياتُ ارجحنَّتِ

نهـوضُ بثقـل العـبءِ مضـطلعٌ بـهِ		وأنْ عَظُمَـتْ فِيـه الخطـوبُ وجلَّـتِ

وهكذا تتماسك حلقات البطولة حول محورها وبطلها الكُلِّي (الخليفة) لِتُشكِّل في مجموعها بطولة كُبرى وقوة عُظمى، إنها بطولة الأمة التي كانت ترتعد لذكرها قلوب الأعداء وتنحني وتستسلم لها سائر الأمم، إنها الأمة الإسلامية الأمَّة المنتجة في كل وقت وحين للأبطال إذا التزمت و نهجت سيرته و سير النماذج المضيئة التي سبق ذكرها.

(١) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح حُبيش بن المُعافى،ج١، ١٦٤.

(٢) نفسه.

(٣) انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، يمدح في مدح حُبيش بن المُعافى،ج١، ١٦٤.

الفصل الخامس

(التشكيل الفني لقصيدة البطل)

البطل بين الخيال و الواقع في شعر أبي تمام:

- **استحضار الشخصيات التاريخية.**
- **استحضار الشخصيات المقتبسة من عالم الحيوان.**
- **استحضار نماذج من الطبيعة.**
- **استحضار شخصيات ما ورائية.**
- **استحضار الأسطورة و الخرافة.**
- **استحضار اللون.**

الفصل الخامس

التشكيل الفني لقصيدة البطل:

البطل بين الخيال والواقع في شعر أبي تمام:

تتشكل الصورة الفنية في القصيدة وفقاً لتشكيلها في خيال الشاعر ويمثل الواقع الحاضر القاعدة الراسخة التي ينطلق منها ذلك الخيال مستلهماً معطيات الماضي بشخوصه وأحداثه ورموزه، ومستشرفاً آفاق المستقبل بآماله وأحلامه ورؤاه. ولا يمكن لشاعر أن يجسد لنا صورة أو معنى إلا إذا أجاد المزج بين واقعه الحاضر وماضيه الراسخ ومستقبله المأمول، فالصورة الكاملة للظاهرة هي التي تتشكل وفق هذه الرؤية المتكاملة التي يُبْرز من خلالها الشاعر واقعه الحاضر مستنداً بعراقة الماضي وقوته، فمنه يستمدّ الشّاعر موضوعاته الشعرية، ليخلق واقعاً جديداً ممزوجاً بالماضي، باعتبار أنّ التراث هو ما توارثته الأبناء عن الآباء في بعض مناحي الحياة، وقد استطاع هؤلاء الشعراء من خلال الإشارات التُّراثية أن يُعبِّروا عن رؤاهم الإنسانية والحضارية، وأن يُعيدوا رسم الواقع، وفق رؤية

تتسق مع الحاضر، وتكشف عن شهادات إبداعية حيّة تتصل به، وتستحضر أبعاده، بكل ما فيه من انتصارات، وحلم في صُنع مُستقبل إنساني أفضل. وتوظيف التُّراث عند الشُّعراء يتّخذ أشكالاً مُتعدِّدة، فمنهم من يوظفُهُ بدواعي المناسبات التي لها صلة بالدِّفاع عن الدولة الإسلامية؛ وذلك لشحذ الهمم للدفاع وعن الإسلام والتّضحية بالنَّفس والمال. ولكي يربوا روح البطولة في ضمير أبنائهم، فراحوا يذكرونهم بأجدادهم كيف حكموا، وكيف قادوا. ومنهم من استلهم التُّراث ووظفه في شعره للتكسب والتّقرب إلى الشخصيات المهمة، وبلوغ المراتب الرفيعة، يُضافُ إلى ذلك تعّود الشعراء استلهام التُّراث للذوق السائد، أو حُبّاً للتقليد.

ولعل ذلك الاستلهام أظهرته نظريات عالم النفس السويسري كارل يونغ، خاصةً ما أسماه باللاوعي الجمعي الذي تستقر فيه النماذج العُليا التي تمثل بدورها رواسب

نفسية لتجارب الإنسان البدائي تُعَبِّر عنها، كما يقول يونغ، الأساطير والأحلام والأديان والتَّخيلات الفردية وكذلك الأعمال الأدبية لدى الأنسان المُتحضِّر(١). وقد قام بعض النُّقاد الغربيين أمثال مود بودكن وولسون نايت وروبرت غريفز، ثُمَّ نور ثروب فراي بتحديد النموذج الأعلى: بأنّهُ نمط من السلوك أو الفعل، أو نوع من الشخصيات، أو شكل من أشكال القص، أو صورة، او رمز، في الأدب والأساطير وكذلك في الأحلام، ويعكس أنماطاً أو أشكالاً بدائية وعالمية تجد استجابة لدى القارئ. ومن الأمثلة على ذلك أساطير الموت والبعث في بعض الثقافات القديمة، كأسطورة تموز لدى البابليين وأدونيس لدى اليونانيين القدماء، التي تنعكس في الأعمال الأدبية في هيئات مختلفة، مثل أن يُشير الكاتب إلى الوطن الذي يُستعيد أمجاده رغم الكوارث أو البطل الذي ينتصر بعد الهزيمة. ففي كلها.

نجد تواتراً لأنموذج الخلود الذي منحته الأساطير البدائية هيئات متعددة وما زال يتكرر في الكثير من الثقافات المعاصرة بهيئات مُشابهة أو مختلفة وعند تتبعي محتوى شعر أبي تمام وجدتُ الشاعر مُتعلِّقاً تَعَلُّقاً شديداً بالعروبة والإسلام، ومُدافعاً عن أمته، ومُحرِّضاً وحاثاً الخلفاء والقادة للدفاع عن الأمة من شرٍّ وخطر الغُزاة الحاقدين والحركات الداخلية التي تُريد زعزعة الخلافة الإسلامية. ضاربا ومُذكِّراً ما فعله آباؤهم وأجدادهم من بطولات حاضةً لهم على التمسُّك بماضيهم المُشرق وتاريخهم العريق، وتُراثُهم الأصيل.

ومن خلال رصد الخطوط الداخلية التُّراثية الواردة في شعر أبي تمام، يظهر أنه كان على علاقة وثيقة به، يستحضر منه ما يتوافق ومضمون قصيدته، فيشعر قارئ النص أنّه والتُّراث مُتلازمان، باعتبار أن النص الذي لا يقبل هذه الظواهر.

---

(١) انظر، دليل الناقد الأدبي، د /للبازعي والرويلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب ط٥، ٢٠٠٧ ص٣٣٧.

التُّراثية نص عقيم، يقول رولان بارت: "إنه نص بلا ظل، لأن النَّصَ في حاجة إلى ظِلِّه بشكل لازم[١].

وللحديث عن المصادر التراثية التي تشكلت منها صورة البطل في شعر أبي تمام أهمية كبرى فهي تقدم لنا الصورة المثلى للبطولة في العصر العباسي الذي تنوعت فيه الرؤى وتصارعت المذاهب واختلطت الأجناس وأطلت الشعوبية بوجهها القبيح على المجتمع العربي محاولة النيل من تراثه وثوابته ، و أصبحت البطولة تأخذ بعداً قومياً في ذلك الصراع الدائر بين أجناس المجتمع في العهد العباسي، فنهض بشار وأبن نواس وغيرهما يعيبون على العرب سلوكياتهم وشتى مظاهر حياتهم وتراثهم ويعلون من شأن أكاسرتهم وأعراقهم بما أثار حفيظة العرب وشعرائهم أمثال أبي تمام فتهضوا ويجسدون ملامح البطولة والقوة والفتوة من خلال هذا التراث الخالد المجيد الذي يجسد لنا بطولة أمة تغلبت على واقعها وتفوقت عليه وقدمت لنا نماذج شخصية ووقائع حياتية تجسد البطولة في أقوى وأسمى معانيها.

وللحديث عن المصادر التراثية التي تشكلت منها صورة البطل في شعر أبي تمام أهمية كبرى فهي تقدم لنا الصورة الأنموذج للبطولة في العصر العباسي الذي تصارعت فيه المذاهب واختلطت فيه الأجناس وظهرت الشعوبية بوجهها القبيح على المجتمع العربي محاولة النيل من تراثه وثوابته على ألسنة بعض الشُّعراء أمثال بشار بن برد وأبي نواس مما أثار حفيظة العرب وشُعرائهم أمثال أبي تمام الذي ما فتئ مبرزاً لملامح البطولة والقوة والفتوة العربية من خلال هذا التراث الخالد المجيد.

---

(١) رون برت: لذة النّص.ط١، ترجمة: منذر عياشي، الناشر / مركز الإنماء الدولي، ص١٣٢

ويُمكن تصنيف المصادر التُّراثية التي وظَّفَها أبو تمام في تشكيل صورة البطل بين الخيال والواقع إلى المصادر الآتية:

١- الشخصيات التاريخية:

لقد استحضر الشاعر العديد من الشخصيات التاريخية البطولية للاستعانة بها في رسم صورة البطل لممدوحه فقدمنا من تراثه العربي ملامح تلك الصورة أبعادها ليؤكد على اتصال واقع البطولة العربية بماضيها، ولكثرة ممدوحي أبي تمام فإنّ القارئ لديون أبي تمام يجد نماذج كثيرة للشخصيات التي استعان بها الشاعر في رسم الصورة المثالية لممدوحه حتى إنّك تجد الشاعر يستعينُ بأكثر من أنموذجٍ من التاريخ لممدوحٍ واحد في قصيدةٍ واحدة ليعكس لنا صورة الممدوح البطولية من خلال هذه النماذج المستوحاة من التراث العربي العريق. والشخصيات التي استوحاها أبو تمام من التراث العربي والإسلامي تمثل نموذجاً تكاملت فيه خلال البطولة وشاعت بين الناس قديماً وحديثاً حتى صارت رمزاً فالشاعر يستحضرُ شجاعة وبطولة خالد بن الوليد؛ ليؤكد شجاعة وبطولة ممدوحه أبي سعيد الثغري[(١)]: من الكامل[(٢)]

أَحْيَيْتَ للإسلامِ نَجْدَةَ خالدٍ وفَسَحْتَ فيهِ لِمُتْهِمٍ ولِمُنْجِدِ

فبطولة خالد ونجدته صارت رمزاً تاريخياً وشعاراً يرفعه كل قائد فالبطل خالد بن الوليد يقل وجوده ويندر تكراره فكأن البطولة النجدة قد ماتت بموت خالد ولكن قائدنا أبا سعيد الثغري قد أحياها فتتابعت الفتوح على يديه كتتابعها على يد خالد فلاحت لنا البطولة والنجدة في شخصه من جديد والشاعر قد استمد من صورة خالد ربط هذه البطولات بالإسلام وعزته وفتوحه ولذلك قال (أحييت للإسلام) وهو بذلك يؤكد على بطولة الأخلاق في ارتباط فتوحات الممدوح وبطولاته بالإسلام ونصرته.

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح أبي سعيد الثّغري،ج١، ٣٠١.

ويستحضر الشاعر شخصية الحارث بن عبّاد[١] الذي أُشتُهِر بالشِّدة في حروبه ضد بني تغلب وملازمتِهِ لها، ويجعلها ترادف ممدوحه أبا سعيد محمد بن يوسف الثّغري الذي يتّصِف بالشِّدة على من خالفه. كذللك يستحضر زُهيرَ بنَ جذيمة العَبسيّ ومالك بن زُهير[٢] وما كان منهما حينَ أشْفقا على قومهُما وراما الصُّلح بينهُما في حرب داحس والغبراء، للين جانب ممدوحه وإشفاقه على من خالفه إذا دانَ له وأطاعه فشدة البأس والاشفاق ما ثلتان في نفس الممدوح، فيقول: من الطّويل[٣]

هُوَ الحارِثُ النّاعي بُجَيْرَاً وإنْ يُدَن	لَـهُ فهْوَ إشْفَاقاً زُهَيْرٌ ومالِكُ

كذلك يستحضر أبو تمام شخصية عمراً بن مَعْدي كَرِب والمُسهِر بن عمرو من أشْجع فُرسان العرب وأشهرهُم شجاعةً وجُرأة، وإسْفِنْدِيَاذَ ورُسْتُم من أشْجع فُرْسان العجم[٤]

---

(١) الحارث بن عُبَاد بضبيعة البكري (ت ٥٠ ق.هـ / ٥٧٠ م) أبو منذر المعروف بلقب فارس النّعامة من أهل العراق، وأحد فحول شّعراء الطّبقة الثانية. كان من سادات العرب وحكمائها و شُجعانها الموصوفين، اعتزل حرب البسوس مع قومه و قبائل من بكر كـ" يشكر و قيس وعجل، ثُمّ شارك فيها بعد قتل المُهلْهِل ابن أخيه بُجير) (انظر: الموسوعة الحرّة ويكيبيديا)

(٢) أبَوا حيَّين من أحياء الأراقم.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، رقم القصيدة، في مدح محمد بن يوسف الثّغري،ج١، ٤٦٨.

(٤) انظر: شرح ديوان ابي تمام، للأعلم الشّنتَمَري ١٥٤/١.

ليجعل بطولة العرب والعجم ماثلة في شِدّة وبأس قائدين من قوّاد ممدوحه وهما بشر ومحمد بن معاذ، فيقول: من الطويل(١)

لَقَدْ أذكرانا بأسَ عَمْرٍو ومُسْهِرٍ   وما كان مِنْ إسْفِنْدِيَاذَ ورُسْتَما

ويُلاحظ أن الشاعر أضاف (البأس إلى بطلي العرب تأكيداً على أن البطولة الحقيقية حالة في العرب أما بطولة العجم فهي عارضة نتيجة الأحداث والأحوال.

ويُقدِّمُ الشاعر ممدوحه قاضي القُضاة أحمد بن أبي داود بطلاً في الخطابة، فقد أخذ من فصيح الكلام حتى فاق خُطباء العرب المشهورين، ويستحضر في هذا السياق قِس بن ساعدة الإيادي، فيقول: من الكامل(٢)

وأجَلَّ مِنْ قُسٍّ إذا اسْتنطَقتهُ   رأياً وألْطَفَ في الأمورِ وأجْزَلِ

ويوظفُ الشاعر الصورة الفنية في غير موضع لإبراز شخصية حاتم الطائي، ليؤكد أن ممدوحه لا يقل كرماً وسخاءً عنه، بل إنه يُماثله ويسير على خطاه، فهو عند حسن ظنِّ طالبه، ويظهرُ سخاء الممدوح في تقديمه للضيف أفضل ما عنده، فهذا الممدوح مسرف في الكرم يسيئ العشرة للمال بسبب شدة كرمه، يقول: من البسيط(٣)

إذا سارَ فيهِ الظَّنُّ كانَ بكُلِّ ما   يؤمّلُ مِنْ جدوَاهُ أوَّلِ قادِمِ

أساءت يداه عِشْرة المالِ بالنَّدى   وأحسنَتَا فينا خِلافَة حاتِمِ

(١) ديوان أبي تمام، رقم القصيدة، في مدح أبي سعيد الثغري، ج٢، ١٢٠.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، قصيدة، في مدح احمد بن دُواد الإيادي، ج٢، ٢٥.

(٣) انظر: نفسه، قصيدة رقم، في مدح أبي سعيد الثّغري، ج٢، ١٠٩.

كذلك يُشيدُ الشّاعر بكرمِ ممدوحه وكثرة عطاياه التي لا يمكن حصرها وعدِّها، بل إنّهُ يتفوق على شخصيات عرفت ببذلها للمال، وكثرة عطاياها، راسماً لذلك المستحضر صورة خيالية في عجزه عن بلوغ ممدوحه، عندما استخدم الشاعر.

أسلوب التمني بلو ويستحضر لهذهِ الصورة شخصيةً رجل عُرِف بشدة كرمه، وكثرة ما أنفقَ من ماله، من أجل وقف الاقتتال بين قبيلتي داحس والغبراء، وهو هَرِمٌ بن سِنان(١) فيقول: من البسيط(٢)

كـم نفْحـةٍ لـكَ لـمْ يُحْفَـظْ تَـذَمُّمُها   لصــامِتِ المــالِ لا إلاًّ ولا ذِمَمَــا

مَوَاهِــبٌ لــوْ تَــوَلَّى عَــدَّها هَــرِمٌ   لـمْ يُحْصِـها هَـرِمٌ حتَّـى يُـرَى هَرِمـا

وللجناس هنا دلالته المؤثرة بين (هرم) بمعنى الشخص (هرم بن سنان) و(هرم) بمعنى الطاعن في السن فقد تجسدت شخصية الممدوح من خلال هذا الجناس في صورة بطولية فاقت كل كريم في الماضي والحاضر والمستقبل.

ويُقدِّمُ الشاعِرُ ممدوحه الوالي مالك بن طوق التّغلبي(٣) في صورة البطل الذي حسده قومه؛ لعلو منزلته ولما يتصف به من الشّجاعة والكرم والتُّقى والعفاف، فأظهروا له العداوة والجفاء حتي عزله الخليفة من الجزيرة ويستحضرُ في هذا السياق شخصية الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وما لا قاه من حسد ومُعاداة قريش له، حتى هاجر من مكة، فيقول: من الكامل(٤)

---

(١) هرم بن سِنان بن أبي حارثة المري، من أجواد العرب في الجاهلية، يُضرب به المثل و هو ممدوح زُهير بن أبي سُلْمى، مات قبل الإسلام نحو سنة ١٥ ق. هـ (الأعلام ٨/ ٨٢).

(٢) انظر: ديوان أبي تمام،، قصيدة رقم، في مدح إسحاق بن إبراهيم، ج٢، ٨٠.

(٣) مالك بن طوق بن عتاب التّغلبي، أبو كلثوم، أمير. كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي، وبنى بمساعدة الرّشيد بلدة الرحبة التي على الفرات، و تُعرف برحبة مالك، نسبة إليه، وكَثُرَ سُكانها في أيامه، و كان فصيحاً له شِعر. توفي في سنة ٢٥٩هـ (الأعلام،٥/ ٢٦٢)

(٤) انظر ديوان أبي تمام،شرح التبريزي، قصيدة، في مدح مالك بن طوْق،ج٢، ٩٨.

حســـدُ القرابـــةِ للقرابـــةِ قُرْحَـــةٌ   أعيـــتْ عوَانِـــدُها وجُـــرْحٌ أقْـــدَمُ
تِلْكُـــمْ قُـــرَيْشٌ لـــم تَكُـــنْ آراؤهَـــا   تَهْفـــو ولا أحْلاَمُهـــا تَتَقَســـمُ
حتَّـــى إذا بَعَـــثَ النَّبـــيُ مُحَمَّـــدٌ   فـــيْهُمْ غـــدَتْ شَـــحْناؤهُم تَتَضَـــرَّمُ

والشاعر عندما استحضر النبي الكريم (محمداً) صلى الله عليه وسلم هنا ليس من أجل أن يقرن شخصية الممدوح بشخص النبي وإنما من أجل التأسي والاعتبار فقد قال الله تعالى "لقد كان لكم في رسول الله إسوةٌ حسنة" ورسول الله النموذج للبطولة الكاملة التي لا تكاد توجد في غيره من بني البشر.

وعندما يُشيد الشاعرُ بخلائق ممدوحيه وطيبِ فِعالهِم، وتربُعِهِم بهذهِ الصفات في أعلى مراتب العُلى والمجد، ولكي يُبَيْنَ الشَّاعرُ هذهِ الخلائق وظهورها وتمكُنها في قلوبِ النّاس. استحضَرَ شخصيتين متناقضتين من التاريخ العربي، باقِل[١] الذي عُرِف بعجزه عن النطق، فإذا أراد مدحَها ينطلقُ لسانه فيصِفُ أصعبها، فكيف سائرها، وسحبان وائل[٢] الذي أُشْتُهِرَ بفصاحته، فإذا حاولَ ذمَّ أخلاقكم لم يدر كيفَ يذُمُّها؛ لأنّه لا يجِدُ عيباً فيها، فيقول: من الكامل[٣]

جَـازُوا خَلائـقَ قـد تيقنـت العُلـى   كـــلَّ التَّـــيقنِ أنَّهُـــنَّ نجومُهـــا
لَـــو أنَّ بـــاقِلاً المُفَهَّـــهِ يَنْبَـــري   فـي مَـدْحِهَا سَـهُلَتْ عليـهِ حُزُوْمُهَـا
ولـــو أنَّ سَـــحْبَانَ المُفَـــوَّهَ ينْتَحـــي   فــي ذَمِّهــا لــمْ يَــدْرِ كيـفَ يَـذِيمُها

---

(١) باقل من قيس بن ثعلبة، يُضرب به المثل في العيّ. أنظر: موقع الوراق، كتاب (التّعريف بالأنساب و التنويه بذوي الأحساب.

(٢) سحبان بن زفر بن إياس، يُضرب بفصاحته المثل، فيُقال: أفصَحُ من سحبان وائل. انظر: البداية و النهاية، الجزء الثامن.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام،، مدح عبد الحميد بن غالب، و الفضل بن محمد بن منصور، و إبراهيم بن وَهب الكاتب، ج٢، ١٣٩.

وقد أبدع الشاعر في اختيار ألفاظه نحو (تيقنت) فهي دالة على أن ممدوحيه أصحاب مكانة عالية، وكذلك في اختياره للفظة (ينبري) فهي دالة على أن مدحهم ظاهر للعيان وهو ميدان يتسابق إليه المادحون فهم أصحاب منزلة ومكانة عالية، وكذلك اختياره للفظة (ينتحي) فهي دالة على التواري وعدم قدرة الذامين على إخفاء مآثر الممدوحين.

وأيضاً عندما يُبرز الشاعر كَرِمَ ممدوحه، وما لهذا الكرم من أثر في سعد وتبديل حياته لما ناله من كرم ممدوحه، نجده يستحضرُ شخصية عيسى عليه السَّلام، وما كان لديه من مُعجزة إعادة الرُّوح إلى الجسد بعدَ موته[١]، فشدة الكرب وفداحة الخطب اللذان ألما بالشاعر جعلاه في حكم الميت فهو يحتاج من يحييه بالعطاء لذا كان الممدوح محيياً لموتى الخطوب بكرمه كما كان عيسى يحيي الموتى، فيقول: من البسيط[٢]

كَمْ دَعْوَةٍ لي إذا مَكْرُوهَةٌ نَزَلَتْ ... واسْتَفْحَلَ الخَطْبُ يا عَيَّاشُ يا عِيْسَى

وكذلك يستحضر الشّاعر شخصية لقمان الحكيم[٣] لممدوحه الذي اشتُهِر بحكمته، التي يُظهِرُها في الأوقات الصعبة، فالممدوح في مجالس قومه ومشاهدهم ينطق بالحكمة كأن لقمان الحكيم ماثل فيهم، وقد قال الشاعر: (رأيت نظير لقمان) ولم يقل (سمعت) وذلك لما يتحقق في الرؤية من اليقين بخلاف سمعت؛ لذا فالشاعر يؤكد على أن ممدوحه ماثل في قومه مثول لقمان الحكيم، فيقول: من الوافر[٤]

فإن شَهِدَ المَقَامَةَ يَوْمَ فَصْلٍ ... رأيْتَ نَظِيرَ لُقْمَانِ الحَكِيمِ

(١) انظر: سورة آل عمران آية ٤٩.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح عَيَّاش بن لَهِيعَة الحضْرَميّ، ج١، ٣٦٥..

(٣) لُقمان بن عاد بن ملطاط من بني وائل من حمير، معمر جاهلي قديم من ملوك "حمير" في اليمن. يُلقّب بالرائش الأكبر، زعم أصحاب الأساطير أنّه عاش عُمر سبعة نُسُور. (الأعلام ٥/ ٢٤٣)

(٤) انظر: ديوان أبي تمام،، في مدح أحمد بن عبد الكريم الطائي، ج٢، ٧٩.

٢- الأحداث والقصص التاريخية:

تمثل الأحداث والقصص التاريخية مادة خصبة يستقي منها الشعراء صورهم وأفكارهم ويصلون من خلالها ماضيهم بحاضرهم ويبرزون الأصالة في أدبهم والاعتزاز بتراثهم وأيام العرب ووقائعهم وقصصهم وثيقة الصلة بنفس كل شاعر فعلى صداها نُظمت أعظم القصائد وأجملها سواءً في العصر الجاهلي أو الإسلامي، لذا فالشاعر عندما يستحضر مثل هذه القصص والأحداث في قصيدتهِ ويضعها بإزاء مستجدات الأحداث في عصره فهو يصل بطولة الماضي بالحاضر ويُحرك في وجداننا سائر معاني البطولة وصورها في النفس والتي ترسخت بفضل هذه القصص والأحداث التاريخية في نفس كل عربي، لذا سرعان ما تستجيب لها النفس ويهتز لها الوجدان ولقد استعان العديد من الشعراء العرب في العصر القديم والعصر الحديث، بالوقائع والأيام التي حدثت للعرب في العصور السابقة لهم، وكانت لهذه الأحداث بصمات واضحة في مجرى التاريخ، وغدت متداولة بين الناس، فهذا أبو تمام يستحضر تلك الوقائع والأيام التي كان لها أثر في مجرى التاريخ مثل (صبيحة خازر ووفيف الريح وأيام الكلاب) [١] في رسم صورة ممدوحه إسحاق بن إبراهيم وإظهار بطولته وشجاعته في حربه ضد المحمرة[٢] بالانتصار عليهم، وإبراز هذهِ الوقعة، وأنّها أربت على وقْعات من كان قبله، وأنست حروب الملوك المتقدمة؛ لما لها من أثر في حماية الدِّين والدولة الإسلامية، فيقول: من الوافر[٣].

مَحَـوْتَ بِهـا وقَـائعَ مِـنْ مُلـوكٍ وكُـنَّ وقـد مَـلأتَ الخـافِقَيْنِ

---

(١) صبيحة خازر: وقعة إبراهيم بن الأشتر والمختار الثقفي والحُصين بن نُمير، فَقُتِلَ عبيد الله والحُصين. وفيف الرِّيح: اسم موضع جرت فيه حرباً قديمة بين معد واليمن. أيام الكلاب: هذه الأيام من حرب البسوس.

(٢) المحمرَّة: من أتباع البابكية، سُمُّوا بذلك لصبغهم ثيابهم بالأحمر أيام بابك(موقع الدُّرر السَّنية، dorar.net/article/436

(٣) انظر: ديوان أبي تمام،، في مدح إسحاق بن إبراهيم ج٢، ص١٥٢.

صَـبيْحَةَ خَـازِرٍ أنْسـتْ ومَهْـوَى عُبَيْـدِ اللهِ فِيْهـا والحُصَـيْنِ

وفِيْـفَ الـرِّيحِ إذْ دَلَفَـتْ مَعَـدٌّ بِأجْمَعِهـا وأُسْـرَةُ ذِي رُعَـيْنِ

ويستحضِرُ الشاعر أهمية انتصار المُسلمين على المشركين في غزوتي بَدْرٍ وحُنين، وما حقّقَتْهُ هذه الانتصارات من عِزَّةٍ للمسلمين وذِلَّةٍ للكافرين، لعِظَمِ ما حَقّقَهُ ممدوحه من انتصار على المُحْمَرَّة، وإزالة الفتنة التي تُكَدِّرُ منبَعَهُ الصافي، فيقول: من الوافر [١]

ولكـنْ أذكَرَتْنـا يـومَ بَـدْرٍ ومُشْـتَجَرَ الأسِـنَّةِ فـي حُنَـيْنِ

وعاطفة الشاعر الدينية تبدو بارزةً هنا مع عاطفته القومية فصبيحة خازر ووفيف الريح ويوم الكلاب وغيرها من أيام العرب تبدو ماثلة بخيال الشاعر يستحضرها مع حرب قائده إسحاق بن إبراهيم على المحمرة والذي يبدو للشاعر أن وقائع القائد مع هؤلاء قد أنسته هذه الأيام على عظمها وأهميتها وذلك لأن عاطفة الشاعر الدينية تبدو أقوى حين يذكر المعارك الإسلامية كـ(بدر وحنين)، ولعلنا نثبت قوة عاطفته الدينية في قوله عن أيام العرب (محوت بها..) ولكنه مع معارك المسلمين ووقائعهم يقول (ولكن أذكرتنا..) وهذه المقابلة بين الموقفين لها أثرها في تمكن العاطفة الدينية عند أبي تمام.

وكذلك يستحضر أبو تمام المثل المرتبط بأحداث العرب وقصصها وأيامها لرسم صورة البطل، ومن ذلك قولهم" آخر البَزِّ كان على القَعُود"[٢]، إشارة إلى فساد

(١) رقم القصيدة، في مدح إسحاق بن إبراهيم،ج٢، ص١٥٦.

(٢) هذا المثل في حرب البسوس، كان رجلٌ قد أخرج بنيه يتصيدون فلقيهم أعداؤهم فقتلوهم ووضعوا رؤوسَهم في أوعية الصّيد على قُعود كان لهُم و وجّهوه بينهم فظنّ أنّهُ موقِر صَيْد فلمّا فَتَحَ الأوعية نظرَ إلى رؤوسِ بنيه فقال: خيار البز جاء على القعود، فذهبت مثلاً في كل هالك. شرح الأعلم الشّنتمري لديوان أبي تمام،٤٥٢/١.

أحوال بابك وجنوده، وانتهاء أمرهم على يد ممدوحه أبي سعيد الثّغري، فيقول: من الوافر [١]

وهِرْجَامــاً بَطَشْــتَ بِــهِ فَقَلْنــا   خِيَـارُ البَـزِّ كـانَ علـى القَعُـودِ

والمثل بذلك يعكس قوة الصّدمة وشدة التنكيل.

وكذلك يستحضر الشاعر القصص الديني كقصة موسى عندما أراد أمراً بسيطاً فأصبح نبياً لبنى إسرائيل[٢]، إشارة إلى ممدوحه الذي أراد أمراً هيناً من الخليفة المُعتصم، فأصبح ذا منزلة عظيمة عنده، فيقول: من المُنسَرِح[٣]

كـــأني قَـــدْ رأيْـــتُ زُلْفَتَـــهُ   عِنْـــدَ إمـــامٍ بِقُرْبِـــهِ أَنِـــسِ

تُبْنَـــى المعَـــالي فـــي ظِلِّـــهِ ولَـــهُ   حَـظٌ مِـن المُلْـكِ غَيْـرُ مُخْـتَلَسِ

فإنَّ موسى وصَلَّى على روحِهِ الرَّبُّ   صـــــلاةً كثيـــــرةَ القُـــــدُسِ

صَـــارَ نَبِيّـــاً وعُظْـــمُ بُغْيَتِـــهِ   فـــي جـــذْوةٍ للصِّـــلاءِ أو قـــبَسِ

ومنها أيضاً المثل القائل "هذا من صَرِّي"[٤] استحضره الشَّاعر لقوة إصرار ممدوحه على النيل من عدوّه بابك الخُرميّ، فيقول: من الكامل[٥]

تَخِـذَ الفـرارَ أخَـاً وأيْقَـنَ أنَّـهُ   صِـرِّيٌّ عَـزْمٍ مِـنْ أبـي سَـمَّالِ

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام،، في مدح محمد بن سعيد الثّغري،ج١، ٢٥٥.

(٢) انظُر: سورة طه ، من آية(٨ – ١٣)

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح مالك بن طوق ج١، ص٣٥٧.

(٤) (يُضرب مثلاً للرجل يَصْدُقُ عزمه على الشيء، فلا ينثني عنه حتى يناله ، و أصله ما أخبرني أبو أحمد ، عن نفطويه ، عن أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي قال: كان أبو سمَّال الأسدي متهماً في دينه ، فضلت ناقته . فحلف لا يصلي أو يردها الله ، فأصابها وقد علق زمامها بشجرة ، فقال: علم الله أنَّها صري ، يقول أصررت على يميني فردها. قال الشيخ أبو هلال رحمه الله: فضُرب به المثل .انظر: جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري،١/١٣٥)

(٥) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح المعتصم، ج٢، ٦٤.

فالشاعر يؤكد على شدة إصرار الممدوح على اللحاق بعدوه وموافقة المشيئة الإلهية له لشدة يقينه ويضرب لذلك يمين أبي سمَّال وما كان من أمره.

٣ – الشخصيات المقتبسة من عالم الحيوان:

العربي هو ابن الصحراء عاش على أرضها، وتنقل في مسالكها ووديانها، واستأنس ببعض حيواناتها، واستخدمها بناءً على صفاتها، فعندما رأى أنّ الخيل تتصف بالسرعة وظَّفها للحرب والغزو، عندما رأى في الناقة التَّحمُّل والصَّبر وظَّفها للتنقل والسفر، وعندما أحسن للكلب ورأى منه الوفاء استخدمه للحراسة، وعندما نظر للذئب وتابع سلوكه وجد فيه المكر والدَّهاء، والأسد هيبته وقوته وإقدامه والجمل حقده وانتقامه... وهكذا، حُوِّلت هذه الحيوانات إلى رموز في مخيلة الثقافة العربية يستمدُّ منها المعاني التي اشتهرت بها.

ولقد وظَّف أبو تمام في شعره صورة الأسد التي ارتبطت في المخيلة العربية بالإقدام والشّجاعة؛ ليُظهر لنا ممدوحه أبا سعيد الثغري بطلاً في الحرب، وقائداً مقداماً لا يرحمُ عدوّاً، ولاتقف في طريقه الصعوبات، فيقول: من الطويل(١)

وما الأسَدُ الضِّرْغَامُ يوماً بِعاكِسٍ　　　صَرِيْمَتَهُ إنْ أنَّ أو بصْبَصَ الكَلْبُ

وأيضاً وظَّفَ أبو تمام صورة الأسد وما عُرِفَ عنه من سيادته لجنسه؛ لما اتَّصفَ به من الشَّجاعة والإقدام، والهيبة؛ ليُبَيِّن منزلة ممدوحه مالك بن طوق، وأنَّهُ سيِّد قبيلته ورئيسُها، فيقول: من الكامل(٢)

طَلَبتْ فَتَى جُشَمِ بن بَكْرٍ مالِكاً　　　ضِرْغَامَهَا وهِزَبْرَها الدِّلْهَاثَا(٣)

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح خالد بن يزيد الشيباني، ج١، ١٠٨.

(٢) انظر: نفسه ، في مدح مالك بن طوْق، ص١٦٩.

(٣) الدِّلْهَاث: الأسد السريع، فهو يشبه ممدوحه بالأسد السريع.

وأيضاً استحضر أبو تمام صورة الأسد الشكلية وما هي عليه من الضخامة، والرهبة؛ ليُبين أنَّ ممدوحه القائد أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي أهيب من الأسد، وأهول منظراً، فيقول: من البسيط(١)

لـو عَـاينَ الأسـدُ الضِّـرغامُ رُؤيَتَـهُ ... مـا لـيمَ أن ظَـنَّ رُعْبـاً أنَّـهُ الأسَـدُ

كذلك يستحضر أبو تمام الأسدَ قاصداً الهيبة التي ارتبطت به وبِالمكان الذي يصول ويزأر فيه، وذلك بسبب إقدامه وشجاعته، لممدوحه أبي سعيد الثغري، الذي أصبح الثغر غريفأ له بسبب وجوده فيه، فيقول: من الكامل(٢)

وَعَــزَزْتُ بالسَّــبُعِ الــذي بِزَئيــرِه ... أمْسَتْ وأصْبَحَت الثُّغُورُ غَرِيْفا(٣)

فالثغور أصبحت غريفا أي مربعا لأبي سعيد الثغري يصول فيه كما يصول الأسد في الغريف.

كذلك يستحضر صورة الأسد وهو ملقٍ ذراعيه بالوصيد أمام عرينه، حامي على ما وراءه من أولاده، لممدوحه أبي سعيد الثغري وهو يحمي جيشه، فيقول: من الوافر(٤)

الوافر(٤)

رَأوا ليْــثَ الغَرِيفــةِ وهــو مُلْــقٍ ... ذِرَاعَيْــــهِ جَمِيْعـــــاً بالوَصِــــيدِ

عَلِيْمــاً أنْ سَــيرْفُلُ فــي المَعَــالي ... إذا مــا بــاتَ يَرْفُـلُ فـي الحديـدِ

(١) انظر: ديوان أبي تمام ، في مدح أبي سعيد الثّغري ج١، ص٢٤٢.

(٢) انظر: نفسه، في مدح أبي سعيد الثّغري، ص ٤٢٨.

(٣) الغريف: الشجر الكثيف الملتف.

(٤) انظر: نفسه، رقم القصيدة، في مدح أبي سعيد الثّغري، ج١، ص٢٥٤.

فالممدوح رابض بوصيد البلاد أي مداخلها من جهة الثغور فكأنها مملكته التي لايبرحها وهو يوقن أنّ ثياب المعالي التي يرفل فيها الأبطال هي ليست من حرير بل هي من سيوف ودروع.

ويستحضر أبو تمام حيواناً ارتبط في مخيلة العرب بالمكر والدَّهاء، إنّه (السِّمْع) ولد الذئب وهو من أمكر السِّباع وأدهاها خبثاً، وتنفيذاً لعزمه،و ذلك إشارة لممدوحه القائد أبي سعيد الثَّغري، فيقول: من الطويل[1]

رَبيــبُ مُلُــوكٍ أرْضَــعَتْهُ ثُــدِيَّها وسِــمْعٌ تَرَبَّتْــه الرِّجــالُ الصَّــعالِكُ

وعندما أراد أبو تمام أن يُبينَ أثر قوة ممدوحه (المعتصم) وانتصاره على جيش الروم أتى بصورة من جيش العدو، فاستحضر لصورة هرب قائد الروم (توفلس) من أرض المعركة، سرعته وتخبطه أثناء فراره بصورة (الظليم) ذكر النعام تحديداً، وهو الذي تَصِفُهُ العرب بالنِّفار والسرعة والحمق، والتخبط أثناء فراره، فيقول: من البسيط[2]

مُــوكَّلاً بفيــاعِ الأرضِ يُشْــرِفُهُ مِنْ خِفَّةِ الخوفِ لا مِنْ خِفّةِ الطَّرَبِ

إنْ يَعْدُ مِن حَرِّها عَدْوَ الظَّليمِ، فقدْ أَوْسَعْتَ جاحِمَها من كَثْرَةِ الحَطَّبِ

وأيضاً يستحضر أبو تمام صورة (القشعم) وهو المسن من النسور؛ ليصور ممدوحه أبا سعيد بأنّه صاحبُ تجربةٍ ودراية بالأمور، فيقول: من الخفيف[3]

وأرادُوكَ بالبَيَــاتِ ومَــنْ هــ ذا يُــرادِي مُتالِعــاً وعَسِــيبا

فَــرَأَوْا قَشْــعَمَ السِّيَاسَــةِ قَــد ثَقَّــ فَ مِــنْ جُنْــدِهِ القَنــا والقُلُوبــا

فهذه الصورة تعكس طول خبرة ومراس الممدوح بالسياسة والأمور.

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح أبي سعيد الثّغري،ج١، ٤٦٨.

(٢) انظر: نفسه، في مدح المعتصم، ص ٤٦.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح أبي سعيد الثَّغري ص٩٧.

ويستحضر أبو تمام صورة الصقور وما تَتَّصفُ به من مهارة وسرعة في صيدها لفرائسها، لفرسان ممدوحه وما يتميزون به من سرعة وشجاعة في صيدهم للأبطال، يقول: من الكامل(١)

مِثْــلُ الصُّــقُورِ إذا لَقِــيْنَ بُغَاثــا   بالخَيْــلِ فَــوْقَ مُتُــونهِنَّ فَــوَّارسٌ

وهو بذلك يجعل من صورة أعدائه بُغاثاً ضعيفاً يسهل صيده والتغلب عليه من قبل هؤلاء الفوارس.

ويستحضر أبو تمام (الأفْعوان) وهو ذكر الحية؛ لما يتميز به من الشِّدَّة والتَّرَبُّصِ مع السرعة في إصابة الهدف، والمنظر الذي تقشعر له الأبدان وترتعد له الفرائص إذا البصر وقع على رؤيته، لممدوحه أبي المغيث الرافقي الذي يتصف بالهيبة والشِّدَّة على المخالفين أمره، فيقول(٢):

يَعيــثُ فــي مُهْجَــةِ العَيُــوثِ   وَحيَّـــــةً أفْعُـــــوانَ لِصْـــــبٍ
وَقْفــاً علــى سَــمِّهِ النَّفِيــثِ   تَغْـــدُو المَنايـــا مُسَـــخَّراتٍ

والصورة تعكس هيبة الممدوح وسطوته وبثه الرعب في نفوس المخالفين.

---

(١) انظر: نفسه، في مدح مالك بن طوق، ص١٧١.

(٢) انظر: نفسه، في مدح أبي المُغيث موسى بن إبراهيم الرَّافقي، ص١٧٦.

ويستحضر أيضاً أبو تمام (الحية) لارتباطها في المخيلة العربية بالفتك، والرعب في الأماكن التي تعيش فيها، إضافة لشكلها المخيف ووقعها السيئ إذا أبصرها الإنسان، لممدوحه أبي عبد الله أحمد بن أبي دُؤاد[١] الذي عُرف بالمكر والدَّهاء، فيقول: من الخفيف[٢]

حَمَلَ العِبْءَ كاهِلٌ لَكَ أَمْسَى   لِخُطُوبِ الزَّمَانِ بالمرصَادِ
عاتِقٌ مُعْتَقٌ مِنَ الهُونِ إلاَّ   مِنْ مُقاساة مَغْرَمٍ أو نجادِ
للحَمَالات والحمائل فيه   كَلُحُوبِ المَوارِدِ الأعْدَادِ
مُلِّئْتَكَ الأحْسابُ أيُّ حياءٍ   وحَيا أزْمةٍ وحَيَّةِ وَادِ!

ويستحضر أبو تمام صورة (الجمل) وما يتصف به من معاني الصبر والتَّحمُّل، وإرادة الانتقام، لصبر ممدوحه (مالك بن طويق) على قو مه وتحمُّلُهُ لهم، ولَانتقامه إذا ركنوا للبغي عليه، فيقول: من البسيط[٣]

لا تَجْعَلُوا البَغْيَ ظَهْراً إنَّهُ جَمَلٌ   مِنَ القطِيْعَةِ يَرْعَى وادِيَ النِّقَمِ

فالشاعر يؤكد على أن طول صبر ممدوحه على أعدائه لا يعني تجاهلهم فصبره ما هو إلا بوادر انتقامه التي توشك أن تتفجّر.

---

(١) هو أحمد بن أبي دُواد، ولد بالبصرة سنة ١٦٠هـ، كان معروفاً بالمروءة و العصبية، و له مع المعتصم في ذلك أخبا ر مأثورة نشأ في طلب العلم و خاصةً الفقه و الكلام حتّى بلغ ما بلغ، و كان من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال، قرَّبه المعتصم و جعله قاضي القُضاة في خلافته، و لمّا مات المعتصم، و تولّى بعده الواثق بالله حسُنت حال ابن أبي دواد عنده و لمّا توفي و تولى المتوكل فُلج ابن أبي دؤاود في أول خلافته، توفي سنة (٢٤٠ هـ) ببغداد مدحه جماعة من الشُّعراء، و منهم أبو تمام (وفيات الأعيان ١/ ص ٨١،٩١)

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح أبي عبد الله أحمد بن أبي دُؤاد ج١، ١٩٤.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام،، في مدح مالك بن طوق التغلبي، ج٢، ص٩٤.

وكذلك يستحضر صورة (الجمل) في جمعه لضروب السير، لممدوحه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات الذي يجمع شتّى المواهب، فيقول: من البسيط[١]

وزيرُ حَقٍ ووالي شُرْطةٍ ورحَا   دِيوان مُلْكٍ وشِيْعِيٌّ ومُحْتَسِب

كالأرْحَبِيِّ[٢] المَذَكِّي سَيْرُه المَرَطى[٣]   والوَخْدُ والمَلْعُ والتَّقْرِيبُ الخَبَبُ[٤]

فالممدوح يجيد شتى هذه المواهب كما يجيد الجمل سائر ضروب السير.

٤- نماذج من الطبيعة:

تمثل الطبيعة بشتى مظاهرها صورة للقوة والبأس التي كثيراً ما يستمد الإنسان منها مظاهر القوة والفتوة. فالطبيعة تمثل نموذجاً متكاملاً للبطولة فهطول الأمطار واشتداد السموم وطغيان البحار وتدفق الأنهار ووعورة الجبال كل هذا أو غيره يعد مظهراً بطولياً تبدو الطبيعة من خلاله ملهماً للأبطال يُحاكونها في سائر مظاهر بطولتها ولقد كان أبو تمام ذا أسفارٍ متلاحقة، وبسبب هذه الأسفار كثُرَت مشاهداته للطبيعة وظواهرها المحسوسة، وأعجب بها حتى أنه استعاض بها لمقدمة قصائده كما بينا فيما سبق، فكانت ذا أثرٍ بالغ في تشكيل صوره الفنية.

فأبو تمام حين يُعبرعن كرم وشجاعة ممدوحيه يستوحي صورة "الماء" في حالاته المختلفة من (غيث ومطر وسيل وبحر) إذ وظَّفَه في غير موضِعٍ للتّعْبير عن جود ممدوحه وكرمه وسخائه، وغزارة علمه، وشجاعته الفائقة.

---

(١) انظر: نفسه، ديوان أبي تمام، في مدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، ج١، ص١٣٥.

(٢) الأرحبي جمل منسوب إلى أرحب حي من اليمن.

(٣) (المرطى): ضرب من العدو سهل، و قلّما يُستَعْمَل في الأبل.

(٤) (التقريب): ضرب من السير قَلَّما يُستعمل مع الأبل. و(الوخد و المَلْع و الخبب):ضرب من سير الإبل.

فأبو تمام يستحضر أبرز معنى من معاني (البحر) وهو اتساعه وعدم نضوبه، وتكرار عطائه؛ لكثرة ما فيه من الخيرات، لكرم الخليفة المعتصم، وكثرة إعطائه، وعدم نضوب ما عنده، فيقول: من الطويل(١)

هُوَ البحرُ مِنْ أيِّ النَّواحي أتيْتَهُ ... فَلُجَّتُه المَعْروفُ والجُودُ ساحِلُهْ

وكذلك وظَّفَ أبو تمام "البحر" على غير ما اعتاده الشُّعراء من مدح ممدوحيهم بالكرم، فاستحضر البحر في صفة من صفاته وهي السرعة المدمرة لكل ما يُقابل أمواجه الهادرة، لسرعة انتصار ممدوحه الخليفة المعتصم وجيشه على ملك الروم وهذا استلهام لشتى حالات الطبيعة وصورها، فيقول: من البسيط(٢)

لَمَّا رأى الحَرْبَ رأي العينِ تُوفَلِسٌ ... والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنى مِنَ الحَرَبِ

غَدَا يُصَرِّفُ بالأموالِ جِرْيَتَها ... فَعَزَّهُ البَحْرُ ذو التيارِ والحَدَبِ(٣)

ويُكثِرُ أبو تمام من استحضار المعنى السابق" للبحر" لقائد الجيش، كما في مدحه لأبي سعيد الثَّغري، فيقول: من الكامل(٤)

وَاسْتَيْقَنُوا إذْ جاشَ بَحْرُكَ وارْتَقَى ... ذَاكَ الزَّئيرُ وَعَزّ ذاكَ الزَّارُ

ويستحضر أيضاً أبو تمام صورة (العُباب) وهو موج البحر أثناء ارتفاعه إلى السَّماء، لممدوحه أبي العباس عبد الله بن طاهر(٥) الذي سما للعلى بشجاعته و كرمه كرمه فيقول: من الطويل(٦)

سَمَا لِلعُلى مِنْ جَانبيْها كِلَيْهما ... سُمُوَّ عُبَابِ الماءِ جَاشَتْ غَواربهْ

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح المعتصم بالله، ج٢، ص١٥.

(٢) انظر: نفسه، في مدح المعتصم بالله، ج١، ص٤٤.

(٣) الحَدَب:الأمواج

(٤) انظر: نفسه، في مدح أبي سعيد الثَّغري، ج١، ص٣٢٢.

(٥) انظر: ترجمته في صورة البطل والياً.

(٦) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح أبي العباس عبد الله بن طاهر، ج١، ١٢٥.

وفي صورة أخرى يستحضر الشاعر البحر وما فيه من الخيرات الكثيرة وجعلها توازي ما عند ممدوحه من الخيرات التي يبذلها للناس، فيقول: من الوافر[١]

يَمِـــينُ مُحمَّـــدٍ بَحْـــرٌ خِضَـــمٌّ   طَمُـوحُ المَـوْجِ، مَجْنُـونُ العُبَـابِ

ويستحضر أبو تمام صورة (السَّيْل) وما فيه من الشِّدَّةِ والعُنْفِ في أثناء اندفاعه، وتحطيم كل ما يواجهه، وأنّ الخير في مسايرته وتتبع أثره، لممدوحه أبي سعيد الثَّغري الذي يتصف بالشِّدَّة والعُنف لمن ناوأهُ، وتحصيل الخير لمن تبعه وانقاد له، وهذا المعني يتكرر في شعر أبي تمام، فيقول: من الطويل[٢]

هُوَ السَّيْلُ إنْ واجَهْتَهُ انْقَدتَ طَوْعَهُ   وتَقْتَـــادُهُ مِـــنْ جَانبيـــهِ فَيَتْبَـــعُ

وكذلك يستحضر صورة خيالية أخرى لـ (السَّيْل) في قوَّة اندفاعه أثناء سيلانه من التِّلاع العالية، ومروره الصاخب بالأماكن الضَّيقة، وذلك لبيان قوة ومضاء عزم ممدوحه (مهدي بن أصرم)، فيقول: من الوافر[٣]

لَعَزْمُـكَ مِثْـلُ عَـزْمِ السَّـيْلِ شُـدَّتْ   قُـــوَاهُ بالمـــذَانبِ والـــتِّلاعِ

كذلك يستحضر أبو تمام صورة اندفاع (السَّيْل) من الأماكن المرتفعة وعدم استقراره عليها، لكرم ممدوحه الحسن بن رجاء[٤] وعدم استقرار المال في يديه، فيقول: من الكامل[٥]

لا تُنْكِري عَطَلَ الكَريمِ مِنَ الغِنى   فالسَّـيْلُ حَـرْبٌ للمكـانِ العـالي

---

(١) انظر: نفسه، في مدح محمد بن الهيثم بن شُبانة، ص١٥٣.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح أبي سعيد الثّغري، ج١، ٤٠٠.

(٣) انظر: نفسه، في مدح القائد مهدي بن أصرم، ٤٠٨.

(٤) سبق ترجمته في صورة البطل كاتباً.

(٥) انظر: ديوان أبي تمام،، في مدح الحسن بن رجاء، ج٢، ص٣٨.

أيضاً يستحضر أبو تمام صورة (الغمام) المثقل بالماء البطيء في سيرهِ، الذي ينشر الخير بغزارة مطره، ليجعله مُعادلاً موضوعياً للمال والهبات الجزلة التي ممدوحه دائماً هو مُعطٍ لها، فيقول: من الطويل(١)

دَلُوحَـــانِ تَفْتَــرُّ المكــارمُ عَنْهُمـــا كما الغيثُ مُفْترٌّ عَنِ البَرْقِ والرعْدِ

ويستحضر أبو تمام (السحاب) لما ارتبط بقدومه في المُخيِّلة العربية من الخير والخصب والغنى، لممدوحه الحسن بن وهب(٢) الذي يستقبل العُفاة متهللاً وجهه بالبشر والإحسان، فيقول: من الكامل(٣)

يَسْــتَنزِلُ الأمَــلَ البَعِيــدَ بِبِشْــرِهِ بِشْــرَ الْخَمِيْلَــةِ بِــالرَّبيعِ المُغْــدِقِ
وَكَـذا السَّـحائبُ قَلَّمـا تَـدْعُو إلــى مَعْرُوفِهــا الــرُّوَّادَ إنْ لــمْ تَبْــرُقِ

فإذا استحضر أبو تمام (الغيث) على ما ارتبط في المُخيِّلة العربية من الخير والخصب والغنى، فإنه يستحضر (الغيث) على حقيقة حالاته، وأنّ خيره ليس متواصلاً، لممدوحه محمد بن الهيثم بن شُبانة الذي فاق الغيث في كثرة إعطائه، واستمرار مواهبه في كلِّ دهرِهِ، فيقول: من الكامل(٤)

غَيْـثٌ حَـوى كَـرَمَ الطَّبـائعِ دَهـرَهُ والغَيْـــثُ يَكْـــرُمُ مَـــرَّةً ويَلُـــومُ

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام،، في مدح أبي المغيث الرَّافقي، ج١،٢٨٩.
(٢)
(٣) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح الحسن بن وهب ج١، ص٤٤٧.
(٤) انظر: ديوان أبي تمام في مدح محمد بن الهيثم بن شُبانة، ج٢، ١٤٧.

وإذا استحضر أبو تمام (الغيث)، فإنّهُ هُنا يستحضر (البرق) فيما يتصف به من سرعة مع قوة شديدة لضوئه، لشجاعة ممدوحه (أبي دُلف)، وسرعته الفائقة في جندلة خصومه في المعارك، فيقول: من البسيط[١]

بَرْقٌ، إذا بَرْقُ غَيْثٍ بَاتَ مُخْتَطِفاً   لِلطَّرْفِ أصْبَحَ للأعْناقِ مُخْتطِفَا

ويُلاحظ أنّ استحضار أبي تمام للماء في صوره وحالاته المختلفة (السَّيْل المطر البحر السّحاب) غالباً ما تدور حول فكرة الكرم والشَّجاعة.

واستحضر أبو تمام (الشمس القمر الشهب وكواكب أخرى ارتبطت كثيراً بالمخيلة العربية في أثناء السفر ليلاً وأفول القمر، ومن هذه الكواكب: الشِّعْرَيَيْنِ والفرقدين)

فاستحضر صورة (الشمس) وما فيها من معاني الوضوح والبروز، والخير العميم، لبروز ممدوحه للعفاة والإحسان إليهم، وعدم التواري منهم، فيقول: من البسيط[٢]

لا شَمْسُهُ جَمْرةٌ تُشْوَى الوُجُوهُ بِها   يَوْماً ولا ظِلُّهُ عَنَّا بِمُنْتَقِلِ

وكذلك يستحضر أبو تمام (الشَّمس وما ارتبطت به من بزوغ نورها وامتداده من تسميات أُشتُهِرت بها في المخيلة العربية كالصباح والضُّحى، لوضوح نسب ممدوحه وشُهرته، فيقول: من الكامل[٣]

نَسَبٌ كأنَّ عليْهِ مِنْ شَمْسِ الضَّحَى   نُوراً ومِنْ فَلَقِ الصَّباحِ عَمُودا

فنسب الممدوح ظاهر كشمس الضحى وهو نسب لا يعتريه نقص.

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح أبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلي، ج١، ص٤٢٤.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح أبي سعيد الثّغريج، ج٢، ص٤٥.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح خالد بن يزيد الشيباني،ج١، ص٢٢٠.

ويوظّفَ الشاعر صورة (البدر) وما فيه من كمال وجمال، ومحبة الناس له، وفرحهم بقدومه، لشُهرة الخليفة وحسن سيرته عند الناس، وفرحهم بخلافته، فيقول: من الكامل(١)

مَا أحْسِبُ القَمَرَ المُنيرَ إذا بَدَا بَدْرَاً بأضْوَأَ مِنْكَ في الأوْهَامِ

كذلك يستحضر أبو تمام صورة (الكواكب) وما فيها من معاني العلو والرفعة، وما ارتبطت به في المخيلة العربية من طوالع سعد وطوالع نحس، وذلك لعلو ورفعة الملوك، نافياً أن يكون في النجوم سعدٌ أو نحس، ولكن نجوم السعد والنحس والنفع والضر هم الملوك الذين يلُون أمورنا، فيُعطون من شاؤوا ويحرمون من أرادوا، فيقول(٢):

إنّ المُلُوكَ هُمُ كَواكِبُنا التي تَخْفَى وتَطْلُعُ أسْعُداً ونُحُوساً

أيضاً استحضر أبو تمام صورة (الكوكب) وما فيه من معاني العلو والشُّهرة والنفع، لعلو منزلة ممدوحه، وكثرة عطائه، فيقول: من الكامل(٣)

الكوكبُ الجُشَمِيُّ نَصْبَ عُيُونِكُمْ فاسْتَوْضِحُوا إيضاءَ ذَاكَ الكَوْكَبِ

واستحضر أبو تمام صورة (الشُّهب) وما فيها من معاني التوهج والوضوح والإصابة، لآراء الخليفة الثاقبة الصائبة التي تكشف كل ملمة، فيقول: من البسيط(٤)

يعْشُو إليكَ وضَوءُ الرأي قائدُهُ خَلِيفَةٌ إنّما آرَاؤهُ شُهُبُ

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح الواثق، ج٢، ص١٠٢.
(٢) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح أبي المغيث موسى بن إبراهيم،ج١، ص٣٧٠.
(٣) انظر: نفسه، في مدح عمر بن طويق، ج١، ٦٣.
(٤) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، ج١، ص١٣٧.

وكذلك يستحضر أبو تمام صورة رائعة لـ (الشُّهُب) التي يُرسِلُها الله لرجم الجن الذين يسترقون السمع، لكثرة ما يرجم جيش ممدوحه من (القَنا) على العدوِّ، فيقول: من البسيط[١]

وَلَّتْ شَيَاطِيْنُهُمْ عَنْ حَدِّ مَلْحَمَةٍ   كانَتْ نُجُومُ القَنَا فِيْها لَهُم رُجُما

يستحضرُ أبو تمام (الشِّعْرَيَيْنِ) وهما نجمان نيران ساطعان يهتدي بهما السالكون، لبروز سيادة ممدوحه وظهورها، ورجاحة عقله الذي يمنعه من الفساد والوقوع في المهالك، ويجعله منارة يهتدي بها الناس، فيقول: من الطويل[٢]

رَأيتَهما رَأيتَ الشِّعْرَيَيْنِ   ونورًا سُؤدُدٍ وحِجَاً إذا ما

وكذلك يستحضر أبو تمام (الفرقدين) وما فيهما من معنى العلو والرفعة، وطول طلوعِهما، وثبات موقعهما، لعلو مجد ممدوحه وبقاء هذا المجد وثباته رغم تعاقب الأيام، فيقول: من الطويل[٣]

ومَجْدٌ لَمْ يَدَعْهُ الجُودُ حتَّى   أَقَامَ مُنَاوِئاً لِلفَرْقَدَيْنِ

ويُلاحظ أنّ استحضارَ أبي تمام للكواكب، غالباً ما يكون لعلو منزلة الممدوح، واستنارة عقله، وصواب رأيه، ووضوح النَّسب.

---

(١) انظر: نفسه، في مدح إسحاق بن إبراهيم،ج٢، ص٨٤.

(٢) نفسه، ج٢،ص ١٥١.

(٣) نفسه، ج٢، ص١٥١.

ويستحضر أبو تمام صورة (الجبال والهضابَ لما لها من بروز ورفعة واتساع وصمود في الطبيعة، ولِمَا ارتبط به هذا الحيز الكبير لها في المُخيلة العربية من معاني شتى، كالثبات والوقار والهيبة والعظمة، لوقار وهيبة ممدوحه (خالد بن يزيد الشيباني) وقومه، فيقول(١):

وما كانَ بينَ الهَضْبِ فَرْقٌ وبينهمْ　　سِوى أنّهم زالوا ولم يَزُلِ الهَضْبُ

ويستحضر أبو تمام صورة (الجبل العظيم) وما فيه من معاني الثبات والثِّقَل والاتِّزان، لحِلم ممدوحه، الذي اتَّصَف بكمال عقله، وثبات قلبه، وثقل تجاربه، فيقول: من الكامل(٢)

لَكَ هَضْبَةُ الحِلْمِ التي لوْ وَازَنَتْ　　أجَأً إذاً ثَقُلَتْ وكانَ خَفِيْفَا

وكذلك يستحضر أبو تمام ثِقَل(الجبال) العظيمة، مثل رَضْوى ومَعْنِق وقَدْس ويَذْبُل، لعظم منزلة ممدوحه الوزير محمد بن عبد الملك الزّيات، فيقول: من الطويل(٣)

فَمَا هَضْبَتا رَضْوَى ولا رُكْنُ مُعْنِقٍ　　ولا الطَّوْدُ مِنْ قَدْسٍ ولا أنْفُ يَذْبُلا

بأثْقَلَ مِنْهُ وَطْأةً حينَ يَغْتَدِي　　فَيُلْقي وَرَاءَ المُلْكِ نَحْراً وكَلْكَلا

ويستحضر أبو تمام صورة (الجبل) وما فيه من معاني العلو والارتفاع، وصعوبة الصعود إليه، لعلو منزلة ممدوحه، وصعوبة وصول منافسيه إلى منزلة ممدوحه، فيقول: من الكامل(٤)

نَفَسُوكَ فَالْتَمَسُوا نَدَاكَ فَحاولُوا　　جَبَلاً يَزِلُّ صَفيحُهُ بالمَصْعَدِ

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح خالد بن يزيد الشيباني، ج١، ص ١٠٥.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، ج١، ص٤٣١.

(٣) انظر: نفسه، في مدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، ج٢، ص٤٩.

(٤) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح أبي سعيد الثَّغري، ج١، ص ٣٠٣.

كذلك يستحضر أبو تمام صورة (الجبل) وما يتصف به من العظمة والصلابة والعلو، وما ارتبط للجبل في المُخيلة العربية؛ بسبب تلك الصفات من المنعة والتَّحصُّن واللجوء، لممدوحه إسحاق بن ربعي، كاتب أبي دُلَف الذي لجأ الشاعر إليه وتحصَّن به؛ لعلو منزلتِهِ ولِمَا يتصف به من العلم والكرم، فيقول: من الكامل[١]

إنِّـــي أعُـــدُّكَ مَعْقِـــلاً مـــا مِثْلُـــهُ   كَهْــفٌ ولا جَبــلٌ مِــنَ الأجْبــالِ

ويستحضر أبو تمام كذلك صورة (الصَّخرة) وما تتصف به من الوعورة والصلابة، لعرض ممدوحه وإِنّهُ وعِزٌ صلب لا يُنال بمكروه، فيقول: من الطويل[٢]

لَــهُ خُلُــقٌ سَــهْلٌ ونَفــسٌ طِبَاعُهَــا   لَيَانٌ ولكِنْ عِرْضُـهُ مِن صَفاً صَلْدِ

ويتبين مما سبق أن أبا تمام عند ما استحضر (الجبل) لم يختلف عن الشُّعراء العرب السابقين له في العصر فاستحضر الحلم والوقار والقوة والعزّة والمنعة واللجوء، وعلو المنزلة وثقلها.

ويستحضر أبو تمام (الظل) وما فيه من معاني الحماية والراحة والخير، وكذلك (الشوك) وما فيه من معاني الضرر والأذى والتَّعَب والصلابة، وذلك لممدوحه يحيى بن عبد الله الذي يكنف الوفي ويكرمه ويحفظه ويُظله ويلحق بحاسديه الضرر والتعب والأذى والتنغيص لهم بما ناله من رفعة ومجد، فيقول من الكامل[٣]:

هُــوَ لِلــوَفِيّ العَهْــدِ ظِــلُّ أرَاكَــةٍ   ولِمُضْـمِرِ الشَّـنَآنِ شَـوْكُ عِضَــاهِ

وكذلك يستحضر (الظِّل) وما فيه من معاني الامتداد والبسط، لامتداد عدل ممدوحه محمد بن الهيثم بن شُبانة، وبسطه على إمارته.

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح إسحاق بن ربعي كاتب أبي دُلَف، ج٢، ص٣٢.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، في مدح نصر بن منصور بن بسّام، ج١، ٢٢٧.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح يحي بن عبد الله، ج٢، ص١٧٨.

ويستحضر أبو تمام (طيب المسك) الذي يُمثِّل طيب الرائحة وانتشارها، لِحُسنِ أخلاق ممدوحه محمد بن الهَيْثم بن شُبانَة وانتشارها بين الناس، فيقول: من الوافر(١)

وأخْـــلاقٌ كَـــأنَّ المِسْـــكَ فيْهَـــا بِصَــفو الــرَّاحِ والنُّطَــفِ العِــذَابِ

ويستحضر أبو تمام طيب (العود) لانتشار رائحته العبقة وطول بقائها، وشهرتها وتعلق الناس بها لشُهرة ممدوحه(٢) الذي انتشر ذكره وعلا مجده وحسنت فعاله وانشغل الناس بمآثره، فيقول: من الكامل(٣)

لـوْ فـاحَ عُـودٌ فـي النَّـديِّ وذِكْـرُهُ لَعَـلا بِطيْـبِ الـذِّكْرِ طِيـبَ العُـودِ

٥ – شخصيات ما ورائية:

يُقصد بالشخصيات الماورائية أو ما وراء الطبيعة هي الشخصيات التي تتعدّى حدود المشاهد، مثل الجن أو الملائكة، ونُلاحظ ندرة استحضار هذه الشخصيات عند أبي تمام، ولعلّ ذلك يرجِعُ إلى شخصيّة أبي تمام التي تُؤمن بالعقل والمنطق.

فأبو تمام يستَحْضِر صورة (الموت) في مثل قَوله "مُطِلٌّ على الآجال" الذي يسلب الحياة بقبضه للأرواح، للقوة الخارقة التي يتَّصِفُ بها ممدوحه أبو سعيد الثَّغري في سلب روح كل جبار ممتنع، فيقول: من الطويل(٤)

مُطِـلٌّ علـى الآجَـالِ حتَّـى كأنَّـهُ لِصَـرْفِ المَنَايـا فـي النُّفُوس مُشَـارِكُ
فَمـا تَتْـرُكُ الأيَّـامُ مَـنْ هُـوَ آخِـذٌ ولا تَأْخُـذُ الأيَّـامُ مَـنْ هُـوَ تَـارِكُ

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح محمد بن شُبانة،ج١، ص١٥٣.

(٢) محمد بن المستهل، أحد قادة الثُّغور، مدحه أبو تمام عندما سار إلى أبي طاهر يُريد مدحه، انظر: أبو تمام حياته وشعره،للبهبيتي.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في القائد محمد بن المُستهل، ج١، ص٣٠٥.

(٤) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح محمد بن سعيد الثّغري، ج١، ص٤٦٨.

ويسْتَحضرُ أبو تمام (الجِنَّ) في صورة شيطان، وهو ما عُرف عنه في المخيلة العربية من المكر والدَّهاء، وقد أظهرَ القُرآن هذا المكر والدَّهاء الذي اتّصَفَ به إبليس عندما أغوى إبليس آدم وأخرجه من الجنَّة، فوظَّف الشاعر هذا الدهاء والنفوذ لممدوحه أحمد بن عبد الكريم الطائي لتهييجه وتسعيره للحرب، فيقول[١]:

تُثَقَّــى الحَــرْبُ مِنْــهُ حــيْنَ تَغْلــى   مَرَاجِلُهـــــا بِشَــــيْطانٍ رَجـــــيمِ

٦ – الأسطورية والخُرافة:

للأسطورة أو الخرافة وقع خاص في النفس فهي تمثل الصورة اللامحدودة للبطولة وتجسد جانب الخوارق والمعجزات وتنسجها في ثنايا الأحداث ولذلك فهي تؤثر على نفس المتلقي تأثيراً قوياً لأنها جردته من ضوابط الطبيعة الصارمة وأسلمته إلى المتخيل واللامعقول.

ويستحضر أبو تمام شخصيات أسطورية فارسية قديمة ك (الضحاك)[٢] رمزاً للملك الظالم المستبد، ويوظفه الشاعر معادلاً لبابك الخُرمي، و (إفريدون) رمزاً للملك الشُّجاع الذي يُخلص الناس من شر ذلك الظلم، ويوظِّفه الشاعر معادلاً لممدوحه

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح بني عبد الكريم الطائيِّين، ج٢، ص٧٨.

(٢) كان الضّحاك أميراً عربياً من أمراء العرب اسمه مرداس تمثَّل له الشيطان في صورة شاب، وزَيَّن له ألواناً من الظلم، ثُمَّ تمثَّل له في صورة طبَّاخ، ثُمَّ سأل الطبَّاخ سَيِّدَهُ أن يُقَبِّل كتفيه، فأذن له، فنبت على منكبي الضَّحاك حيَّتان، فذعر لذلك واستدعى الأطباء فلم يهتدوا في أمرها إلى دواء، فتمثَّلَ له الشَّيطان في صورة طبيب وأشار إليه أن يطلي الحيتان بأدمغة البشر، ففعَلَ ذلك وسكن وجعه، ولمَّا طال هذا الأمر على الناس، أشار بعض الوزراء أن يجعلوا مكان هذين الرَّجلين كبشين، ولم يجترئوا على إعلام الملك، فكانوا يَجِيئون كُلَّ يومٍ برجُلين فَيأمر بقتلهما، فيبعثون بهما إلى الأماكن القاصية، ويُقيمون العوض من الضأن، فا جتمع في ذلك المكان خلق كثير و كان من ضمنهم إفريدون و كان رجلاً صالحاً في ذلك الزمان أو نبياً،فلمّا كثُرَ عددهم خرج بهم إل الضَّحاك فقتله) انظر: الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام، عبد الوهاب عزام، ص٢٢)

الأفشين الذي استطاع بحسن قيادته وشجاعته أن يخلص الخلافة العباسية من شرِّ ذلك المفسد في الأرض، فيقول: من الكامل(١)

بَلْ كانَ كالضَّحَّاكِ في سَطَواتِهِ　　　بالعَالمِيْنَ وأنْتَ إفْرِيدُونُ

وكذلك يستحضر أبو تمام (فتكة البَرَّاض) (٢) لصولة ممدوحه أحمد بن أبي دُوَاد التي تغلبت على صروف الزَّمان وفتكت بها، فيقول: من الخفيف(٣)

كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالي　　　فَتْكَةٌ مِثْلُ فَتكةِ البَرَّاضِ

ويستحْضِر أبو تمام صورة (التِّنِّين) (٤) لما عُرِف عنه في المُخيلة العربية وغير العربية من الرعب الذي ارتبط باسمه وما تصوّروا له من الضخامة والطول والقوة والتّحليق السرعة والزمجرة التي تُثير الرُّعب، وذلك لممدوحه الأفشين الذي عُرِف بقوته وهيئته التي تُثير الرُّعب، فيقول: من الكامل(٥)

لَمَّا رَأى عَلَميْكَ وَلَّى هَارباً　　　ولِكُفْرِهِ طَرْفٌ عليهِ سَخِيْنُ

وَلَّى ولَمْ يَظلمْ وهَلْ ظَلَمَ امرؤٌ　　　حَثَّ النَّجاءَ وخَلْفَهُ التِّنِّيْنُ

---

(١) نظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح الأفشين،ج٢، ١٦٣.

(٢) أصله أنَّ كِسرى وجَّهَ لطيمة، وهي إبل تحمل طيباً وغيره إلى النُّعمان والى الحيرة، فطلب لها النعمان منيُجيزها إلى عكاظ ليشتري له بثمنها طرائف اليمن،فقال النعمان من يُجيزها؟ فقال البَرَّاض بن رافع: أنا أُجيزها على بني كنانة. فقال: أريد من يُجيزها على العرب أجمعين. فقال عروة الرجال بن الأحوص : أنا أجيزها على العرب أجمعين. فقال له البَرَّاض: وعلى بني كنانة ؟ فقال نعم! فقال البَرَّاض: أفَعَبدٌ خليع من الأحابيش يُجيزُها !؟ فتَسلَّمها عروة وسايره البَرَّاض، حتى إذا غَفَلَ قَتَلَهُ وأخَذَ اللَّطيمة، فبسبب هذه اللّطيمة كان الفِجار بين قريش و قيس) انظر: شرح البيت في ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، ج١، ص٣٩٣.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح ابن أبي دُواد، ج١، ص٣٩٣.

(٤) حَيَّة لها سبعة أرؤس، انظر ديوان أبي تمام شرح التبريزي قصيدة رقم ١٦٦) (التنين هو كائن أسطوري ذو شكل أفعواني أو شبيه بالزواحف. وردت في الكثير من الثقافات و الأساطير في جميع أنحاء العالم. له أجنحة و في بعض الأساطير لا يملك أجنحة) تنين ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة .

(٥) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، في مدح الأفشين،ج٢،ص١٦١.

ويستوحي أبو تمام بعض الأساطير الإغريقية، مثل صورة ذلك البطل الخارق للعادة الذي يقوم بأعمال بطولية خارقة لا يستطيع أن يقوم بها جيش بأكمله، ليصور قوة وشجاعة ممدوحه الخليفة المعتصم، فيقول(١):

لو لمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الوَغَى لَغَدَا   مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا في جَحفْلٍ لَجِبِ

وكذلك يستحضر أبو تمام صورة البطل العاشق الذي يعمل الأعمال الخارقة لكي يُنقذ محبوبته ويلتقي بها، وذلك ليُبين قوة ممدوحه الخليفة المعتصم بالله، وأنّه ظفر بمعشوقته عمُّورية التي عجزَ عن الظفر بها أبطال سابقون، فيقول(٢):

وبَرْزَةَ الوَجْهِ قدْ أعيتْ رِيا ضَتُها   كِسْرى وصدَّتْ صُدُوداً عن أبي كَرِبِ

بِكرٌ فما افترَعتْها كفُّ حادِثَةٍ   ولا تَرَقَّت إليْها هِمةُ النُّوبِ

مِنْ عَهْدِ إسْكَنْدرٍ أَوْ قَبل ذَلِك قد   شَابَتْ نواصِي اللَّيالِي وهْيَ لَمْ تَشِبِ

ويستحضر أبو تمام كذلك أساطير المنجمين وخرافاتهم في رسم صورة البطل، فاستحضر صورة (المشتري) لما عُرف عندهم أنّه المتحكم في حُسن الحظ والصحة والثّراء والتفاؤل والسعادة؛ وذلك لأنّه أكبر المجموعة الشمسية، وذلك لسيادة ممدوحه وعلو منزلته، واستحضر بهرام (المريخ) لما عرف في ظنِّهم أنّهُ يمثِّل القوة والغضب والشّجاعة، لقوة ممدوحه وشجاعته وسطوته على أعدائه ومُخالفيه، واستحضر (عطارد) لما عرف في ظَنِّهم أيضاً أنّه يُمثِّلُ العقل وقوة الحدس والتفكير

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح المعتصم ج١، ص٤٢.

(٢) نفسه٣٦.

والكتابة والشِّعر[١]، لظُرف ممدوحه وتمام أدبه، فيقول: من الطويل[٢]

لَـــهُ كِبْرِيَـــاءُ المُشْـــتَرَى وسُـــعُودُهُ   وسَـــوْرَةُ بَهْـــرامٍ وظَـــرْفُ عُطَـــارِدِ

٧- **الجانب اللوني:**

لا يكاد يُذكر الشعر العربي إلا ويخُصُ أبو تمام بنصيب وافر من ذلك الذكر بوصفه واحداً من المُجيدين في الشعر عن طريق الأساليب الأدائية التي أبدع فيها، والصُّور والأخيلة التي انتهجها، وأحدثت في حينها حركة أدبية ونقدية، فكانت مظهراً من مظاهر حيوية الشعر العربي، ولعل ما عُرِف عنه من خروجه عن عمود الشعر أوضح مثال في هذا الجانب.

إنّ ابا تمام قد أبدع في توظيف اللون في شعره حين وظّفه فيما أُصْطُلِحَ عليه بـ (التدبيج)، وهو أن يذكر الشاعر لوناً أو مجموعةَ ألوان، الغاية منها الكناية والتورية في أغراض منها المدح أو الهجاء أو الوصف أو النّسيب أو غير ذلك، فقد وظّف التدبيج في عددٍ من صُوره، فبدت تلك الصُّور مُلوّنة بألوان شتى، فضلاً عن ذلك أنّهُ استخدم الألوان استخداماً بيانياً مُحَمِّلاً إياها شُحنات إيحائية[٣].

واستحضر أبو تمام الألوان لتشكيل صورة البطل والبطولة في القصيدة، ومن ذلك نجد:

١/**الأبيض**: "وُظِّفَ اللون الأبيض عند العرب على نطاق واسع، ونالَ أهميةً كبيرةً يكاد يفوق فيها سائر الألوان الأخرى، "إنّ جنسهُ خِلاف أجناس الألوانِ، وجَوْهَرَهُ خِلاف جواهرها" كما يرى الجاحظ، وهو بِحسبِ مجال رؤيته لون يُفَرِّق البصر، ولعلاقته بالضوء قالوا: "لكل ضِياء بياض ونور، وليس لكُلِّ بياض، ضياء ونور".

---

(١) بحث مُستفاد من شبكة الإنترنت، بعنوان الكواكب و الأبراج، رابطwww.yabeyrouth.com/bages/index3301.htm

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح أبي الحُسين محمد بن الهيثم بن شُبانة،ج١، ص٢٧١.

(٣) انظر: توظيف اللون في شعر أبي تمام، م٠د٠غني صكبان سلمان، جامعة واسط / كلية التربية ص٣٢.

ويرتبط البياض بالصِّفات الحسيِّة والمعنويِّة، ولذلك فإن دلالته حاضرة في الكثير من أقوال العرب، فقالوا: اجتمع للمرأة الأبيضان، يُريدون: اللبن و الماء، ويقولون: ما رأيتُهُ مُذْ أبيضين، أي يومين، ويقولون: لا يُشْربُ إلاّ الأبيضان، يُريدون: اللبن والماء، ويقولون للشمس: البيضاء لبياضِها، ويقولون لليد البيضاء، للعطاء والكرم، ولقد عزّزت الدِّراسات الحديثة، تلك الأهمية التي عُرِفَ بها اللون الأبيض فهو"رمز الطَّهارة، والنُّور، والغبطة والفرح، والنَّصر والسَّلام". وتلك الخصائص كانت معروفة في شعر أبي تمّام"[١].

فقد وظَّفَ اللون (الأبيض)، وما فيه من معاني الوضوح والظهور، وما يرمز إليه من النصر، لسيوف ممدوحه التي بانتصارها أجلت سواد اعتقاد المنجمين، وأظهرت قوة ممدوحه وصدق عزيمته وتهاوي الأوهام والخُرافات أمام هذه القوة، فيقول: من البسيط[٢]

السيفُ أصْدَقُ أنباءً من الكُتُبِ   في حَدِّهِ الحَدُّ بيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ
بيْضُ الصَّفَائحِ لا سُودُ الصَّحائفِ في   مُتُونِهنّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

ويستحضرُ أبو تمام اللون (الأسود) وما يرمز إليه في هذا الموضع من الكرب والضيق والفناء، لسوءِ ما فعله ممدوحه المعتصم بأعدائه والقضاء عليهم، فيقول: من البسيط[٣]

أتتهم الكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً   مِنْهَا وكانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الكُرَبِ

---

(١) (توظيف اللون في شعر أبي تمام ،م.د غنى صكبان سلمان ، جامعة واسط / كلية التربية، رابط www.iasj.net/iasj?fun<=fulltext&aId=51271

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح المعتصم بالله ج١، ص٣٢.

(٣) انظر: نفسه، في مدح المعتصم بالله ج١، ص٣٧.

ويستحضر أبو تمام اللون (الأبيض) وما يرمز إليه من النَّقاءِ والطُّهرِ والعفَّة لطهر ممدوحه ونقائهِ وبعده عن الشرِّ والسوءِ، فيقول: من الطويل[١]

من البيض مَحْجُوبٌ عن السُّوءِ والخنَا   ولا تحجُبُ الأنواءَ عن كفِّهِ الحجبُ

ويستحضر أبو تمام اللون (الأبيض)، وما يرمز إليه هنا من الكرم، لانكشاف الشَّدة عن السائل؛ بسبب جود وكرم ممدوحه، فيقول: من الطويل[٢]

بِجُودِكَ تبيضُّ الخُطُوبِ إذا دجتْ   وتَرْجعُ في ألوانِها الحِجَجُ الشُّهْبُ

كذلك يستحْضِرُ الشَّاعر اللون (الأبيض) وما يرمز إليه من النقاء والصفاء والطُّهر[٣] لصفاء ونقاء وطُهر سجايا صديقه الحسن بن وهب، فيقول: من الوافر[٤]

الوافر[٤]

نَبَتٌّ على خَلائقَ مِنْكَ بيضٍ   كَمَا نَبَتَ الحَليُّ على الوَلِيِّ[٥]

ويستحضر كذلك اللون (الأبيض) وماله من دلالة أسطورية ترمز إلى السمو والإشراق، لسمو مكانة ممدوحه، وظهورها لما يتصف به من أخلاقٍ وعلمٍ فيقول: من الكامل[٦]

ألبسْتَ فوق بياض مَجْدك نِعْمةً   بيْضاءَ حَلَّت في سواد الحاسدِ

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي،في مدح خالد بن يزيد الشيباني،ج١، ص١٠٤.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي،في مدح خالد بن يزيد الشيباني،ج١،ص١١٠

(٣) انظر: لسان العرب، مادة (بيض) ١٢٣/٧

(٤) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح الحسن بن وهب، ج١٨٣،٢.

(٥) خَلائق: جمع خليقة وهي السّجية.

(٦) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح علي بن الجهم،ج١، ص٢١٦.

وكذلك يستحضر أبو تمام اللون الأبيض، وما يرمز إليه من الكرم والطُّهر والنقاء والعفّة[١]، لكرم ممدوحه وعِفّتِه، فيقول: من الطويل[٢]

منَ القَوْمِ جَعْدٌ أبيضُ الوَجْهِ والنَّدَى ولـيْسَ بنـانٌ يُجْتَـدَى مِنْـهُ بالجَعْـدِ

ويستحضر أبو تمام اللون (الأبيض) وما يرمز إليه من القوة والانتصار، لقوة ممدوحة وانتصاره الذي أخمد تلك الفِتَن بقوة السيوف، فيقول: من البسيط[٣]

قَـدْ ذَلَّ شـيطانُ النِّفـاقِ وأخْفَتَـتْ بـيضُ السُّيوفِ زئيرَ أُسْدِ الغـابِ

٢/ الأحمر: " للحمرة دلالات عدّة أُستُخدمت في المعاجم فهي تدل على إسالة الدِّماء، لما هُو مُرتَبِط بِلون الدَّم، وتَدِل أيْضاً على التّعب والمشَقّة وعلى الموت وعلى الحُرُوب واحتِدام القِتال بين المُتقاتِلين، وأيضاً تَقُول العرب: موتٌ أحْمر للدلالة على هَول المَوْقف وشِدَّته[٤] ويُقال عند اشتداد القتال أحمر البأس ، وقد يُقال سنةٌ حمراء للدلالة على جَدْبِها وفقرها[٥] وليس اللون الأحمر كلُّه يدل على الصِّفات المذمومة فقد فقد يدل اللون الأحمر أيْضاً على الجمال والحُسْن وخاصة إذا اقترن البياض بالأحمر فيكون اللون محبّباً إلى النفس"[٦]

---

(١) انظر: اللغة و اللون، ص ٦٩.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح أبي عبد الله حفص بن عُمر الأزدي، ج١، ص٢٩٣.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح مالك بن طوق التغلبي، ج١، ٥٦.

(٤) انظُر: لسان العرب، مادة (أحمر) ٤/٢١١.)

(٥) نفسه.

(٦) دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، بث مُقدم من الطالبة أماني جمال عبد الناصر، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية،١٤١٣هـ)

ويستحضرُ أبو تمام اللون (الأحمر) وما يرمز إليه في هذا الموضع من الموت و كثرة القتلى في الحرب، لشدة وقوة ممدوحه وجيشه على العدو، فيقول: من البسيط[١]

البسيط[١]

كَمْ بين حِيطانِها مِن فَارسٍ بَطَلٍ   قَاني[٢] الذَوائبِ من آني دَمٍ سَرِبِ

ويستحضر أبو تمام اللون (الأحمر) وما يرمز إليه من القتال والعنف[٣] واستمراره واستمراره ليلاً ونهاراً، لكثرة معارك ممدوحه مع الرُّوم، وكثرة قتله لهم، فيقول من الخفيف[٤]

إنَّ أيَّامَك الحِسانَ مِن الرَّو   م لحُمْرُ الصَّبُوحِ حُمْرُ الغَبُوقِ

وكذلك يستحضر أبو تمام اللون (الأحمر) وما يرمز إليه من إسالة الدِّماء والموت[٥] لعِظَم قوة وغلبة الممدوح وقومه، فيقول: من الكامل[٦]

يَعْلُونَ حَتَّى ما يَشُكُّ عَدُوُّهُمْ   أنَّ المَنَايا الْحُمْرَ حَيٌّ مِنْهُمُ

٣/ اللون الأصفر: "اللون الأصفر قد يكون مرغوباً تارةً، وخاصّةً إذا اقترن بالذّهب والزّعفران وقد يكون مرفوضاً أحياناً أخرى، خاصّةً إذا دلَّ على المرض فيُقال وجهٌ أصْفر، وهو يحمل دلالة المرض، والضّعف والهزال[٧]، ويُقال عينٌ

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح المعتصم بالله،ج١، ص٣٨.

(٢) قاني: شديد الحمرة.

(٣) انظر دلالة الأوان ص٢٢.

(٤) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح محمد بن سعيد الثغري،ج١، ص٤٥٩.

(٥) انظر: لسان العرب مادة (حمر)٤/٢١١.

(٦) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح محمد بن حسّان، ج٢، ص ١٠٧.

(٧) انظر: اللُّغة و اللون، أحمد مُختار عُمر،ص٧٤.

صَفْراء: وهي دلالةٌ على العين الحَقُودة الحاسِدة"[١].

ويستحضرُ أبو تمام اللون (الأصفر) وما يرمز إليه في هذا الموضع من الضعف والهَزِل، لما حلَّ بجيش الروم من ضعف؛ بسبب قوة المعتصم بالله وجيشه، فيقول: من البسيط[٢]

أبْقَتْ بَنِي الأصْفَر المِمْرَاضِ كاسِمِهِم صُفْرَ الوجُوهِ وجَلَّتْ أوْجُهَ العَرَبِ

٤/ **اللون الأخضر**: الأخضر هو اللون الذي يدل على الخصب، والرزق، وهو لون النّعيم في الآخرة، كمال قال تعالى: "عَالِيهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وإسْتَبْرَقٌ"[٣]، وقَوله وقَوله تعالى: "مُتَّكِئين على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعبْقَرِيٍّ حِسَان"[٤]، وقد يُقال "قَلْبٌ أخضَر دلالة على البراءة "[٥] وقد يُقال "شاربٌ أخْضر للدلالة على بِداية الشَّباب"[٦] وقد يُقال: يُقال: ماءٌ أخضر إذا كان الماء مائلاً للاخضرار[٧] حيثُ أنّه معروف أن الماء لا لون لون له، ولا طعم.

ولا عجب أن يتناول الثّعالبي الدّلالات المجازية للألوان، فقد قال "عيشٌ أخْضر، وموت أحمر، ونعمةٌ بيضاءٌ، ويوم أسود، وعدو أزرق[٨].

---

(١) انظر: دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، بث مُقدم من الطالبة أماني جمال عبد الناصر، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية،١٤١٣هـ، ص ٢١)

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح المعتصم بالله ج١، ص٤٩.

(٣) سورة الإنسان، آية ٢١.

(٤) انظر: سُورة الرَّحمن، آية ٧٦.

(٥) انظر: اللغة واللون، ص ٧٩.

(٦) نفسه.

(٧) انظر: المُعجم الوسيط، مادة (خِضِرَ) ٣/٢٤٦.

(٨) انظر: فقه اللغة، للثعالبي، ص٧٥.

وكذلك يستحضر أبو تمام اللون (الأخضر) وما يرمز إليه من الخير والنماء واستمرارهما[١]، لنماء مجد ممدوحه وارتفاع ذكره في مراتب العلى بسبب عطائه، فيقول فيقول من الخفيف[٢]

ومِنَ الحظ في العُلَى خُضرةُ المعرو ... ف فـي الجمـع منْـهُ والإفـرادِ

وأيضاً يستحضر الشاعر اللون (الأخضر) وما يرمز إليه من الخير والكرم واستمراره، لاستمرار كرم ممدوحه، فيقول: من الكامل[٣]

نُـورُ العَـرَارَةِ نَـوْرُهُ ونَسِـيْمهُ ... نَشْرُ الخُزَامَى في اخضِرارِ الآسِ

ويستحضر الشّاعر اللون (الأخضر) وما يرمز إليه من الحياة، والتّجَدُّد، والاستمرارية[٤]، لِقُوَّة مُلك ممدوحه وعِزّته، فيقول: من الكامل[٥]

وَجَدُوا جَنَاب المُلْكِ أخْضَر واجْتَلَوا ... هـارُونَ فِيْـهِ كأنّـهُ هَـارُونُ

كذلك يستحضر أبو تمام اللون (الأخضر) وما فيه من معاني البهجة والجمال، لأخلاق صديقة علي بن الجهم، فيقول: من الكامل[٦]

لا تَبْعَـدَنْ أبَـداً ولا تَبْعُـدْ فمـا ... أخْلاقُـكَ الخُضْـرُ الرُّبـا بِأباعـدِ

---

(١) انظر لسان العرب مادة (خضر) ٤/٢٤٤.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح أبي عبدالله أحمد بن أبي دؤاد، ج١، ص١٩٢.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح الخليفة أحمد بن المعتصم ج١، ص٣٦١.

(٤) (انظر: دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، بث مُقدم من الطالبة أماني جمال جمال عبد الناصر، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية،١٤١٣هـ، ص٢٣)

(٥) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون هارون الرّشيد،ج٢، ص١٦٥.

(٦) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي ، مدح علي بن الجهم،ج١، ص٢١٥.

ويستحضر أبو تمام اللون (الأخضر) لما يرمز إليه من الخير والعطاء[١]، لكرم لكرم وجود ممدوحه، فيقول: من الطّويل[٢]

ويستحضـر أبـو تمـام اللـون (الأخضـر) ومـا يرمـز إليـه مـن اسـتمرار الخيـر ونمائـه[٣]، لاسـتمرار جـود وكـرم ممدوحـه وكثرتـه وقـت الشـدائد والمحـن، وهـذا المعنـى الذي يرمز إليه اللون الأخضر يتكرر كثيراً في شعر الطائي، فيقول: من البسيط[٤]

فَمَـا الرَّبيـعُ علـى أُنـس الـبلادِ بِـهِ   أَشَدَّ خُضْرَةَ عُودٍ مِنْهُ في القُحَمِ[٥]

القُحَـــــــمِ[٥]

٥/اللون الأزرق: ويستخدم أبو تمام اللون (الأزرق) وما يرمز إليه في المُخيلة العربية من قوة وشراسة ورعب على نحو ما نجده في قول امرئ القيس،

أيقتُلُنـــي والمَشْــرفيُّ مُضـــاجِعي   ومســـنوةٌ زُرْقٌ كأنيـــابِ أغـــوالِ[٦]

فقد جعل أبو تمام الموت المرعب والمفزع، المتمثِّل في زُرْقة الأسِنَّة، التي توغِلُ في أوداج وكُلى العدو مُعادلاً موضوعيّاً، لقوة وشَجاعة الممدوح في القتال، فيقول: من البسيط[٧]

كأنَّهــا وهـــي فـــي الأوْداج والِغَـــةٌ   فـي الكُلَـى تَجـدُ الغـيظ الـذي نجـدُ

مِــنْ كــلِّ أزرقَ نظَّــارٍ بــلا نظــرٍ   إلـــى المقاتِـل مــا فـــي مَتْنِـــه أوَدُ

---

(١) أنظُر: لسان العرب مادة خضر ٢٤٤/٤

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح محمد بن الهيثم بن شُبانة،ج١، ص٢٧٣.

(٣) انظر: لسان العرب مادة خَضر) ٤/ ٤٦٠.

(٤) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح مالك بن طوْق التّغلبي،ج٢، ص٩٢.

(٥) القُحَمِ :الشدائد.

(٦) انظر: ديوان امرئ القيس، دار الكتب المصرية، بيروت لبنان، ط ٥، ص ١٢٥.

(٧) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح أبي سعيد الثّغري،ج٢٤٣،١.

وكذلك يستحضر أبو تمام اللون (الأزرق) وما يرمز إليه من القوة والرعب مرتبطاً بالأجادل وهي الصقور، وما ترمز إليه من القوة والارتفاع، وذلك لقوة وسيادة قوم الممدوح، فيقول من الطويل[١]

بحيْثُ انتَمتْ زُرقُ الأجادل فْيهُم   عُلوّاً وقامت عن فرائِسِها الأسْدُ

٦/ اللون الأسود: كَما أعطت العرب دلالات مجازية للون الأبيض، أعطت أيضاً دلالات مجازية للون الأسود، وقال ابن منظور في مُعْجَمِه: إنّ العَرب قد استعملت لفظة السّواد للدلالة على الأعداء والعداوة كقولُهُم: سود الأكباد[٢] وأيضاً يُقال أسود القلب: للدلالة على الحقد والكراهية وقد نقل الأصْمَعي عن العرب: جاء فُلان بِغَنَمِهِ سُود البطُون، وجاء بِها حُمْر الكُلى بِمعنى مهازِيل وأيضاً قد يُسْتَخْدَمُ اللون الأسود ويُقال نهارهُ أسود للدلالة على سوء العاقبة، وكما يُسْتَخْدَمُ اللون الأسود للدلالة على الصِّفات السيئة فقد يُسْتَخْدَمُ في الصفات المحمودة والمحبوبة، وفي حديث الرّسول قوله أكثِروا من سواد المُسلمين، وهي للدلالة على الشّباب وبِذلك يكون اللون الأسود مُفضّلاً بهذا الشّكل لأنّه يدلُّ على الشّباب، وعدم الكِبَرِ في السِّن، وقَوْل العربِ السّوداء الفَحْمة: كناية عن القِدْر التي تَسْودُّ أطْرافُهُ من كثْرَةِ الطّهْي الذي يَدُلُّ على الكرَمِ[٣].

ولم يستحضر أبو تمام اللون الأسود في رسم صورة البطل سِوى مرّة واحدة مُنْفَرداً، وجاء مُقابلاً للون الأبيض في غير موضع، كما سيأتي. وذلك لموت ممدوحه الذي بِموته مات ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومُعاملاتهم مِنْ

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح محمد الهيثم بن شُبانة.

(٢) انظُر: لسان العرب، مادة (سود) ٣/٢٢٥.

(٣) انظُر: لسان العرب، مادة (سود) ٣/٢٢٦ .

كَرَمٍ وشَجَاعةٍ وغيرِها من الخلائق الحميدة التي كان يتّصِفُ بِها ممدوحه، فيقول: من الطَّويل(١)

وغُودِرَ وَجْهُ العُرْفِ أسْوَدَ بَعْدَمَا يُرَى وكأنَّهُ كَعَابٌ تَصَنَّعُ

٧/المُقابلة بين الألوان:

ويُقابل أبو تمام اللونين (الأبيض–الأسود) في حقل دلالي واحد وما يرمز إليه اللون الأبيض من الإشراق والرفعة، والأسود من موت وشدّة؛ لِيُبيِّن أنَّ رفعة وعلو مكانة ممدوحه جاءت بفضل شجاعته وتغلُّبِهِ على أعدائه في المعارك، فيقول: من الكامل(٢)

ما إنْ ترى الأحساب بيضاً وضّحاً إلاَّ بحيثُ ترى المنايا سُوداً

وكذلك عندما يُقابل الشاعر بين اللونين (الأسود والأبيض) فقد استحضر اللون الأبيض وما يرمز إليه من الغلبة والانتصار؛ لقوة ممدوحه المعتصم الذي ركن للقوة في تحقيق هدفه، واستحضر اللون الأسود وما يرمز إليه من الضلال وعدم الهداية؛ لضلال المنجمين

بيضُ الصفائح لا سُودُ الصَّحائفِ في مُتُونِهنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

كذلك يستحضر أبو تمام اللونين (الأبيض– الأسود) وما يرمز إليه اللون الأبيض هنا من الكرم والخير، والأسود من الضِّيق والكربة، لما فعلَهُ كرم ممدوحه من تفريج ضيق وكربة السائل، فيقول: من الطويل(٣).

فقوَّمتَ لي ما اعْوَجَّ مِنْ قَصْدِ هِمَّتي وبَّيضتَ لي ما اسْوَدَّ من وجه مطلبي

---

(١) انظر:: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في رِثاء إدريس بن بدر الشّامي القُرَشِي، ج٢، ص٢٢٣.

(٢) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي في مدح خالد بن يزيد الشيباني،ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي،في مدح عياش الحضرمي،ج١، ص٩١.

وهذا المعنى يتكرر في شعر الطائي فيقول: من الطويل[١].

وأحْسَنُ مِنْ نَوْرٍ تُفَتَّحُهُ الصَّبا ... بَيَاضُ العطايا في سواد المطالِبِ

وكذلك يُقابل الشاعر بين اللونين (الأبيض – والأسود)، وما يرمز إليه اللون الأبيض من النّصر، وما يرمز إليه اللون الأسود من الحزن[٢]؛ بسبب الهزيمة، لقوة ممدوحه وانتصاره على عدوِّه، فيقول: من الكامل[٣].

مِنْ أبيضٍ لِبَياضِ وَجْهِكَ ضَامِنٌ ... حِيْنَ الوُجُوْهُ مَشُوبَةٌ بِسَوادِ

ويُقابل أبو تمام بين اللونين (الأحمر والأخضر)، وما يرمز إليه اللون الأحمر في هذا الموضع من شرف الموت وجمال الشّهادة، وما يرمز إليه اللون الأخضر من النّعيم كما في قوله تعالى: "عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وإستَبْرَقٌ"[٤]، وذلك إشارة للشّرف الذي نالَهُ ممدوحه باستشهاده في سبيل رفعة هذا الدِّين وجمال هذه القتلة التي ينتظِرُها نعيمٌ دائمٌ في جنات الخلود، فيقول: من الطويل[٥]

تَرَدَّى ثِيَابَ المَوْتِ حُمْراً فَما أتى ... لها الليلُ إلاَّ وهي مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

ومما سبق نلمح براعة أبي تمام في تشكيل صورة البطل من خلال عناصر اللون المختلفة بإيحاءاتها ودلالاتها وما يتركه ذلك من أثر في نفس المتلقي لتتشكل بذلك صورة البطل من شتى العناصر المسموعة والمشاهدة وتتعدد ظلالها التي تبعث فينا الكثير من الصور والإيحاءات البطولية.

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح أبي دُلَف العِجْلي،ج١، ص١١٤.

(٢) انظر: دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، بث مُقدم من الطالبة أماني جمال عبد الناصر، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية،١٤١٣هـ، ص ٢١)

(٣) انظر: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في مدح أبي المُغيث موسى بن إبراهيم الرافقيّ ج١، ص٢٩٧.

(٤) انظُر: سُورة الإنسان، آية ص ٢١

(٥) انظر:: ديوان أبي تمام، شرح التّبريزي، في رِثاء محمد بن حميد الطوسي،ج٢، ص٢١٩.

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي قدمتها لصورة البطل في شعر أبي تمام يحسن بي أن أُجمل هذه النتائج التي وقفت عليها في ثنايا هذه والتي يمكن أن إجمالها فيما يأتي:

- يتلخص مفهوم البطولة في أنها صفة إيجابية تلصق بالذات لإثبات الذات والهوية والدلالة على شجاعة القلب في مواجهة الأهوال والمصاعب مدعومة بقوة جسدية ونفسية منقطعة النظير.
- تعد البطولة قيمة إنسانية تحتفي بها سائر الأمم على اختلاف عصورها وأحوالها بيد أنه تختلف مقوماتها وسماتها الخاصة من أمة لأمة ومن عصر لعصر.
- تشكلت البطولة لدى الأمة العربية من مجموع الخصال الجسدية والنفسية والأخلاقية وأكد الإسلام على ذلك داعما لها بالجانب الروحي والديني والقيمي الذي يعليها.
- تجلت صورة البطل العربي المسلم في شعر أبي تمام في ظل الحقيقة الذي ترتسم ملامحه مما يصوره الشاعر من خلال وخصال وقيم تبدو فيها صورة البطل ظلا للحقيقة الكاملة التي ينبغي أن يكون عليها البطل العربي المسلم في شتى المجالات والميادين، وتبقى صورة البطولة الحقيقية لأولئك الصفوة من النبيين والقلة من الصالحين في حين لا ينعدم النموذج المحاكى في المجتمع العربي والإسلامي من خلال أولئك الأبطال الذين قدموا بطولات سامية ارتقت بهم إلى مصاف الصفوة والأفذاذ.
- انعكس في شعر أبي تمام بطولته الذاتية فقد لاح من خلاله بطلا شاعرا وحكيما وفيلسوفا مغتربا له سماته وملامحه التي تكاد تختلف عن كثير غيره مما يؤكد أن حديث أبي تمام عن البطولة وتصويره لها كان مشحونا بنوازع ذاتية بداخله.

- كذلك كان أبو تمام يرى نفسه في قرينه (الشاعر – الكاتب) صورة نفسه وهذا مما يؤكد على أن بطولة أبي تمام الذاتية ليست غرورا أو أنانية بل هي تصور متكامل للبطولة في واقعه الذاتي والخارجي.
- انعكست صورة الصراعات الداخلية والخارجية التي تمر بها الأمة الإسلامية في شعر أبي تمام وتصويره للبطولة في شعره مما ساهم في تكوين رؤية موضوعية للبطولة في شعره.
- كان البطل الكلي والمتمثل في الخليفة محور الصورة وقطب الدائرة في تصوير أبي تمام للبطولة في المجتمع الإسلامي فمن خلال سماته وملامحه ومقوماته التي رسمها أبو تمام تمثلت صورة الأمة الإسلامية الواحدة وهيبتها وبطولتها الفعلية في كافة المجالات والميادين.
- شكلت عناصر البطولة الجزئية نموذجا من التوافق والتلاحم والتضامن في المجتمع الإسلامي والذي حرص عناصره على تأدية أدوارهم البطولية في فدائية منقطعة النظير.
- حرص أبو تمام في تشكيل صورة البطل في شعره على توظيف عناصر فنية كان لها أثر كبير في إبراز صورة البطل بشكل رائع ومشوق له أثره ووقعه في النفس مثل استحضار الشخصيات التاريخية والأسطورية وغيرها، وكذلك استحضار الألوان بدلالتها المختلفة ليكون لذلك دوره في التشكيل الفني لقصيدة البطل في شعر أبي تمام.

وختاما أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه وأن يغفر لي ولسائر المسلمين الزلل والخطايا.

والحمد لله رب العالمين ...

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

القرآن الكريم

١- الأبطال، توماس كارليل، تعريب محمد السباعي، مطبعة الرحمانية ط٢" بدون تاريخ، مصر.

٢- أبو تمام الطائي حياته وشعره د/هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي بيروت، ط ١,١٩٩٤

٣- أبو تمام حياته وشعره نجيب محمد البهبيتي، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط " بدون" ١٩٤٥م.

٤- أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم، تأليف عمر فروخ، الناشر: "بدون" ط" بدون"، بيروت، ١٩٦٤م.

٥- أبو تمام وموازنة الآمدي محمد محمد الحسيني، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ط "بدون " ١٩٦٧م.

٦- اثر الثقافة في بناء القصيدة الجاهلية، محمد الخازمي، ط١، دار الكتب الوطنية، ليبيا.

٧- الأحكام السُّلطانية، للقاضي أبي يَعْلى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط " بدون"، ٢٠٠٠م.

٨- الأخلاق و السير، لابن حزم، دار ابن حزم، ط" بدون"، سنة النشر" بدون".

٩- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت – ط٣، ١٩٨٩م.

١٠- الإسـلام و حركـة التـاريخ، أنـور الجنـدي، دار الكتـاب اللبنـاني، بيـروت، ط١، ١٩٨٠م.

١١- الأعـلام" قـاموس تـراجم لأشـهر الرِّجـال والنسـاء مـن العـرب والمسـتعربين والمستشرقين "، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ط١١، ١٩٩٥، بيروت.

١٢- الأغاني، ج/٤، للإمام أبي الفرج الأصبهاني،مطبعة التقدم بشارع محمد علي، ط" بدون".

١٣- أمراء الشعر العربي، في العصر العباسي، أنيس المقدسي، دار العلم، ط١٧ ١٩٨٩م، بيروت – لبنان.

١٤- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٥- بـدائع الصـنائع فـي ترتيـب الشـرائع، للكاسـاني، دار الكتـب العلميـة، ط٢، ٢٠٠٣م.

١٦- البداية و النهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القُرشي الدِّمشقي، دار هجر، ط١، ١٩٩٧م.

١٧- البطـل فـي التـراث، "سلسـلة الموسـوعة التاريخيـة الميسّـرة"، د. نـوري حمـودي القيسـي، دار الشـؤون الثقافيـة العامـة فـي وزارة الثقافـة والإعـلام ط١، ١٩٨٨م، بغداد.

١٨- البطـل فـي الروايـة السـعودية، حسـن الحـازمي، ط١، ١٤٢١هـ، مـن إصـدارات جازان الأدبي.

١٩- البطولـة فـي الشـعر العربـي، شـوقي ضـيف، دار المعـارف، ط٢، القـاهرة، سـنة الشر "بدون".

٢٠- البطولة والأبطال،، الدكتور أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر الفجالة – مصر، ط" بدون".

٢١- بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح نموذجاً) ، وهب روميه دار سعد الدين للطباعة والنشر دمشق، ط" بدون" ١٩٩٧م.

٢٢- تاج اللغة و صحاح العربية الجوهري، اسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م.

٢٣- التذكرة السعدية في الأشعار العربية، لمحمد العبيدي، مطابع النعمان بغداد ط " بدون"١٩٧٢م.

٢٤- تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٥- التوقيف على مهمات التعاريف المناوي القاهري، عالم الكتب – القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

٢٦- جمهرة الأمثال، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢٧- دليل الناقد الأدبي، د / للبازعي والرويلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط٥، ٢٠٠٧م.

٢٨- ديوان أبي نواس، المطبعة العمومية – مصر "ط ١، ١٨٩٨م.

٢٩- ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

٣٠- ديوان الأفوه، شرح وتحقيق د. محمد التونجي، دار صادر، ط١، ١٩٩٨م.

٣١- ديوان الخوارج، تحقيق: نايف معروف، دار المسيرة، بيروت،ط١، ١٩٨٣م.

٣٢- ديوان الشريف الرضي، ج٢، دار صادر – بيروت، "ط بدون" ١٩٦١م.

٣٣- ديوان الشَّماخ بن ضرار الشيباني، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، ط" بدون".

٣٤- ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٨٧م.

٣٥- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، دار صادر – بيروت ط١، ٢٠٠٠م.

٣٦- ديوان المتنبي،دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ط" بدون" ١٩٨٣م.

٣٧- ديوان امرئ القيس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٥،٢٠٠٤م.

٣٨- ديوان أوس بن حجر، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت – ط بدون، ١٩٨٠م.

٣٩- ديوان جرير، دار بيروت للطبعة والنشر– بيروت، ط" بدون" ١٩٨٦م.

٤٠- ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.

٤١- ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣،٢٠٠٢م.

٤٢- ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، ط " بون" ١٩٧٩م.

٤٣- ديوان عدي بن الرقاع العاملي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٤٤- ديوان كثير عزّة، جمع، الدكتور: إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، ط " بدون" ١٩٧١م.

٤٥- ديوان كعب بن زهير، شرح، د: مفيد قميحة، دار الشّواف للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٨٩م.

٤٦- ديوان، عمرو بن كلثوم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

٤٧- ديوان،عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات، دار صادر، ط " بدون".

٤٨- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار العصماء – دمشق، ط ١ – ١٤٢٧هـ.

٤٩- رسالة عن أبي تمام الشاعر الفنان، نورة الشملان، مكتبة مصر، الفجالة، ط" بدون"١٩٩٦م.

٥٠- الرسول القائد، محمود خطاب، مكتبة النهضة – بغداد، ط ٢.

٥١- الروح، لابن القيم، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٢هـ.

٥٢- الروض الأنف، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٥٣- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٥٤- سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٥٥- السيرة لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار بن كثير ، دمشق ، ٢٠٠٥م

٥٦- شرح الصولي لديوان أبي تمام، تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان، دار الرشيد للنشر" سلسلة منشورات وزارة الثقافة والإعلام "، العراق، ط "بدون".

٥٧- شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، دار الكتابة العربي، بيروت – لبنان،ط" بدون"، ٢٠٠٧م.

٥٨- شرح ديوان ابي تمام، للأعلم الشَّنتمري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١ ، ٢٠٠٤م.

٥٩- شرح ديوان الحماسة،لأبي علي أحمد بن محمد بن لحسن المرزوقي، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٩٩١هـ.

٦٠- شرح ديوان عنترة، للخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٢م.

٦١- شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق الرقب، مكتبة الأقصى، عمان،١٩٨٤م.

٦٢- الشعر العربي بين الجمود والتطور، محمد عبد العزيز الكفراوي، نهضة مصر للطباعة والناشر: نهضة مصر، ط " بدون ".

٦٣- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٩٨٥م.

٦٤- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ط ١، ١٩٧٧م.

٦٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٦- الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام، عبد الوهاب عزام، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة – مصر، ط" بدون" ٢٠١٣م.

٦٧- العقد الفريد، لابن عبدربه، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣م.

٦٨- على حسين الشطشاط، دراسات في تاريخ الحضارة، دار قُباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

٦٩- العمدة، لابن رشيق، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت، ط " بدون " ٢٠٠٤م.

٧٠- الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية و المثل العُليا، تأليف عمر الدسوقي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط٣ سنة النشر" بدون".

٧١- فخري أبو السعود، البطولة في الأدبين العربي والإنجليزي.

٧٢- الفروسية، لابن القيم، دار الصحابة – طنطا، ط ١، ١٩٩١م.

٧٣- الفن ومذاهبه في الشعر العربي،شوقي ضيف، دار المعارف– القاهرة،ط ١٢.

٧٤- في الأدب العربي،د/محمد صالح الشنطي دار الأندلس، حائل، ط١ ١٩٩٢م.

٧٥- القاموس المُحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.

٧٦- قراءة في النقد القديم، الدكتور: بسيونى عبد الفناح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.

٧٧- لذة النّص رولان بارت ترجمة منذر عياشي الطبعة الأولى ١٩٩٢الناشر مركز الإنماء الدولي بالاتفاق مع دار لوسوي باريس.

٧٨- لسان العرب،لابن منظور، دار المعارف – القاهرة، ط١.

٧٩- اللغة واللون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة ط١، ١٩٨٢م.

٨٠- المثل السائر، لضياء الدين بن الأثير، نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع، ط "بدون " ، سنة النشر " بدون ".

٨١- مدارج السّالكين، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، ط٧، ٢٠٠٣م.

٨٢- المستطرف شهاب الدِّين بن محمد الأبشيهي، دار القلم، بيروت – لبنان، ط" بدون" ١٩٨١م.

٨٣- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨٤- المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار الملايين،بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.

٨٥- مُعجم التعريفات للعلامة محمد السيد الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفيصلية – القاهرة، ط" بدون".

٨٦- مُعجم التعريفات للعلامة محمد السيد الجرجاني، دار الفضيلية، ط " بدون" القاهرة.

٨٧- معجم العين للفراهيدي، دار الكتب العلمية، ط ١ ، ٢٠٠٣ م.

٨٨- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢،١٩٨٤م.

٨٩- المُعجم الوسيط، مجْمع اللغة العربية، مكتبة الشروق – مصر، ط ٤، ٢٠٠٤م.

٩٠- معجم محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان – بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

٩١- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط" بدون".

٩٢- مكارم الأخلاق، لابن أبي الدُّنيا تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن – بولاق ط" بدون".

٩٣- نقد الشعر، أبي الفرج قُدامه بن جعفر، طبع في مطبعة الجوائب – قسطنطنية، ط ١، ١٣٠٢هـ.

٩٤- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، لأحمد بن عبد الوهاب النويري،دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٩٥- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر –بيروت، ط" بدون" سنة١٩٧٧م.

٩٦- اليوت عند النُّقاد العرب، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد/ ٣ سنة ٢٠١٠م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

١- البطل في شعر أبي فراس، عبد الرحمن الخميس، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.

٢- دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، بحث مُقدم من الطالبة أماني جمال عبد الناصر، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ١٤٣١هـ.

٣- صورة البطل في كتب الحماسة، صادق الشيخ خربوش، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب الجامعة الأردنية، عمان،١٩٩١م.

ثالثاً: المجلات والدوريات

١- البطل العربي المعاصر" الشخصية البطولية و الضحية"، د. سلمى الخضراء الجيوسي، مجلة الكاتب، القاهرة، السنة السابعة عشرة، العدد ٢٠٠ نوفمبر ١٩٧٧.

٢- البطل في شعر الحماسة، جليل فالح، آداب الرافدين، العدد الرابع عشر، جامعة الموصل، ١٩٨١، ص٢٤٣.

٣- البطولة في الأدب العربي، محمد المجذوب، مؤتمر الأدباء العرب، الدورة الرابعة، الكويت، ٢٠ – ٢٨ ديسمبر ١٩٥٨، مطبعة حكومة الكويت.

٤- البطولة في الأدبين العربي والإنجليزي، فخري أبو السعود، مجلة الرسالة، القاهرة، السنة الخامسة، العدد ١٨٩.

٥- البطولة في شعر الشهيد، د/ محمد كلاب،مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرين العدد الأول، ص١ – ص ٣٩ يناير ٢٠١٢م، غزة، فلسطين.

٦- جدلية القيم في الشعر الجاهلي رُؤية نقدية مُعاصرة، من منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق ٢٠٠١م.

٧- صورة الخليفة ومفهوم النموذج، مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٤- العدد الثالث والرابع، ٢٠٠٨م، فاطمة تجور.

٨- فنية قصيدة المدح والرؤية الدِّينية عند أبي تمام – د. أحمد قُتيبة يُنس – دراسات موصلية – العدد السادس عشر – ربيع الثاني لعام ١٤٢٨هـ.

٩- فنية قصيدة المدح والرؤية الدِّينية عند أبي تمام – د. أحمد قُتيبة يُنس – دراسات موصلية – العدد السادس عشر – ربيع الثاني لعام ١٤٢٨هـ.

رابعاً: **البحوث والمقالات المستفادة من الشبكة**

١- الاستقامة، لابن تيمية، لمكتبة الوقفية للكتب المصورة، رابط:www.wadfea.com/book.bhb?bid=2833

٢- بحث مستفاد من الشبكة العنكبوتية، بعنوان (الذاتي و الموضوعي في عمارة الحداثة و ما بعد الحداثة، د/ فلاح جر جامعة العلوم و التكنولوجيا - وهران - الجزائر

٣- بحث مُستفاد من شبكة الإنترنت، بعنوان الكواكب و الأبراج، رابطwww.yabeyrouth.com/bages/index3301.htm

٤- توظيف اللون في شعر أبي تمام ،م.د غنى صكبان سلمان ، جامعة واسط / كلية التربية، رابط www.iasj.net/iasj?fun<=fulltext&ald=51271

٥- توظيف اللون في شعر أبي تمام، م٠د٠غني صكبان سلمان، جامعة واسط / كلية التربية، بحث مستفاد من الإنتر نت رابط:www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=51271

٦- الموسوعة الحرّة ويكيبيديا،رابط:التنين /ar.wikipedia.org/wiki

٧- الموسوعة العربية على شبكة الإنتر نت ، www.arab-ency.com المجلد الثاني، الحضارة العربية.

٨- موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، رابط: www.nabu.com/brown/ar/brint.bhb?art=4437

٩- موقع الدُّرر السَّنية،dorar.net/article/436

ثبت المحتويات